

مُصَرَّرٌ عَبْدُ الْحَكِيمِ

عرش إبليس

ومثلت بدمودا والأطباق الطائرة



مكتبة التوفيقية



297

عرش إبليس

ومثلت بدمودا والأطباقة الطائرة

مَنْصُورٌ عَبْدُ الْحَكِيمِ

المكتبة التوفيقية

امام الباب الأخضر - سينما الحسين

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله...

أما بعد :

فلقد خلق الله الإنسان الأول آدم عليه السلام وكرمه وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، ثم أهبطه إلى الأرض بعد أن أكل من الشجرة المحرمة ثم تاب عليه، وأهبط معه للأرض إبليس عليه اللعنة بعد أن رفض أمره بالسجود لآدم عليه السلام ومنذ ذلك الحين والعدواة قائمة بين الشيطان الأول وبين آدم وذريته إلى أن تقوم الساعة.

ولقد حذرنا الله سبحانه وتعالى كما حذر أبانا آدم عليه السلام من إبليس وعداوته وحقده وشره ومكائده للإنسان، فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذْهُ عَدُوًّا﴾ [سورة فاطر: ٦] فأمرنا سبحانه وتعالى باتخاذ عدواً لنا وأن نواجهه ونحاربه، قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ونحن إزاء أمر الله سبحانه وتعالى لنا بمحاربة الشيطان فكشف خططه وخطط أعوانه من شياطين الإنس وعلى رأسهم المسيح الدجال الذى يخطط للسيطرة على العالم بمعاونة إبليس نفسه، فكان هذا الكتاب الذى بين يديك.

ولأن إبليس أخذ العهد على نفسه بمحاربة بنى آدم وأقسم على ذلك قال تعالى: فى سورة الأعراف ١٦-١٧ ﴿قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ وقال أيضاً فى سورة الإسراء: ﴿قال أرايتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً﴾.

ثم نتكلم عن عرش إبليس ومملكته فى مثلث برمودا، ولماذا مثلث برمودا بالذات، ولم اتخذه الشيطان مقراً لعرشه ودولته؟ ومن هم وزراء إبليس وأبناؤه المقربون إليه؟ ثم ما هو سر تحالف الشيطان مع المسيح الدجال ومن هم أعوانهم من شياطين الإنس؟ وما هى خطط إبليس والدجال وسر الأطباق الطائرة التى نراها تخلق فى سماء الأرض؟ ثم النجاة من كل ذلك بمعرفة أساليب عدونا والتحصن بالله، هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجه الكريم وأن يكون علماً ينتفع به الناس فى حياتنا وبعد الممات، ويكون فى ميزان حسناتنا يوم القيامة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

منصور عبد الحكيم محمد

المحامى

ت: ٣٢٨١٨٢١ القاهرة

كان الفراغ منه يوم الجمعة ١٨ رمضان ١٤١٨هـ

١٦ يناير ١٩٩٨م

الفصل الاول :

- قبل برمودا وفورموزا
- مثلث برمودا وإيليس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول

قبل برمودا وفورموزا

أطلنطى القارة المفقودة :

يجدر بنا قبل الحديث عن مثلث برمودا الواقع فى المحيط الأطلنطى أن نتحدث قليلاً عن هذا المحيط، فلقد أكدت الدراسات قديماً وحديثاً أن هناك جزيرة أو قارة كبيرة تسمى «أطلانطس» كانت بين قارتى أفريقيا والأمريكتين وغرقت لأسباب غير معروفة، وأصبحت محيطاً لم يبقَ منها إلا آثار وبعض الجزر الصغيرة، ذلك هو المحيط الأطلنطى وأصبحت تلك القارة تحت مياهه.

ولكن متى حدث هذا؟ إنه عصر ما قبل التاريخ، قالوا إن ذلك حدث عام ٨٠٠٨ قبل الميلاد، حيث سجلت النقوش فى سقف معبد دندرة بفرنسا أن شيئاً فى هذا العالم كله عام ٨٠٠٨ ق.م، وأكد الفلكيون الفرنسيون أن وضع برج الأسد فى هذه السنة غريب واكتشفوا أن هذا التاريخ يوافق اختفاء قارة أطلانطس تحت مياه المحيط الأطلنطى بين قارتى أفريقيا وأمريكا.

ومن فرنسا إلى حدود ليبيا والجزائر حيث كهوف «تسبلى»، تؤكد أيضاً أنه فى عام ١٦٠١٦ ق.م وقف أحد الرعاة بين الأبقار والأغنام ووسط المراعى التى تتخللها

الأنهار المتدفقة رأى شيئاً نارياً يهبط من السماء وتنتفتح الأبواب ويتقدم نحوه عدد من الذين يرتدون ملابساً بيضاء وخوذات بلاستيك، ثم يختفون^(١).

وتقول بعض أوراق البردى الفرعونية التى اكتشفها الأستاذ / تولى أمين المتحف المصرى فى الفاتيكان ترجع إلى عصر الملك تحتمس الثالث «١٤٨٣ - ١٤٥٠ ق.م» تقول حرفياً:

«فى الشهر الثالث من الشتاء من السنة» وحدد الكاتب الجالس أمام المعبد شيئاً نارياً فى السماء طوله ١٥٠ قدماً وليس له دخان ولا صوت، يقترب من الأرض، فلم يكذ يراه بوضوح حتى انكفاً على وجهه فى حالة من الفزع أقرب إلى الموت، ولما رفع رأسه وجد أناساً لم ير لهم مثيلاً من قبل، ثم دخلوا الجسم المضى بلا نار واتجهوا إلى السماء ثم إلى الغرب»^(٢).

لقد أكدت تلك الحوادث الغربية أن هناك أحياء تسكن تلك المنطقة الغربية من الأرض ورصدتها العيون التى شاهدها وهى أقرب ما تكون إلى الأطباق الطائرة التى شاهدها الكثيرون فى عصرنا الحالى.

لقد صدر من قارة «أطلانتس» المفقودة أكثر من سبعة آلاف كتاب، والذى يهمنى أن هذه القارة المفقودة والتى مازالت غارقه تحت المحيط تقع فوقها أو بالتحديد على جزءٍ منها مثلث برمودا حالياً.

ولقد كان الفراعنة أكثر الناس علماً بهذه القارة الغارقة قبل أن تدمر ويعلو فوقها الماء وتصبح محيطاً مائياً كبيراً، لقد كانت قارة ذات شأن عظيم وحضارة كبيرة تماثل الحضارة الفرعونية.

(١) من كتاب الذين عادوا إلى السماء لأليس منصور بتصرف.

(٢) المصدر السابق.

وفى حوار بين أحد كهنة معبد إيزيس وبين أحد حكماء الإغريق سنة ٥٩٠ قبل الميلاد، تذاكر الحكيم الإغريقى بلاده وما فيها من الجمال وقصص فإذا بالكاهن المصرى يضحك منه قائلاً:

«أنتم أيها الإغريق أطفال صغار. إن أشياء تافهة تشغلکم»^(١). وهذه القصص الساذجة تستغرقكم ، إن لدينا أسرار تهز هذا الكون، وروى له أنه كانت هناك أرض إلى الغرب، وهذه الأرض وسط البحر وهى أرض غنية بخيراتها والشوارع مستقيمة والمدن دائرية والأرض تنضج الفاكهة أسرع مما تفعله أرض مصر، والأنهار تنبع من السماء وتصب فى البحر أمام عيون الناس وحيوانات البر تزحف إلى الماء ثم تعود تصعد إلى الشاطئ دون أن تؤذى أحداً، بل إن الحيوانات نفسها تحظى بقداسة عظيمة ولهذه البلاد عشرة ملوك يتبادلون الحكم، وليست هناك خلافات بين الناس على شئ بل إن أحداً إذا كذب عاتب نفسه وإذا صدق فهو لا يطلب جزاء من أحد، وفى هذه البلاد صداقة بين الطيور والأسماك، ومن عجائب هذه البلاد أن العصافير لا تأكل السنابل وإنما تتركه لأهل البلاد، أما المرأة فى الجزيرة السعيدة فهى مشغولة بتربية الأولاد وقد تركت الحقل والحرب للرجل والإنسان السعيد جداً فى هذه البلاد هو الطفل.

وتحدث الكاهن عن وسائل المواصلات فى تلك القارة وأنها سريعة ولا يصدر عنها صوت، وأنه لا تكاد تسأل عن أحد إلا وجدته أمامك!!

وسجل الحكيم الإغريقى تلك القصص عن القارة الغارقة ووعد أن ينظمها شعراً ولكنه لم يفعل، ولكن الفيلسوف الإغريقى «أفلاطون» سجل قصة هذه القارة

(١) المصدر السابق.

فى كتاب أسماه «كرينتياس» ولم يكمله عام ٢٥٥ ق.م. وقد ألف أفلاطون أيضاً كتابه المشهور «الجمهورية» على نمط الحياة فى القارة المفقودة.

ولقد أكد علماء الفلك الروس عندما صعد رواد الفضاء إلى القمر أن هناك تجويفاً بركانياً قطره مئات الكيلو مترات انفصل عن القمر وانقض على المحيط الأطلنطى فهل هذا هو الذي أغرق تلك القارة؟!.

إن الأدلة كثيرة جداً على وجود هذه القارة واختفائها تحت ماء المحيط ولأسباب غريبة غرقت تماماً، ومن الأدلة على ذلك أن هناك طيوراً فى أمريكا منتشرة فى أفريقيا، فالعلماء أكدوا أنه إذا كانت القارة المفقودة كانت موجودة فبالتالى فإنها تربط بين قارتى أفريقيا وأمريكا ولا بد أن يكون هناك أثر لهذه الصلة يدل على ذلك التواصل والترابط وبالفعل بحث العلماء عن الأثر بين القارتين فوجدوا آلاف الأدلة منها طيور أمريكية فى أفريقيا منتشرة منذ عهد الهنود الحمر، والتقويم الفرعونى كما هو عن سكان بيرو الأصليين والفراعنة كانوا يحسبون السنة ١٨ شهراً والشهر ٢٠ يوماً ويضيفون أياماً للأعياد فى نهاية كل سنة . وبالنسبة للعبادات فالفراعنة يعبدون الشمس وكذلك سكان المكسيك القديمة وبيرو أيضاً، ويوجد تشابه فى فصائل الدم والملاصق بين سكان منطقة الباسك وأهل بيرو مثلاً وبعض الأساطير القديمة عند أهل المكسيك القدامى والهنود الحمر تشير إلى أن ملوك المكسيك القدامى كانوا يؤكدون أنهم من قارة كانت فى البحر وهى أسعد مكان فى الأرض.

والغريب أن أحد الوسطاء الروحانيين يدعى «أدجار كيس» تلبس به أحد قرناء الجن من سكان القارة المفقودة فى عام ١٩٤٠ وحكى أنه يرى جدران القارة الغارقة عند ساحل ميامى بأمريكا، واتجه بعض الغواصين إلى ساحل ميامى فلم يجدوا شيئاً ولكنهم اتجهوا إلى جزيرة «بمبنى» ووجدوا هناك تحت الماء جداراً سميكاً طويلاً قد

علاه الماء سبعة أمتار وهذا الجدار بقايا قلعة قديمة أو معبد أو متحف عمره ثمانية آلاف سنة (١).

* السبب فى غرق القارة أطلانطس :

لقد أكدت بعض البرديات الفرعونية أن هناك مجتمعاً قوياً عاش على جزيرة كبيرة، ولما اشتد هذا المجتمع قرر أن يغور العالم المجاور له وكان ذو علوم متقدمة جداً عنهم فقاموا بتكديس القنابل الذرية عندهم لهذا الأمر، وكان العالم المجاور لهم دولة الفراعنة والإغريق وعندما أجمعوا العدة لذلك نزلت عليهم صاعقة من السماء فأغرقتهم فى المحيط وعلا الماء وأصبحوا أثراً لا وجود لهم فى الدنيا «من بردية فرعونية من عصر الأسرة الثانية عشرة».

لقد كان الفراعنة كما ذكرنا أول من تحدثوا عن تلك القارة وعن حضارتها التى تفوق الخيال، وقد يكون السبب فى غرقها فى المحيط أن هناك حرباً دارت بين الحضارة الفرعونية والحضارة الأطلنطية فى ذلك الوقت، وانتهت الحرب بانتصار الحضارة الفرعونية، وهذا ما أكده الباحثون حديثاً من أن الفراعنة عرفوا واستخدموا أجهزة وأشعة لم يتوصل إليها العلم الحديث وأنها استخدمت فى بناء الأهرامات، وإن داخل هذه الأهرامات قوة قادرة على التأثير فى أحدث الأجهزة الحديثة للإنسان المعاصر.

حتى إن العالم الفلكى «أريك فورمان» قد قرر أن الفراعنة عرفوا الموجات فوق الصوتية واستخدموها فى رفع أحجار الأهرامات، وقال أنه لا يستطيع أحد أن يفعل ما فعلوا بالوسائل المادية الحديثة، وأن هناك قدرات خارقة استخدمت فى تحريك

(١) المصدر السابق بتصرف.

ورفع الأحجار وفى بناء الأهرامات استخدمها الكهنة المصريون ، وأن هناك صلة بينهم وبين سكان الكواكب الأخرى .

وبالتالى فإن الحضارة الفرعونية تفوقت على الحضارات الأخرى وقتها ومنها حضارة قارة أطلانطس .

*** قارة «مو» الغارقة فى المحيط الهادى :**

قالوا عنهم أنهم عمالقة جاءوا من كواكب أخرى وصعدوا إليه بعد غرق أرضهم . . إنهم سكان قارة «مو» الغارقة فى المحيط الهادى الذى يقع على جزء منه مثلث الرعب الثانى المسمى «مثلث فورموزا» .

لقد سجل الراعى على كهوف تسيلى بحدود ليبيا والجزائر قديماً كما ذكرنا أن الذين هاجموا قارة أطلانطس عادوا فى مراكب فضائية واتجهوا إلى السماء فهل هم سكان قارة «مو» ؟ ! !

لقد سجل كتاب الموتى الفرعونى وهو عبارة عن صلوات للموتى تأييداً لأناس عاشوا ثم اختفوا تحت الماء نهاراً فى وضوح النهار وهم سكان القارة الغارقة شرقاً .

ولم يبق من تلك القارة إلا جزراً متناثرة أيضاً مثل قارة أطلانطس ، وأهم تلك الجزر جزيرة «الفصح» التى يعيش عليها ألف نسمة فى مساحة ٦٠ كيلو متر مربع ، يعتمدون على صيد الأسماك وتربية الحيوانات والزراعة ، وتم اكتشاف تلك الجزيرة عام ١٧٧٢م فى عيد الفصح فسميت بذلك ، وعلى أرض الجزيرة مئات التماثيل الضخمة المنحوتة من الصخور البركانية وكلها فى اتجاه الشرق ، ولا يدرى من صنعها ، والأغرب من ذلك أن النقوش التى على تلك التماثيل بالحروف الفرعونية .

ولقد كانت تلك القارة المفقودة مثل المدينة الفاضلة أيضاً مثل التى تخيلها «الفارابى» وأفلاطون ثم عاثت فى الأرض الفساد، فهلكت وغرقت وتلك سنة الحياة كما حدث لحضارات سابقة أهلكها الله سبحانه وتعالى لنفس الأسباب التى هلكت بها قارة أطلانطس فى المحيط الأطلنطى وقارة «مو» فى المحيط الهادى.

وكان اختفاء قارة «مو» بعد اختفاء قارة أطلانطس بأربعة آلاف سنة. ومعنى كلمة «مو» الأمة، وعاشت تلك القارة ١٥٠ ألف سنة وعشر على أحجار تدل على ذلك فى معابد لها فى عاصمة التبت يرجع تاريخها إلى ٢١٢١٢ سنة وهى بين أمريكا وآسيا.

والذى تحدث عن تلك القارة بشئ من التفصيل هو كتاب الموتى الفرعونى حتى قيل أنه كتب من أجل سكان هذه القارة الغارقة. ومعنى كتاب الموتى بالفرعونى «البر - مو - حرو» أى الذين اختفوا نهائياً.

لذلك فإن كتاب الموتى يعتبر سجلاً لما حدث فى قارة «مو» حيث ورد فى الكتاب عبارة تقول: «واقتربت لمجمة من الأرض وما زالت تقترب، تحول كل شئ إلى نار ودخان وجاء ماء البحر فأطفأ كل شئ».

وقيل إن سكان هذه القارة كانوا ٦٤ مليون نسمة، ولم يبقَ منها سوى جزر مثل جزر هاواى والفصح وغيرهم فى المحيط الهادى.

وسوف يتضح لنا سر اختيار إبليس فى اتخاذه جزراً من المنطقة الغارقة فيها قارة أطلانطس مقراً له يضع عليه عرشه فى المحيط الأطلنطى، وكذلك صديقه الوفى المسيح الدجال فى منطقة فورموزا بالمحيط الهادى مكان القارة الغارقة هناك «مو» فى الصفحات القادمة بإذن الله.

مثلث برمودا وإبليس

منذ سنوات غير بعيدة وبالتحديد عندما صدر كتابي «مواجهة الجن» عام ١٩٩٢م، أعلنت مفاجأة عندما تحدثت عن مثلث برمودا وما يحدث فيه من غرائب وعجائب للسفن والطائرات التي تمر به، وكانت المفاجأة التي أعلنتها أن السبب وراء ما يحدث في منطقة مثلث برمودا هو أن عرش إبليس وملكته في منطقة مثلث برمودا وبحر الشيطان، وكان الدليل القوي الذي استندت إليه هو حديث النبي ﷺ الذي رواه مسلم في صحيحه ونصه: «إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة، يجرى أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، ثم يجرى أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه ويقول: نعم أنت أنت» وأيضاً عندما سأل الرسول ﷺ ابن صياد وكان عرافاً يهودياً بالمدينة وظن بعض المسلمين وقتها أنه المسيح الدجال لوجود بعض التشابه بينهما فقال له ﷺ: «ما ترى؟ قال ابن صياد: أرى عرشاً على الماء أو قال: البحر حوله حيات. قال النبي ﷺ ذاك عرش إبليس» رواه مسلم.

والأمر ليس بغريب لأن الشيطان الأكبر يكرهه الأرض وترباها الذي خلق منه آدم عليه السلام، والذي في ظنه واعتقاده أنه سبب خروجه من الجنة ومن رضوان الله إلى غضبه وسخطه واستحق بذلك اللعنة الأبدية.

والأمر الآخر أن إبليس عندما طرد من رحمة الله ولعنه الله وقال له: «أخرج منها مذموماً مدحوراً»، أراد أن يضلل بني آدم وكل من يؤمن بالله الواحد الأحد من الإنس والجن، وجمع حوله جنوداً من ذريته وأتباعه من الثقلين، وكون دولته ونصب

نفسه ملكا وإلهًا ولذلك فإنه من الطبيعي أن يتخذ لنفسه عرشًا يجلس عليه تشبهًا بالله عز وجل .

ولقد صدرت كثير من المؤلفات عن مثلث برمودا وبحر الشيطان، ولكن البعض القليل جدًا منهم في الآونة الأخيرة أشارت بوضوح إلى أن عرش إبليس يسكن تلك المنطقة ومنها كتاب حوار مع الجن للصحفي أسامة عبد الكريم وقد تعرض للأمر بسرعة عابرة لأن المعلومة قد استقاها ووصلت إليه من رسالة جاءته من جن مسلم وأخبره فيها أن عرش إبليس على شكل مثلث هرمي، والكتاب الآخر أيضًا لصحفي ويحمل اسمًا مشابهًا وهو «حوار صحفى مع جن مسلم» لمحمد عيسى داود، أشار أيضًا بالتفصيل من خلال حواراه مع الجن المسلم كنجور أن إبليس له عرش ويقيم دولة في منطقة مثلث برمودا، وأنه وإن كان لنا سبق في الإعلان عن عرش إبليس على مثلث برمودا والتعرض لدولته ومملكته في تلك المنطقة وغير مثلث بحر الشيطان في المحيط الهادى، فإن ما جاء على لسان الجن المسلم من تأكيد ما وصلنا إليه بفضل الله يؤكد صحة المعلومة ويفك الطلسم الذى أحاط بهذا المثلث وغيره .

مثلث برمودا :

هذا المثلث ليس شكلاً حقيقياً فى الطبيعة أو أنه له حدود من الأرض مثلاً تحدد شكله، وإنما هو مثلث وهمى رسمه العلماء للمنطقة التى تقع فوقها الحوادث الغريبة للسفن والطائرات فى المحيط الأطلنطى، مساحة هذه المنطقة حوالى ٧٧٠ ألف كيلو متر مربع، وطالما هو مثلث فله أضلاع ثلاثة:

الضلع الأول للمثلث يقع عند جزيرة برمودا ولذلك سمي المثلث بهذا الاسم وهذه الجزيرة تخضع للحكم البريطانى ولها عاصمة تسمى هاملتون، والضلع الثانى

للمثلث «جنوب شرقى» لجزيرة بورتوريكو وهى تابع للإدارة الأمريكية وعاصمتها «سان جوان» ، والضلع الثالث الغربى نحو شبه الجزيرة «ميامى - فلوريدا» بالولايات المتحدة الأمريكية .

حوادث غامضة حيرت العالم :

منذ الآلاف من السنين وهذه المنطقة المسماة بمثلث برمودا لغز حير العلماء والناس ، فلا أحد يدرك السبب فيما يحدث فى هذه المنطقة من حوادث غريبة للسفن قديمًا التى تمر بها وكذلك الطائرات التى تمر فى سمائها، لقد اختفت عشرات الطائرات والسفن فى هذه المنطقة حتى بلغ عدد السفن المخبئية ١٤٠ سفينة وهو ما تم تسجيله رسميًا .

ومع التقدم العلمى الرهيب فى العصر الحالى قامت الدول المتقدمة علميًا وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها بإطلاق الأقمار الصناعية فوق مثلث برموده، وكانت النتيجة أن الصور مشوشة باستثناء صورة أظهرت كلمة من الأرض غير واضحة، وعندما أرادوا التركيز على تلك المنطقة لم تظهر أى صور مما يؤكد أن هناك قوة قادرة على التحكم فى الأقمار الصناعية وكاميرات التصوير .

ولقد حاول العلماء تفسير ما يحدث من الناحية العلمية فلم يستطيعوا ، حتى قال بعضهم إن مثلث برمودا منطقة شاذة كهرمطيس وخارج حدود الزمان والمكان .

وفى عام ١٨٧٢م وبالتحديد فى نهاية هذا العام وجدت السفينة «مارى سبليست» دون ركابها وطاقم السفينة المكون من ثمانية بحارة والربان وزوجته وابنه وكانت رحلتها من نيويورك إلى جنوة، وعندما وجدت كانت بالقرب من البرتغال

بعد مرورها بمثلث الرعب.

والسفينة «كارول ويرنج» وجدت دون ركابها ومن عليها من طاقمها المؤلف من ١٢ بحاراً ودون قارب النجاة وكل ما عليها بوضع جيد حتى أن طاولة الطعام وجدت عليها بقايا طعام لم يؤكل بعد.

والأعجب من ذلك السفينة «سيكلوب» سنة ١٩١٨م قد اختفت في المثلث وهى من أكبر سفن الأسطول الأمريكى دون إرسال أى إشارة إنذار أو استغاثة وكان على متنها ثلاثمائة شخص لم يعودوا أيضاً.

وفى عام ١٨٠٠ م اختفت السفينة «أنسرجنت» وعليها ٣٤٠ راكباً ولم تسفر نتيجة البحث عنها عن جديد.

وفى عام ١٨٤٠ م اختفت السفينة الفرنسية «روزالى» واختفى طاقمها ثم ظهرت السفينة عائمة على المياه دون أى أثر للعنف أو احتمال تعرض طاقمها لحالة سطو من قراصنة البحر.

من الغريب أنه فى تلك المنطقة تتجمع كل ثعابين البحر من أوروبا كل عام للتكاثر ووضع البيض ثم تموت الثعابين البالغة وتبدأ الثعابين الصغيرة فى الرحلة إلى أوروبا مرة أخرى، وتعد هذه الظاهرة من الظواهر الطبيعية الغريبة التى حيرت العلماء.

وأشار بعض الغطاسين إلى أنه يوجد فى مثلث برمودا آثار حضارة قديمة منتهية غطتها مياه البحر، فقد شاهدوا العديد من الجبال أثناء تجولهم فى القاع مما يجعل المياه هادئة تماماً، كما شاهدوا حيوانات بحرية ضخمة غريبة الشكل ومنها ثعابين بحرية ضخمة، وعثروا على هياكل عظمية فى قاع المحيط طولها ٩٠ قدم.

وهناك حادثة غريبة من نوعها لم تتكرر فى مثلث برمودا، حدثت للسفينة

«لاداهاما» عام ١٩٣٥ م حيث غرقت فى مثلث برمودا وتم إنقاذ ركابها ومن عليها وبعد فترة طويلة ظهرت السفينة مرة أخرى بعيداً عن المثلث وبدخلها طاقمها، والعجيب أن البحارة لم يعلموا أن السفينة غرقت وظهرت مرة أخرى.

وقد ذكر أحد العلماء ويدعى «سبنسر» إلى وجود قوة تقوم بخطف السفن والطائرات تذهب بها إلى خارج الأرض لأنه طبقاً لقوانين الأرض لا يمكن أن يتم ذلك فى ظل ظروف مناخية جيدة.

فى عام ١٩٢٤ م تلقى حرس الحدود استغاثة من سفينة الحاويات اليابانية «ريفوكومارو» تقول «الرعب يهددنا .. خطر .. خطر .. احضروا حالاً..» ولكنها اختفت بعد ذلك.

وبعد حادثة تلك السفينة قامت خمس طائرات حربية للقيام بمهمة تدريبية فوق مثلث برمودا وما كادت تمر فوق سمائه حتى أرسلت للقاعدة استغاثة «نحن فى حالة طوارئ .. يبدو أننا خارج خط السير تماماً لا نستطيع رؤية الأرض..» واختفت الطائرات الخمس .. وكذلك اختفت طائرات الإغاثة التى أرسلت للبحث عنها، وكانت آخر الإشارات التى سجلت للطائرات المختفية أنه «يبدو وكأننا نظير فوق مياه بيضاء .. لقد فقدنا تماماً..» وقامت قوة من ٣٠٠ طائرة للبحث ومعها مئات القوارب والغواصات دون جدوى.

وكان هذا أول اختفاء سجل للطائرات الخمس المكونة للسرب ١٩ فوق مثلث الرعب وكانت تلك البداية لحوادث اختفاء الطائرات فوق مثلث الرعب.

وتفصيل هذه الحادثة للطائرات الخمس الأمريكية يرجع إلى يناير عام ١٩٤٥ م حيث انطلقت الطائرات من قاعدة بولاية فلوريدا فى مهمة تدريبية وبعد انتهاء مهمة التدريب بنجاح أمر قائد السرب بالعودة إلى القاعدة، وفى طريق العودة وبلا مقدمات

من فوق سماء مثلث الرعب أرسل قائد السرب الليوتينات «تشارلز تايلور» إشارة استغاثة هزت برج المراقبة، وكان نصها «هنا الليوتينات .. «تشارلز تايلور» قائد الرحلة ١٩ .. هل تسمعنى .. أجب ييدوا أننا فقدنا طريق العودة .. ييدوا أننا انحرفنا عن الخط المستقيم، إننى لا أستطيع الرؤية للأرض، إننى لا أستطيع تحديد اتجاه الغرب، إن كل شيء حولى خاطئ، وغريب فى المحيط لا ييدو كما اعتدت رؤيته ييدوا أننا .. ييدوا أننا !!».

وفجأة انقطعت الرسالة الصوتية وساد جو من الرعب فى برج المراقبة وباءت محاولة الاتصال بالسرب بالفشل .. ثم جاءت رسالة أخرى من قائد السرب «لست متأكدًا أين أنا؟ ييدوا أننا ضللنا الطريق .. هل تسمعنى أجب ..».

وانطلقت فرق الإنقاذ التابعة للقاعدة الجوية بطائرة إنقاذ على متنها ١٣ رجلاً من الرجال المدربين على الإنقاذ السريع، وعند وصول بعثة الإنقاذ إلى المنطقة حدث ما لم يكن فى الحسبان حيث اختفت طائرة الإنقاذ أيضًا.

وقد أكد أحد الطيارين الذى كان يطير بطائرته حول المنطقة أنه تلقى رسالة من قائد السرب «تشارلز تايلور» مفادها: «هل تسمعنى .. لقد أدركت أين أنا .. إننى على ارتفاع ٢٣٠٠ قدم ولكن هناك شيء غير طبيعى .. بل مستحيل أن يكون ما أراه الآن هو شيء طبيعى .. إن كل شيء أمامى يسيرنى ويشدنى إننى مسير برغم إرادتى .. هل تسمعنى .. العاصفة قادمة السرعة مائة ميل .. إن جميع البوصلات تنصرف وكأن مسًا أصابها .. كل واحدة منها تشير إلى اتجاه مختلف .. هل تسمعنى .. أجب ..».

ثم جاءت رسالة أخيرة تقول على لسان قائد السرب المفقود:

«لا تأتوا خلفى .. لا تأتوا خلفى إن استطعتم حاولوا جاهدين .. لا تأتوا،

لقد انتهى كل شيء .. لا تأتوا لنجدتنا .. لم يعد هناك فائدة مرجوة .. إنهم من الفضاء الخارجى .. إنهم سكان كواكب أخرى فى هذا الكون .. هذا ما يبدو لى .. أكرر لقد انتهى كل شيء .. هل تسمعنى .. !! .

وبالفعل انتهى كل شيء واختفى السرب المكون من خمس طائرات والطاقم المؤلف من أربع عشرة طياراً وكذلك فرقة الإنقاذ المكون من ثلاث عشرة طياراً من خيرة الطيارين .

وإذا كانت آخر الرسالة التى أرسلها قائد السرب المفقود تدل على وجود كائنات من كواكب أخرى على حد ظنه لأنه رأى أشكالا غريبة من غير الجنس البشرى إلا أننا نؤكد أن ما رآه هذا القائد ليس إلا جنود إبليس وأعوانه، وأن هؤلاء الطيارين وقعوا أسرى تحت قبضتهم حتى الآن كما سنعرف عندما نتعرض إلى الحديث عن مملكة إبليس .

* رصد ظاهرة اختفاء السفن بالمثلث :

طبقاً للإحصائيات المسجلة فإن حوادث الاختفاء للسفن بمنطقة مثلث برمودا بدأت عام ١٨٠٠ م، حيث سجل اختفاء ما يقرب من ٥٠ سفينة ، وذلك من خلال الرسائل التى أرسلت للاستغاثة، وتتابع الحوادث فى العصر الحالى فقد اختفت السفينة الأمريكية سايكلوب عام ١٩١٨م وعلى متنها ٣٠٩ فرداً، وفى عام ١٩٥١م اختفت السفينة الحربية البرازيلية ساوباولو، وفى عام ١٩٧٠م اختفت السفينة «شاحنة» «ملتون اتراندر» وعلى متنها كميات هائلة من الزيوت النباتية والصودا الكاوية .

وفى عام ١٩٨٢م انفجرت ناقلة البترول الأمريكية «نيواورلبانز» بالقرب من جزيرة برمودا رغم أنها كانت خاوية من أى حمولة، ولا توجد أى إشارة من قريب أو بعيد تفيد أن هناك حادثة غريبة حدثت للناقلة من طاقمها، وقد ذكر الناجون منها أن الناقلة انفجرت دون أى سبب.

* طائرات استطاعت النجاة :

وبالرغم من ذلك كله فإن هناك بعض الطائرات استطاعت أن تنجوا من الاختفاء أو الاختطاف فوق مثلث الرعب، ومنها سبع طائرات حربية أمريكية فى مهمة رسمية عبرت المثلث عام ١٩٤٤ م بقيادة «ديك استرن»، وشارك قائد السرب يتحدث عن تجربته :

«إنه أثناء عبورى فوق مثلث برمودا اختل توازن الطائرة بصورة شديدة ومفاجئة بدرجة ألقت أفراد طاقم طائرته على الأرض، وعندما حاولت الاستدارة بالطائرة للعودة إلى القاعدة أحسست أن الطائرة تفقد قدرتها على الارتفاع وأنها تنجذب نحو منطقة معينة من مياه المحيط كأن بها قوة ما تجذبها إليها».

لكنه نجح فى النجاة بطاقم طائرته وعاد إلى القاعدة بسلام، ولكن المؤسف أن هناك خمس طائرات لم ترجع إلى القاعدة والسبب أنها فقدت فى المثلث أى أن الشيء المجهول الذى يجذب الطائرات كما ذكر «ديك استرن» قد جذبها إلى المنطقة التى أشار إليها دون تحديد، وبالتالي فإن خمس طائرات فقدوا وعاد اثنان فقط كى يكونا شاهداً لإثبات على ما حدث وكى يزداد الغموض غموضاً.

وفى عام ١٩٦٤م مرت طائرة نقل ركاب بقيادة «ويكيلى» من ميامى بأمريكا

إلى «ناسو» وذلك لتوصيل بعض الركاب والعودة ثانية إلى ميامي، وعند المرور فوق سماء برمودا لاحظ قائد الطائرة أن لهيباً ينبعث من أجنحة الطائرة فظن أنه خداع للضوء، وبعد دقائق زاد اللهب وأصبح شيئاً غير عادي، والغريب أن جميع البوصلات بالطائرة اختلت وأعطت إشارة غير مفهومة، وبدء اللهب ينتشر في الطائرة كلها، ولم يستطع القائد رؤية أى شيء أمامه، واستسلم للأمر الواقع، وترك الطائرة تسير كما تشاء، وبعد حوالي ٥ دقائق اختفى اللهب تدريجياً وعادت أجهزة الطائرة تعمل من جديد، وعندما عاد إلى المطار وجد جميع أجهزة الطائرة سليمة ولا شيء فيها، بل عندما قص ما حدث لزملائه أخبره بعضهم أنه حدث له مثل ذلك أثناء المرور على المثلث.

* منطقة الرعب فى المحيط الهادى :

وهناك أيضاً منطقة شبيهة بمثلث برمودا فى مياه المحيط الهادى تواجه السفن والطائرات نفس المصير الذى تلاقيه عند المرور بمثلث برمودا.

وهذه المنطقة تسمى بحر الشيطان وحدودها جنوب غرب اليابان وجزر «بونين» و «تايوان» وتسمى جزر «فورمورا» أو «مثلث فورمورا» وقد اعتبرت اليابان هذه المنطقة أخطر من مثلث برمودا وأعلنت رسمياً بخطر الملاحة فيها.

وهذه المنطقة كانت تسمى منذ القدم ببحر الشيطان لاعتقاد الصيادين والبحارة أن هذه المنطقة مليئة بالعفاريت والشياطين.

وقد تعددت حوادث الاختفاء فى هذه المنطقة حتى أن اليابان أرسلت عدداً كبيراً من العلماء إليها عام ١٩٥٥ م على متن السفينة «كيومارو» لدراسة ظاهرة اختفاء

السفن فيها ولكن الرحلة لم تسفر عن أى نتائج لسبب بسيط وهو أن السفينة ومن عليها من بحارة وعلماء قد اختفوا دون العثور على أثر.

وخلال الفترة من عام ١٩٥٠م وحتى ١٩٥٤م شهدت منطقة بحر الشيطان أكبر عدد من اختفاء السفن حيث وصل عدد السفن التى اختفت إلى تسع سفن، وكانت حوادث الاختفاء للسفن تتم عندما تدخل السفينة مياه المنطقة أو المثلث سواء عن قصد أو عن طريق المصادفة.

كيفية اختطاف الطائرات والسفن

فى مثلث برمودا وفورموزا

إذا كان إبليس - عليه لعنة الله - يسكن هو وجنوده منطقة مثلث برمودا وفورموزا، وكما ذكرت أنه يضع عرشه المثلث على سطح بحر. مثلث برمودا، فإن أى مخلوق يقترب من تلك الحدود يجب اختطافه وأخذ ما لديه وهذا الأمر ليس صعباً على إبليس وجنوده من الإنس والجن.

وعملية اختطاف الطائرات والسفن تتم بالسيطرة عليها بعد تعطيل أجهزتها تماماً، كما أفاد قائد الطائرة التى نجت من الخطف فوق مثلث برمودا «ويكيلى» عام ١٩٦٤ أن أجهزة الطائرة والبوصلة تعطلت وأصبحت تعطى إشارات غير مفهومة عندما مرت من فوق المثلث، عادت تعمل كما كانت من قبل.

إذاً فإن أول شئ يحدث للطائرات والسفن المختطفية المختطفة فى منطقة برمودا هو تعطل الأجهزة، وذلك عن طريق أجهزة علمية دقيقة لها مجال مغناطيسى قوى يستطيع السيطرة على الطائرة أو السفينة ثم يقودها حيث يريد.

وقد فسر بعض العلماء سر اختفاء الطائرات والسفن فى مثلث برمودا وفورموزا إلى قوة مغناطيسية فى هاتين المنطقتين تؤدى إلى وقوع مثل هذه الحوادث، ويذهب أصحاب هذا الرأى أن حوادث الاختفاء للطائرات والسفن صاحبها اختلال أجهزة القياس والرصد وأن القوة المغناطيسية فى مواقع كثيرة من العالم، وأنه قد يحدث أن القوة المغناطيسية تشتد فى مناطق دون الأخرى نتيجة قوة الجذب من مكان إلى آخر كما يحدث لحركة الرياح والمنخفضات الجوية، ووقوع زلازل وهزات مغناطيسية مفاجئة يؤدى إلى إحداث خلل فى أجهزة الطائرات والسفن واختفائها فى قاع المحيط.

وقال البعض أن ما يحدث فى منطقة مثلث برمودا وفورموزا يرجع إلى التيارات المائية السريعة والمناخ المتقلب هناك وكذلك وجود تيارات مائية تندفع بشدة تؤدى إلى حدوث تلك الحوادث.

ولكن هذا الرأى وغيره لم يحظ بالتأييد لأنه مجرد كلام مرسل وأن منطقة برمودا لا يوجد بها مجال مغناطيسى يحيط بها أو تيارات عنيفة وأن مياهها هادئة ساكنة تمامًا، والرأى السائد أن القوة المغناطيسية التى تتحكم فى هذا المثلث ومثله فى المحيط الهادى إنما هى قوة الشر التى يقودها إبليس وجنوده.

*** الأطباق الطائرة من أين تأتى ؟**

سؤال حير الخاصة والعامة منذ ظهور تلك الأطباق التى تخلق فى سماء العديد من الدول المختلفة، حيث رآها العامة من الناس والعلماء والرؤساء، الكل أجمع على أن شكل هذه الأطباق دائرى يطير بسرعة البرق وأسرع من الصوت، والذى دعانى للحديث عنها الرأى القائل بأن الأطباق الطائرة تأتى من مثلث برمودا وتعود إليه!! .

لقد ذكر هذا الرأى «برنسلى لىبو يرتريج» فى كتابه «الزوار الغامضون» وكان دليله أن الأطباق الطائرة شوهدت فوق مثلث برمودا وفورموزا كما أدلى الكثيرون من سكان فلوريدا بأحاديث مفادها رؤيتهم للأطباق الطائرة وهى تحلق فوق منطقة برمودا وأنها تخرج من مياه المحيط وتهبط إليه.

وقد أيد هذا الرأى صاحب كتاب احذروا المسيح الدجال يغزو العالم من مثلث برمودا وأشار فى كتابه إلى وجود المسيح الدجال تحت سطح الماء فى هذه المنطقة وأن الأطباق الطائرة تابعة له وكل ما يحدث من حوادث اختفاء السفن والطائرات من جراء فعلته بالتعاون مع إبليس نفسه.

ونحن لا نختلف كثيراً مع هذه الآراء فى أن الأطباق الطائرة وهى حقيقة ملموسة تأتى من منطقة برمودا وفورموزا ولكن نختلف مع الرأى القائل أنها تابعة للدجال الذى يسكن تحت سطح الماء فى مثلث برمودا والأصح والله أعلم أنه ما زال يكمن فى جزيرة بمنطقة فورموزا حيث أشار إليه الحديث الذى رواه مسلم عن تميم الدارى، وقرر أنه شاهد الدجال فى جزيرة هناك وأخبر بذلك النبى ﷺ وأقره النبى بذلك وسوف يأتى ذكره.

ومن أبرز المؤيدين للرأى القائل أن الأطباق الطائرة هى التى تقوم بخطف الطائرات والسفن فى برمودا وفورموزا خبير علوم الفضاء «جون سبنسر» وعن الكيفية أفاض الدكتور «جيساب» أن الأطباق الطائرة لها القدرة على خلق مجال مغناطيسى قوى يمكن بصفه مؤقتة من التقاط السفن والطائرات التى تقترب من مجالها المغناطيسى، فتحملها وتختفى بها فى قواعد ثابتة لها تحت مياه مثلث برمودا.

ويتم الاستفادة من هذه الطائرات والسفن واستخدام من عليها لصالح قوى الشر وليكن الدجال هو المستفيد من ذلك بالتعاون مع أخيه فى الشر إبليس.

وما ذكره الدكتور «جيساب» من أن الأطباق الطائرة تقوم باختطاف الطائرات والسفن التي تقترب من مجالها المغناطيسى وتحملها إلى قواعد ثابتة تحت مياه المحيط، أكده «ريتشارد وايز» عندما ذكر شهادة أحد الغطاسين ويدلى «بروس مونييه» أنه شاهد تحت الماء فى مثلث برمودا جسمين سريعين، طول الواحد ١٨ متراً ولونه رمادى وشكله بيضاوى وأفاد آخر أيضاً اسمه «لويس لنتو» أنه رأى دورية فى أعماق المياه تشع ضوءاً ثم تختفى.

وقد ذهب إلى هذا رأى عمر الأشقر فى كتابه عالم الجن والشياطين أن الأطباق الطائرة من صنع الشياطين.

وقد اكتشف العالم «جيسوب» أن الأطباق الطائرة تدور حول نفسها بسرعة رهيبة جداً فتحدث حول نفسها مجالاً مغناطيسياً فتختفى عن الأعين فى الوقت الذى تريده وقام بعمل تجارب على أساس ذلك وأكد هذا العالم أن الأطباق الطائرة تعمل وفق نظريات علمية لم يصل إليها سكان الأرض، وأنها مكيفة حسب المتطلبات والأحوال الجوية للأرض.

وقد توصل هذا العالم إلى إجابات كانت قد حيرت العالم كله وعندما أراد أن يعلن عنها ويكشف السر فى شهر إبريل ١٩٥٩م إلى أحد العلماء «مانسون فالنتاين» وجد ميتاً أو مقتولاً بغاز محرك السيارة الخاصة به وقيد الحادث انتحاراً.

وعندما أراد العالم الفيزيائى الشهير «جيمس إى ماكدونالد» أن يواصل بحوث «جيسوب» وجد أيضاً مقتولاً برصاصة فى رأسه فى ١٣ يونية ١٩٧١ وقيد الحادث انتحاراً.

ولكن سوف يأتى اليوم الذى يكشف فيه عن تلك الأسرار التى أصبحت منذ سنوات ماضية قليلة واضحة للجميع وأن وراء تلك الحوادث أيدى خفية من شياطين الجن والإنس.

الفصل الثانى :

إبليس والدجال والعرش

- المخطط الشيطانى
- الدجال يخرج من مثلث فورموزا
- الأطباق الطائرة وبرمودا
- حوادث غريبة للأطباق الطائرة
- مسلسلات الأطفال تمهد للدجال

الفصل الثانى

إبليس والدجال والعرش

المخطط الشيطانى :

فى رسالة الرئيس الروحى للنظام الكهنوتى الشيطانى «بايك» إلى «مارينى» عام ١٨٨٩م تشرح العقيدة الشيطانية بعبادة إبليس أوردها «وليام غاى كار» فى كتابه أحجار من رقعة الشطرنج تقول الرسالة :

«يجب أن نقول للجماهير أننا نؤمن بالله ونعبده ولكن الإله الذى نعبد لا تفصلنا عنه الأوهام والخرافات، ويجب علينا نحن الذين وصلنا إلى مراتب الاطلاع العليا أن نحفظ ببقاء العقيدة الشيطانية . . نعم! إن الشيطان هو الإله. ولكن للأسف فإن أدوناي «وهو الاسم الذى يطلقه الشيطانيون على الإله الذى نعبد» هو كذلك إله . . فالمطلق لا يمكن إلا أن يوجد كإلهين وهكذا فإن الاعتقاد بوجود إبليس وحده كفر وهرطقة . أما الديانة الحقيقية والفلسفة الصافية هى الإيمان بالشيطان كإله مساوٍ لأدوناي ولكن الشيطان وهو إله النور وإله الخير، يكافح من أجل الإنسانية ضد أدوناي إله الظلام والشر» .

ويعلق الكاتب على الرسالة بقوله : «إنه من الممكن أن يتم تقييد الشيطان

واحتواء القوى الشيطانية بسرعة أكبر إذا ما نشرت الحقيقة الكاملة فيما يختص بوجود المؤامرة الشيطانية المستمرة لكل الناس فى كل الأمم المتبقية وبأكبر سرعة ممكنة».

لكن كان غضب إبليس من آدم عليه السلام وحقده عليه سبباً لخروجه من الجنة، وذلك بعد رفضه السجود لآدم عليه السلام طاعة لأمر الله له وللملائكة، ومنذ ذلك الحين وإبليس عليه اللعنة يحكيك المؤمرات لبنى آدم، وحتى تقوم الساعة استخدم فى ذلك كل الأساليب الممكنة وغير الممكنة وتحالف من أجل ذلك مع شيطان الإنس الأكبر المسيح الدجال.

فالمسيح الدجال وإبليس وجهان لعملة واحدة.. لقد التحم الرجلان فى فكر واحد وعقل واحد.. وهدف واحد.. وهو السيطرة على العالم، ومن خلال شخصية المسيح الدجال يستطيع إبليس أن يصل إلى هدفه الذى أقسم عليه من قبل عندما طرد من الجنة قال تعالى: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الاعراف: ١٦] وقال أيضاً ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [سورة المائدة: ٩٠].

لقد عقد الشيطان الأكبر للجن اتفاقاً مع الشيطان الأكبر للإنس المسيح الدجال اتفاقاً يقضى بأن يتعاون الاثنان معاً من أجل الوصول إلى حكم العالم والسيطرة عليه، وأن الذى يظهر للبشرية هو المسيح الدجال مدعى الألوهية، وبالتالى يتحقق أمل إبليس عليه اللعنة فى إضلال بنى آدم وإثبات النظرية القديمة التى اقتنع بها وأراد أن يفرضها على خالقه سبحانه وتعالى أنه أفضل من آدم عليه السلام وأنه رفض السجود له من أجل ذلك.

ولكى يستطيع إبليس الوصول إلى ذلك وضع نظاماً له من الشياطين ومجلساً للوزراء، ثم تحالف مع شيطان الإنس الأكبر وأعوانه من الإنس، بعد أن وضع عرشه على الماء كما ذكرنا.

وبعد وفاة النبي ﷺ فك أسر المسيح الدجال من جزيرة ببحر اليمن كما سيأتى
كر ذلك فى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه، وانطلق نحو تحقيق الهدف،
السيطرة على العالم بواسطة أتباعه من شياطين الإنس، وقد أشار إلى ذلك صاحب
باب أحجار على رقعة الشطرنج حيث قال:

«فى عام ١٧٨٤م وضعت مشيئة الله تحت حيازة الحكومة البافارية - المانيا -
امين قاطعة على وجود المؤامرة الشيطانية المستمرة وتفصيل هذه الواقعة وملاستها:
ن آدم وايزهاوبت أستاذًا يسوعيًا للقانون ولكنه ارتد عن المسيحية واعتنق مذهب
شيطان وفى عام ١٧٧٠م استأجره المرابون اليهود الذين قاموا بتنظيم مؤسسة
تشيلد لمراجعة وإعادة تنظيم بروتوكولات صهيون القديمة على أسس حديثة والهدف
، هذه البروتوكولات هو التمهيد لكنيس الشيطان للسيطرة على العالم كما يفرض
هب الشيطانى وأيديولوجيته على ما تبقى من الجنس البشرى بعد الكارثة الاجتماعية
ماملة التى يجرى الإعداد لها بطرق شيطانية طاغية، وقد أنهى وايزهاوبت مهمته
الأول من مايو ١٧٧٦م».

ومن هذا المخطط تدمير جميع حكومات العالم والأديان الموجودة، وذلك عن
بق تقسيم الشعوب إلى معسكرات متصارعة للأبد، وتسليح تلك المعسكرات حتى
بى بعضها على بعض.

ومن أجل ذلك تم تنظيم جماعة تسمى «النورانيين» لوضع المؤامرة محل التنفيذ
مة النورانيين تعبير شيطانى يعنى جماعة النور.

وأن أبرز التعليمات للوصول للهدف كما وضعها ذلك الشيطان
يزهاوبت»:

١- استعمال الرشوة بالمال والجنس للوصول إلى السيطرة على الأشخاص

الذين يشغلون المناصب الهامة فى جميع الدول، ويتم تهديدهم بالخراب بالمال أو بالفضيحة وهذا حادث فى دول كبرى مثل اليابان وغيرها.

٢- السيطرة على الطلاب المتفوقين فى الجامعات عن طريق الأساتذة الذين يتمون إلى جماعة النورانيين، والدعوة إلى الحكومة العالمية الموحدة، وهذا ما تفعله الماسونية وأتباعها مثل نوادى اللونيز والروتارى فى العالم.

٣- العمل على وصول أنصار جماعة النورانيين إلى الوظائف الهامة فى الدول والسيطرة على الصحافة ووسائل الإعلام، وهذا قد حدث بالفعل فى دول العالم.

وانتقل نشاط النورانيين منذ إغلاق محفل الشرق الأكبر فى ألمانيا عام ١٧٨٥م بعد اعتبارهم خارجين على القانون إلى الخفاء، بعد أن أصدر رعيمهم «وايزهاويت» تعاليمه إلى أتباعه بالتسلل إلى صفوف ومحافل جمعية الماسونية الزرقاء وتكوين جمعية سرية فى قلب التنظيمات السرية.

وهكذا أصبحت الماسونية هى الوجه الجديد للمذهب الشيطاني فى العالم، وتحت اسم الإنسانية والأهداف السامية كانت خطط الشيطان تنفذ لتدمير العالم وإثارة الحروب.

واستمر مخطط النورانيين حتى عهد الجنرال «بايك» الذى خطط لمحرقات ثلاثة دمرت العالم وهى الشيوعية والنازية والصهيونية السياسية، وذلك لإثارة الحروب العالمية، فقد كان الهدف من الحرب العالمية الأولى هو إتاحة المجال للنورانيين للإطاحة بحكم القياصرة فى روسيا وجعلها دولة شيوعية إلحادية.

ثم كان التمهيد للحرب العالمية الثانية لتدمير كل من إنجلترا وألمانيا وظهور سلطات الصهيونية العالمية حتى تتمكن من إقامة دولة إسرائيل فى فلسطين وهذا ما حدث بالفعل.

وأما الحرب العالمية الثالثة فقد قضى لها كما ذكر صاحب كتاب أحجار على رقعة الشطرنج أن تكون فى منطقة العالم الإسلامى بين الصهيونية السياسية والعالم الإسلامى وأن يتم تدمير العالم الإسلامى العربى . وأن هذه الحرب الثالثة تنتهى بفاجعة إنسانية كبيرة تنتهى بسيطرة النورانيين على العالم بعد تنصيب ملكهم المسيح الدجال لحكم العالم .

ولقد أكد ذلك المخطط ما أعلنته الماسونية وجماعة النورانيين على لسان روتشيلد صاحب مؤسسة روتشيلد الشهيرة بالإنجلترا حيث قال صراحة :

«عندما يحين وقت سيدنا وسيد العالم أجمع لاستلام السلطة فإن هذه الأيدى - يقصد الماسونية وجماعة النورانيين - ستتكفل بإزاحة كل من يقف فى طريقه» .

وسيد العالم المقصود فى كلام روتشيلد هو المسيح الدجال وفى نهاية الكلمة السابقة لروتشيلد أعلنها صراحة أيضاً : «ولهذا السبب فإننا بعد السيطرة المطلقة سنعطى اسم الله من معجم الحياة» المصدر السابق .

وما ذكره روتشيلد هو الهدف الأسمى للشيطان وأتباعه ، وإذا حدث ذلك فإن الله سبحانه وتعالى يأمر بالنفخ فى الصور ، لأن الساعة تقوم على أناس لا يعرفون اسم الله كما جاء فى الأحاديث الصحيحة .

لذلك فإن عرش إبليس الذى لا نراه يقع فى مثلث برمودا ، وهناك عرش آخر لشيطان الإنس الدجال مخطط له أن يكون فوق مدينة السلام القدس . . . ولكن هذا لن يكون بإذن الله تعالى .

* المسيح الدجال يخرج من مثلث فورموزا :

لقد أخبر النبي ﷺ عن الدجال لأنه النبي الخاتم، ووصفه وصفاً دقيقاً حتى مكان خروجه أيضاً أشار إليه في أكثر من حديث ففي الحديث الذي رواه أبو نعيم بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأحدثنكم بحديث عن الدجال ما حدث به نبي قومه، إنه أعور، وإنه لحي يمثل الجنة والنار فالتى يقول أنها الجنة فهي النار، وإنى أنذركموه كما أنذر نوح قومه».

وقد خرج البخاري ومسلم وغيرهما نفس الحديث عن أبي هريرة بنفس المعنى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أحدثكم عن الدجال ما حدثه نبي قومه: إنه أعور، وإنه يجيء بمثل الجنة والنار، فالتى يقول أنها الجنة هي النار، وإنى أنذركم به كما أنذر نوح قومه».

وهذا يدل على أن الدجال يعيش منذ زمن طويل عاصر الأنبياء، وكلهم حذروا قومهم منه، ولأن النبي ﷺ هو آخر الأنبياء فقد أفاض وشرح وفسر ما لم يذكره الأنبياء قبله لأنه كما قال أنه خارج فيكم لا محال.

نعم إن الدجال سوف يخرج فينا نحن الأمة المحمدية، قال ﷺ: «ما بعث نبي إلا أنذر أمته الدجال الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن بين عينيه مكتوب كافر» أخرجه البخاري.

ولأنه كذاب مخادع يأتي بأشياء كاذبة يدعى أنها الحقيقة، فيأتي بجنة مثل الجنة ولكنها في الحقيقة نار ويأتي بمثل النار ولكنها في الحقيقة جنة، إنها الفتنة الكبرى.

وقد ذكر البعض الذين صدر لهم مؤلف عن الدجال حديثاً أن الدجال يخرج من مثلث برمودا وأن تميم الداري الصحابي الذي أسلم وحكى للنبي ﷺ قصته مع

الدجال فى جزيرة بالبحر، قد شاهد الدجال فى جزيرة من جزر مثلث برمودا، وقد تابع هذا المؤلف صاحب كتاب «احذروا المسيح الدجال يغزو العالم من مثلث برمودا» الرأى من أن الدجال يعيش بمنطقة مثلث برمودا، ولأن هذه الأمور من الغيبات فإننا نتكلم فيها بحرص ونبحث فيها عن الدليل الأقرب إلى الصحة ولا نجزم بشيء إلا إذا تأكدنا بصحته.

وقال المؤلف^(١) : إن النبى ﷺ لم يحدد موقع الجزيرة التى شاهد تميم الدارى فيها الدجال، كما أن تميم الدارى لم يستطع تحديد موقع الجزيرة لأنها كما يبدو من الجزر التى لم يسافر إليها أحد وتسأل المؤلف هل كان البحر الذى خرج منه تميم الدارى هو بحر الشام أم بحر اليمن؟ أى هل هو البحر الأبيض المتوسط أم البحر الأحمر؟ وانتهى إلى أن البحر هو البحر الأبيض المتوسط أى أن تميم الدارى سار من الشام بحرًا حتى وصل مثلث برمودا قرب الأمريكتين غربًا بسبب الرياح التى أخذته إلى هناك وبالتالي فقد قرر المؤلف أن تميم الدارى وصل بالقرب من الأمريكتين قبل كولبس !! .

والحقيقة التى نراها صحيحة والله أعلم من خلال الأحاديث النبوية الصحيحة أولها حديث تميم الدارى نفسه الذى استند إليه المؤلف وغيره من أن الدجال كان يسكن أى جزر مثلث برمودا.

ولكننا نجد أن النبى ﷺ يقول فى آخر الحديث الذى سوف نذكره إن شاء الله تعالى فقال: فإنه قد أعجبني حديث تميم فإنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، إلا أنه فى بحر الشام أو فى بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، وأوماً بيده إلى المشرق.

(١) كتاب اقتراب خروج المسيح الدجال ص ٣٧ وما بعده بتصريف لمؤلفه هشام كمال عبد الحميد.

وقال القاضي عياض: «ما هو رائدة صلة للكلام ليست بنافيه أى إنه فى جهة المشرق فى بحر اليمن وبحر اليمن يعنى البحر الأحمر والمحيط الهادى لأن اليمن تطل عليهما.

وهذا رأى الذى ذكره القاضى عياض صحيح وواضح من الحديث لأن النبى ﷺ أشار بيده إلى جهة المشرق.

وهناك حديث آخر أخرجه الحاكم ومسند أبى بكر وأحمد فى مسنده عن المغيرة عن عمرو بن حريث قال: شهدت أبا بكر الصديق فى مرضه الذى قبض فيه فأغمى عليه أغماء ثم أفاق، فقال: والله لا ألوكم خيراً - يعنى عمر - ثم قال: إنى محدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «إن الدجال يخرج من خراسان» ذكره الحافظ عبد الغنى المقدسى فى أخبار الدجال.

وأيضاً من نفس المصدر ذكر المقدسى بطرق أخرى نفس الحديث وزاد فيه: «ويتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة».

وذكر أيضاً حديث أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً» وإسناده ضعيف إلا أنه صحيح بشواهده ويشهد له ما رواه مسلم عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة».

ومن الأحاديث السابقة يتضح لنا أن الجزيرة التى كان بها الدجال فى عصر النبوة هى جزيرة بحر اليمن قد تكون تابعة لمثلث فورموزا وليس برمودا، وقد أيد هذا رأى مؤلف كتاب الخيوط الخفية^(١).

(١) محمد عيسى داود.

إلا أنه ذكر أن الدجال يخرج من الجزيرة بعد فك قيوده ب وفاة النبي ﷺ وينطلق لبناء قاعدته ومملكته تحت الماء بمثلث برمودا، وهذا الكلام الأخير لا أساس له من الدين إلا أن الواقع لا ينكره ولكن أيضًا نعود فنقول إنه في النهاية يخرج الدجال من المشرق كما أخبر بذلك النبي ﷺ فيما جاء عنه في الأحاديث السابقة، وهذا لا يمنع أن الدجال يمكن أن ينتقل هنا وهناك دون أن يعلن عن نفسه.

وفي نهاية الأمر ننقل حديث تميم الداري كما أورده الإمام مسلم في صحيحه عن عامر بن شراحبيل الشعبي همداني أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول، فقال: حدثيني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لا تسنديه إلى أحد غيره فقالت: لئن شئت لأفعلن، فقال لها: أجل حدثيني، فقالت: نكحت ابن المغيرة وهو من خيار شباب قريش يومئذ فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ، فلما تأيت - أي ترملت - خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، وخطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد، وكنت قد حدثت أن رسول الله ﷺ قال: من أحبني فليحب أسامة، فلما كلمني رسول الله ﷺ قلت: أمري بيدك فانكحني من شئت. فقال: انتقلي إلى أم شريك، فقلت: سأفعل، فقال: لا تفعل، إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان - لأنها كانت امرأة غنية وعظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان - فإني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك ما تكرهين، ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم - وكان مكفوف البصر - فانتقلت إليه فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي منادي رسول الله ﷺ ينادي:

الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صفوف النساء التي تلى ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس إلى المنبر وهو يضحك فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إني ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تيمم الدارى كان نصرانياً فجاء فبايع فأسلم وحدثني حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن الدجال، حدثني أنه ركب فى « سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ثم أرفثوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة - أى قوارب - فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، فقالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمعت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشدّه وثاقاً مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبرى - أى اطلعتم على - فأخبرونى من أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا فى سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم - هاج موجه - فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفأنا - التجأنا - إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثير الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر. قلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبرونى عن نخل ييسان - بلدة بالشام بفلسطين - قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: أسألکم عن نخلها هل يثمر؟

قلنا: نعم. قال: أما أنه يوشك أن لا يثمر. قال: فأخبروني عن بحيرة طبرية - بحيرة ماء عذب بفلسطين على نحو مائة ميل من القدس - قلنا: عن أى شيء تستخير؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هى كثيرة الماء - قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زُغَر - عين ماء بالشام - قالوا: عن أى شأنها تستخير؟ قال: هل فى العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يشرب - المدينة المنورة - قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه. وإنى مخبركم عنى: إني أنا المسيح وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج، فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان علىّ كلاتهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدةً منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلنا يصدنى عنها، وإن على كل نقب منهما ملائكة يحرسونها. قالت: قال: رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته فى المنبر: هذه طيبة. هذه طيبة - يعنى المدينة المنورة - ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم. قال النبی ﷺ: فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن، لا من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق ما هو، وأوماً بيده إلى المشرق. قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ.

وهذا الحديث من الأحاديث الشهيرة العظيمة التى تحدثت عن الدجال وعلامات خروجه ومكانه فى جزيرة ببحر اليمن وقد أسلم تميم الدارى عام ٩هـ وكان قبل الإسلام راهباً وعابداً فى أهل فلسطين مات عام ٤٠هـ. وهذا الحديث الوحيد الذى رواه النبی ﷺ عن غيره لعظمة شأن ما فيه وتلك رواية الفاضل عن المفضل ورواية المتبوع عن تابعه وفيه قبول خبر الواحد وصدق الرسول ﷺ.

* الأطباق الطائرة ومثلث برمودا :

كما أن ما يحدث فى مثلث برمودا وفورموزا قد حير العالم وحير العلماء، فإن ظاهرة الأطباق الطائرة التى شاهدها الآلاف من البشر من مختلف الأجناس أفراد ومجموعات، أناس عاديون وعلماء ومتخصصون ورؤساء دول كبار، كل هؤلاء شاهدوا الأطباق الطائرة تسبح فى سماء الكرة الأرضية .

وبالطبع فإن ظهور طبق طائر فى سماء أى بلد لا يراه شخص واحد وإنما يراه الكثيرون، وفى بعض الأحيان يظهر الطبق الطائر لفرد واحد بعينه فلا يراه إلا ذلك الشخص، ولكن كى يمكن تصديقه يترك الطبق الطائر آثاراً على الأرض الذى كان يقف عليها ليؤكد صدق كلام الذى رأى وحدث له ما حدث كما سوف نتعرف على بعض الحوادث الغريبة التى حدثت لهؤلاء الذين واجهوا الأطباق الطائرة ومن فيها من رجال غامضون كنا نعتقد أنهم من الفضاء الخارجى .

قد يكون لغز الأطباق الطائرة قديماً جداً، ولكن الثابت أن أول ظهوره كان عام ١٢٥٤م، عندما شاهد مجموعة من الرهبان فى دير «سان اليانز» بالجلترة سفينة ضخمة على شكل صحن تسبح فى السماء تشع منها ألواناً جميلة جداً .

ومنذ ذلك التاريخ والعالم يشاهد الأطباق الطائرة فى سماء الدنيا، ففى إحصاء تم عام ١٩٧٣م ثبت أن أكثر من ١٦ مليون أمريكى شاهدوا الأطباق الطائرة رؤية أكيدة لا شك فيها .

وتم عمل الأبحاث ورصد ظاهرة الأطباق الطائرة فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٤٨م حتى وصلت الأبحاث إلى آلاف الأوراق، ولأن النتائج مذهلة وتؤثر على الأمن القومى الأمريكى لم يكشف عن حقيقة الأمر، وأمام ضغط الرأى العام الأمريكى اضطرت الحكومة إلى إعلان بيان رسمى بأن الأجسام الطائرة قادمة من كواكب أخرى .

وفى السويد سجلت الأطباق الطائرة المبلغ عنها من الناس ما يزيد عن أكثر من ٦٠٠ مشاهدة فى العام الواحد، وكان تعليق قائد الجيش كل ذلك «إن الأمر خطير!!».

لم يكن اعتراف دولة عظمة كالولايات المتحدة الأمريكية بظاهرة الأطباق الطائرة أمراً سهلاً، وإنما أجبرت الحكومة الأمريكية على الاعتراف بها بعد ما حدث على مر السنوات الماضية هناك مما لا يدع مجالاً للشك فى أن هذه الظاهرة حقيقة.

وفى عام ١٩٥٢ وبالتحديد يومى ٢٠ يوليو و٢٦ يوليو تم رصد مجموعة من الأطباق الطائرة حلقت فوق البيت الأبيض ومبنى الكونغرس الأمريكى، وفى نفس الوقت أعلن قائد الطائرات التجارية فى تلك اللحظة نداءات إلى برج المراقبة بالمطار عن وجود أجسام ذات أنوار عالية فى الفضاء على مقربة من خط الطيران الذى يسرون فيه.

وقد شاهد ملايين من الشعب الأمريكى الأطباق الطائرة وهى تدور حول البيت الأبيض.

وفى ألمانيا عام ١٩٥٢ أيضاً حدث أن رأى الماجور «أوسكار ليانج» من سلاح الطيران الألمانى هو وابنته فى طريق عودته للمنزل رأى جسمًا اسطوانيًا وبجواره مخلوقان شبيهان بالجنس البشرى يرتديان لباساً لونه معدنيًا غريب الشكل وكانا يعبثان بالأرض بواسطة أدوات يحملانها، وعندما تنبه المخلوقان لوجود السيد أوسكار وابنته انطلقا نحو الشكل الأسطوانى حاملين معهما بعضًا من تراب الأرض والأدوات التى كانا يحفران بها، وبعد دخولهما تلك الاسطوانة بدأت تهتز سريعًا وتغير لونها من اللون الوردى إلى اللون الأحمر الوهاج ثم اللون الأخضر اللامع وارتفعت شيئًا فشيئًا حتى حلقت فى السماء وأصبحت تدور حول نفسها فى ثوان قليلة.

وفى عام ١٩٦١م ظهر فى سماء موسكو طبق طائر كبير مع مجموعة أطباق أصغر منه حجمًا، وعندما حاول قائد الدفاع المركزى إطلاق الصواريخ عليهم كانت الصواريخ تنفجر قبل الوصول إلى السفن الفضائية والغريب أن الأجهزة الكهربائية التى تعمل عليها قواعد الصواريخ تعطلت تمامًا عندما اقتربت منها الأطباق الطائرة الصغيرة وعندما ابتعدت عنها ودخلت فى الطبقة الطائر الكبير عاد التيار الكهربائى مرة أخرى.

فى الصين شاهد آلاف الناس عام ١٩٦٥، ١٩٦٧م فى سماء العاصمة بكين جسمًا كرويًا شديد اللمعان يصدر عنه أنوار حمراء يسير بسرعة فائقة ثم يتوقف ثم يعاود الطيران بنفس السرعة ثم اختفى، وأدى ذلك إلى اهتمام الصين بتلك الظاهرة ولكن فى سرية تامة لأنهم ظنوا أن تلك الأطباق طائرات تابعة لدول الأعداء من الغرب ولكنهم اكتشفوا غير ذلك.

* حوادث غريبة للأطباق الطائرة :

سجلت كثير من الكتب فى السنوات الماضية الكثير من الحوادث الغامضة والغريبة للأطباق الطائرة، وسوف نذكر منها أهم تلك الحوادث وسوف نشير إلى المصادر فى نهاية الكتاب.

من القدرات الغريبة للأطباق الطائرة أنها تستطيع السيطرة مع الآلات والقوى الكهربائية، وهذا يتضح لنا عما حدث فى ٢ نوفمبر ١٩٥٧م فى البلاغ الذى تقدم به شخصان من أصل مكسيكى عن رؤيتهم لكتلة من النور على بعد ٤ أميال من مدينة ليفلاند التابعة لولاية تكساس وأن محرك السيارة توقف وكذلك أنوار السيارة انطفأت وتعددت البلاغات على شرطة ليفلاند حتى وصل مجموع البلاغات إلى ١٥ بلاغ

يحمل نفس الرؤيا ونفس المعلومات من تعطل محركات السيارة وانطفاء الأنوار أيضاً.

وفى عام ١٩٦٤م نشرت إحدى الصحف اليابانية قصة عن حادثة اختطاف طبق طائر لسيارة سوداء كانت تسير بالطريق السريع ، والقصة كما يرويها الثلاثة الذين رأوا سيارة سوداء تسير أمامهم فى أحد الطرق السريعة وعندما حاولوا تجاوزها شاهدوا سحابة صغيرة غريبة الشكل تنزل من السماء وتقرب من السيارة السوداء التى كان بها سائق ورجل يجلس فى المقعد الخلفى ، وما هى إلا ثوانٍ حتى بدأت السحابة تغطى السيارة بالكامل ثم أخذتها وانطلقت بسرعة مذهلة تفوق أى سرعة لأى طائرة نفاثة .

وكان تفسير العلماء لهذه الحادثة أن أصحاب الأطباق الطائرة من كواكب أخرى يريدون غزو الكرة الأرضية .

وفى ٩ نوفمبر عام ١٩٦٥م انقطع التيار الكهربائى فى أمريكا الشمالية فى سبع ولايات شرقية فى أمريكا لمدة إحدى عشرة ساعة ونصف الساعة ، وقد سجل فى هذه الفترة مشاهدات متعددة لأطباق طائرة بل وتم تصوير أحد هذه الأطباق الطائرة ونشرت الصورة فى مجلة «تايم» فى عدد ١٩ نوفمبر ١٩٦٥م .

ولم يجد المسئولون والعلماء أى تفسير لهذا الانقطاع للتيار الكهربائى ، وقد فسرت مجلة «الطاقة» الأمريكية ذلك الحادث بأن سببه الأطباق الطائرة التى شوهدت تحوم فوق محطة الطاقة الكهربائية الرئيسية أدت إلى قطع قواطع التيار الكهربائى خلال أربع ثوان .

نشرت مجلة الناس وأحداث الساعة الأرجنتينية فى ٨ نوفمبر ١٩٧٣م حادثة للسائق «ديونيسيرو چانكا» ملخصها :

إنه فى يوم الأحد ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣م كان يقوم بنقل شحنة بسيارته إلى منطقة «ريوجاجيجوس» بالأرجنتين وأثناء رحلته أحس بخلل فى إطار السيارة الخلفى، وأثناء قيامه باستبدال إطار السيارة اقترب منه طبق طائر ثم اختفى وراء الأشجار، وبدأ يحس هو بنوع من الارتخاء ثم توجه إليه ثلاثة من مخلوقات غريبة أشبه بالبشر رجلين وامرأة شعرهم أشقر وطولهم يتراوح بين ١٧٠، ١٧٥سم ولباسهم رمادى مثل لباس الغواصين، ووجوههم تشبه وجوه البشر، وعيونهم جاحظة وأصواتهم تشبه أصوات المذياع غير المضبوط، وبعدها رفعه أحد الرجال من أعلى سرتة ومن عنقه، ثم أمسكه الشخص الآخر ووضع جهازاً يشبه ماكينة الحلاقة على أحد أصابع يده اليمنى، وبعد ثوان معدودة سحب الجهاز فأغمى عليه ولم يتذكر بعد ذلك أى شىء، وعندما أفاق وجد نفسه ممدكاً على الأرض بجوار عربات سكة حديد قديمة على بعد ١٠ كيلو متر من مكان سيارته.

وقد تأكد العلماء من صدق هذه الحادثة، وأن السائق المذكور يوجد فى أصبع السبابة بيده اليمنى آثار وخز الآلة التى سحبوا من خلالها عينة الدم، ووجد وخزاً آخر بفروة الرأس وأيضاً تورم دموى صغير.

* ظهور طبق طائرة فى صعيد مصر :

ظهور الأطباق الطائرة فى مصر عام ١٩٩٠م فى شهر أغسطس لشاب مصرى يدعى «عبد الكريم»، أكد هذا الشاب أنه شاهد طبقاً طائراً بإحدى المزارع القريبة من منزله، وفتح منه باب سلط عليه إشعاع جذبته للداخل وتم إجراء بعض التجارب عليه ثم تركوه مغشياً عليه حوالى الساعة العاشرة والنصف صباحاً، وكان وصف هذه المخلوقات كما رآها داخل الطبق أنهم ذوات عيون ثلاثة لونهم أخضر أطوالهم تتجاوز المترين.

والغريب أن بعد تلك الحادثة لهذا الشاب المصرى أنه إذا اقترب من أى جهاز تليفزيون أو راديو يحدث لهذا الجهاز تشويش وظل هذا الأمر معه مدة شهرين، والظاهرة الأخرى التى ظلت معه هى استطاعته أكل الزجاج مثل أكله للعيش الجاف وقد حدث ذلك أمام المشاهدين لبرنامج «حكاوى القهاوى» وأيضاً فى برنامج «فكر ثوانى» عام ١٩٩٤ وشاهد الملايين من مشاهدى التليفزيون هذا الشاب وهو يأكل الزجاج ويقوم ببلع أمواس الخلاقة وإدخال أبرة كبيرة فى فمه وإخراجها دون حدوث أى إصابة له.

وقد جاء تفسير أحد الدكاترة المصريين لهذه الظاهرة عندما استضافوه فى التليفزيون سخيلاً للغاية وسطحياً، ولم يستطع أن يبرر كيف يستطيع إنسان أكل الزجاج وبلع أمواس الخلاقة بسهولة دون حدوث أى إصابة له واعتبر هذا الدكتور ما حدث مجرد أوهام.

* رصد الأطباق الطائرة فى بلدان العالم :

وفى بلجيكا رصدت أجهزة الرادار طبقاً طائراً فى مارس ١٩٩٠م ينطلق بسرعة مسرعاً على شكل مثلث كبير أسود اللون يشع ضوءاً فوق منطقة «راميليز» جنوب شرق العاصمة بروكسل.

وفى عام ١٩٩٠ هاجم أكثر من ٢٠٠ طبق طائر جنوب بريطانيا على فترات مختلفة وذلك حسبما جاءت بلاغات المواطنين هناك: ففى يوم ٢١ يوليو ١٩٩٠م هرع بعض الفلاحين لإبلاغ السلطات البريطانية بظهور كائنات غريبة فجأة فى سماء بريطانيا وتصدر إشارات ضوئية سريعة وأصوات عجيبة بعد تحليقها فوق مزارع القمح شمال شرق لندن بمنطقة «يلتشاير داند».

وتكرر الأمر فى مزارع القمح بمنطقة «ساليبرى» وعلى الفور توجه فريق دولى ضم علماء من بريطانيا وألمانيا وأمريكا واليابان بأحدث الأجهزة والمعدات والكاميرات والميكروفونات لمحاصرة ورصد الدوائر الضوئية التى يعتقد صدورها عن مخلوقات وافدة من كواكب فضائية تقوم بزيارات لكوكب الأرض، وبالفعل تم رصد أول دائرة ضوئية فى صباح يوم ٢٢ يوليو قطر الدائرة ٧٠ قدماً فى أحد مزارع القمح وبالرغم من التأكد القوى لشهود العيان لرؤية ٨ دوائر ضوئية فى حقول القمح خلال تلك الزيارة وأن أضواء برتقالية كانت تصدر عن هذه الدوائر اعترف أحد أعضاء الفريق العلمى الذى انتقل إلى الموقع بفشل كل المعدات التكنولوجية الحديثة التى جاء بها العلماء فى التقاط أى أضواء أو رصد أى أصوات لهذه المخلوقات.

وفى يوم ٩ يوليو ١٩٩٠م شاهد عدد من المواطنين بالجزائر العاصمة والبلدية وعين الدخلى طبقاً طائراً يجوب سماء تلك المدن وتمكن فريق من التلفزيون كان يقوم بتغطية مناسبة وطنية من التقاط بعض الصور للطبق الطائر ثم بثها لمشاهدى التلفزيون هناك، وكان الطبق الطائر فى شكل نجمة دائرية تنبعث منها أشعة ضوئية ذات لون أبيض ثم اختفى بعد إطلاق شرارة لونها أحمر.

وقد أذاعت وكالات الأنباء عام ١٩٨٣م أنه فى قرية أم العيش بالكويت على مسافة ٥٠ كم من مدينة الكويت العاصمة، توقفت فجأة إحدى محطات ضخ البترول الضخمة عن العمل وتوجهت فرقة للإصلاح، وعند وصول السيارة التى كانت تستقلها الفرقة بالقرب من المحطة توقفت هى الأخرى فجأة عن العمل وحاول السائق إصلاح السيارة أو تحديد العطل دون جدوى، وعندما توجهت فرقة الإصلاح سيراً على الأقدام إلى محطة الضخ شاهدوا جسماً اسطوانياً ضخماً ينبعث منه نور باهر يربض على مقربة من المحطة وبعد دقائق من الدهول شاهدوا الجسم يرتفع عن

الأرض دون إحداث أى صوت واختفى فى السماء بسرعة مذهلة، وبعد ذلك عادت المحطة إلى العمل بشكل طبيعى جداً وكذلك السيارة؟ والغريب أن محطة الرдар القريبة من المنطقة لم ترصد هذا الطبق الطائر.

* العلاقة بين الأطباق الطائرة ومثلث برمودا :

بعد هذا السرد السريع لبعض حوادث الأطباق الطائرة، علينا أن نفسر السر بين تلك الأطباق الطائرة التى ظن الكثيرون أنها تأتى من خارج الكرة الأرضية وأنها من كواكب أخرى، ظل هذا الاعتقاد سائداً حتى تم رصد طبق طائر يحوم فوق منطقة مثلث برمودا فى عام ١٩٧٨، وكان هذا الرصد بداية لمعرفة سر اختفاء الأطباق الطائرة، حيث تذهب فوق سماء مثلث برمودا ويحدث ما يشبه المغنطة حول الطبق الطائر فيختفى، عن أعين مشاهديه ثم يرسو فى القاعدة المعدة له.

فأصحاب الأطباق الطائرة هم جنود إبليس والدجال أى إنهم شياطين الجن وشياطين الإنس أتباع المسيح الدجال، وكلاهما يعملان لهدف واحد مشترك بينهم، وهذا التفسير يتأكد لنا من خلال الحوادث التى ذكرنا بعضاً منها، ومن أقوال الذين شاهدوا أصحاب تلك الأطباق وروادها فهم يتحدثون بجميع أنواع اللغات وأيضاً عن طريق التخاطر، وأن البعض منهم ظهرت عليهم قدرات خاصة بعد عمل تجارب عليهم بمعرفة رواد الأطباق الطائرة كما حدث للشاب عبد الكريم المصرى، وعملية تشكيل الجن فى أى صورة ممكنة، وحدثت قديماً مع إبليس عندما تشكل فى صورة شيخ نجدى لحضور اجتماع كفار قريش فى دار الندوة كى يقضوا على الإسلام بقتل الرسول ﷺ.

وليس مثلث برمودا هو القاعدة الوحيدة للأطباق الطائرة وإنما هناك مثلث فورموزا أيضاً لأنه القاعدة الأساسية للدجال ومقره الدائم، وأن الأطباق الطائرة هي السلاح الجوى التابع لقيادته شخصياً والذي سوف يظهر به آخر الزمان عندما يخرج من مكانه السرى بإحدى جزر فورموزا بالشرق كى يواجه المهدي عليه السلام.

* مسلسلات الأطفال تبشر بالدجال :

التابع لمسلسلات الأطفال قديماً وحديثاً وهى أفلام الكرتون، يجد أنها تتحدث دائماً عن البطل المنقذ على سبيل المثال قديماً شخصية الفأر الطائر «فرافيروا» ، ثم الحلقات الشهيرة المسماة «مازنجر» وهو آلى ضخّم صنع لمواجهة شخصية شريرة تسمى «أبا الغضب» وتابعه «المزدوج» والمتأمل لهذا المسلسل يجده أنه يدور حول محاولات «أبى الغضب» العالم الشرير الذى يحاول السيطرة على العالم ويساعده تلميذه «المزدوج» الذى يحمل شخصيتين نصف رجل ونصف امرأة وأن البطل الذى يتصدى لهذا الشرير ليس إلا آلى ضخّم يقوده إنسان.

وشخصية «أبى الغضب» ليس إلا رمز لإبليس والمزدوج ليس إلا الدجال وكلاهما يحاولان السيطرة على العالم ويخططان من أجل ذلك منذ سنوات وسنوات، والذى سوف يتصدى لهما ليس آلياً عملاقاً وإنما هو شخصية عظيمة من نسل النبی الخاتم ﷺ بشر بها فى أحاديث كثيرة ألا وهو المهدي المنتظر.

ومن أراد المزيد فعليه بقراءة كتابى «نهاية العالم قريباً» وبالتالي فإن الدجال وأعدائه يمهّدون له بكل الوسائل حتى عقول الأطفال يتم إعدادها لاستقباله وفى هذه الأفلام المعدة للأطفال يظهر الطائر بشكل عادى وطبيعى، فهو السلاح الجوى للدجال وبه سوف يظهر على العالم فقد قال عن سرعته فى الأرض الحديث الذى

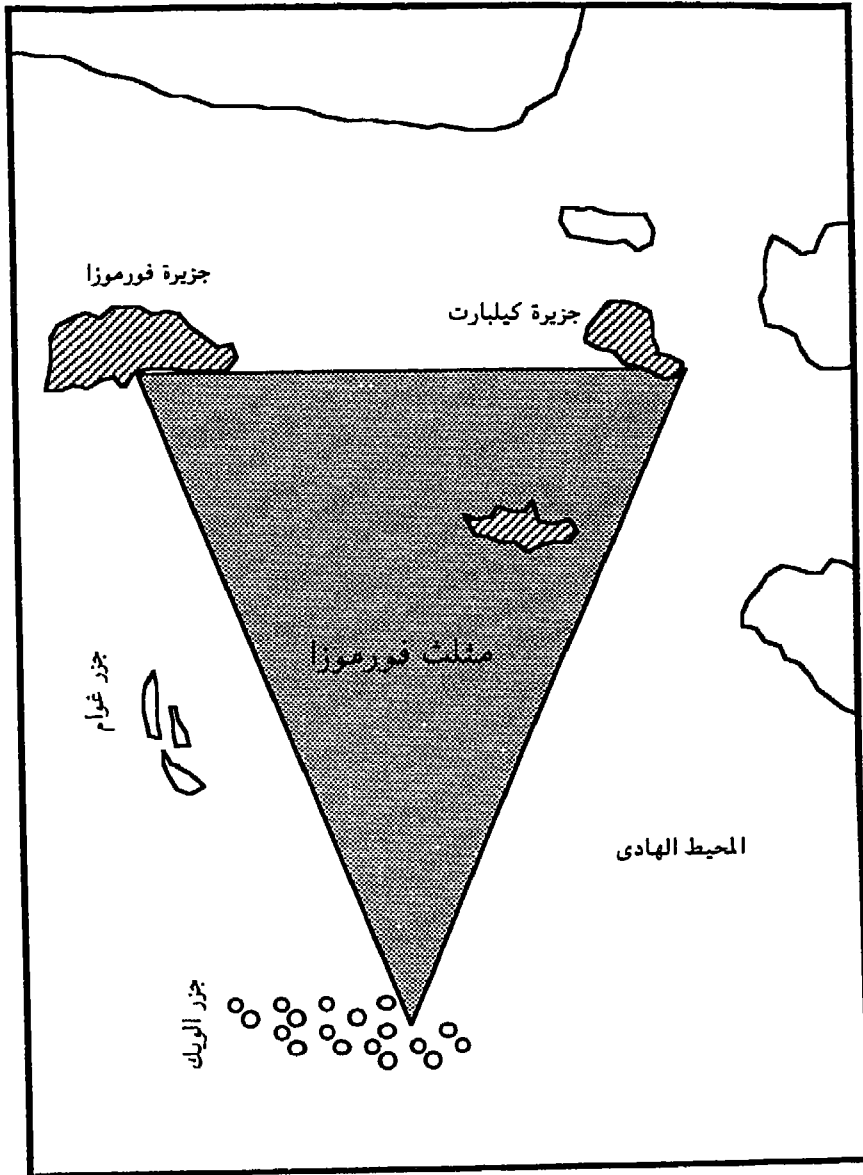
رواه مسلم فى صحيحه عن النبى ﷺ عندما سأل عن إسراعه فى الأرض - أى سرعته - قال: «كالغيث استدبرته الريح».

وقال أيضاً: «وتطوى له الأرض طىَّ فروة الكبش» وجاء فى وصف الدابة التى سوف يركبها أن عرض ما بين أذنيه - أربعون ذراعاً - وفى رواية سبعون ذراعاً.

قال ﷺ: «وإذا ظهر أثنه أتان» أثنى الحمار» عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعاً، فيضع على ظهرها منبراً من نحاس فيعقد عليه» رواه نعيم بن حماد.

وهذا الوصف النبوى ليس إلا رمزاً كى يقرب الدابة التى سوف يركبها الدجال لأصحاب النبى ﷺ فى عصره، فهذا الحمار ليس إلا طبقاً طائراً عرضه أربعون ذراعاً أو سبعون ذراعاً وعليه منبر من نحاس يجلس عليه وهذا دليل على أن الدابة مصنوعة وليست حقيقة والله أعلم.

والذى يؤكد أيضاً أن وسيلة المواصلات التى سوف يركبها الدجال هى الأطباق الطائرة ما جاء فى حديث تميم الدارى الذى ذكرناه، أن الدجال قال له أنه سوف يسير فى الأرض فلا يدع قرية إلا هبط فيها فى أربعين ليلة، واللفظ واضح فى الحديث «فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة» ، ومعنى هبطتها أى أنه يركب شيئاً يطير فى الهواء، وهذا يؤكد أن الحمار المذكور فى الحديث النبوى ليس إلا تقريب لأذهان من عاش فى العصر النبوى وأنه فى عصرنا الحالى هو الطبق الطائرة لأن سرعته يستطيع أن يجوب الأرض كلها فى أربعين ليلة مثل السوبر مان.



خريطة توضح موقع مثلث فورموزا

الفصل الثالث :

مملكة إبليس فى مثلث

برمودا

- أبناء إبليس الخمسة
- ملوك الشياطين السبعة ووزراؤهم
- التعاون بين الدجال وإبليس
- المسيح الدجال إنسان وليس شيطاناً

الفصل الثالث

مملكة إبليس فى مثلث برمودا

إذا كان إبليس قد وضع عرشه على البحر فى مثلث برمودا، ولأن العرش هو سرير الملك لذا فإنه من الطبيعى أن يكون لهذا الإبلis اللعين دولة أو مملكة يضم فيها أعوانه وأبناءه ومريديه من الجن والإنس، ويتربع هو على العرش كملك متوج، يدعى الألوهية كما يدعيها قرينه من الإنس الدجال حين يخرج.

ولأن نظام المملكة يتكون من الملك المتوج الجالس على العرش، وهو إبليس -عليه اللعنة من الله - وكل مقاليد السلطة فى يده، وهناك وزراء ورؤساء، وزراء ينفذون الخطط ويشرفون على التنفيذ كل منهم له عمله واختصاصه، إنه النظام المتقن الذى يسعى إلى نشر الشر والفساد فى الأرض بين بنى الإنسان حتى يهوى الكل فى النهاية فى نار جهنم والعياذ بالله.

ولقد أفاض فى تقسيم دولة إبليس كتاب السحر لمحمد محمد جعفر وهو مترجم عن كتاب لمؤلف فرنسى «س. لامبروزو» التقسيم للدولة الإبلسية يعتمد على الكواكب السبعة وكان القدماء يضعون هذا التقسيم فى كتب السحر، لأن الساحر حين يريد أن يقوم بعمل سحر معين يستعين بالشياطين أتباع الملوك السبعة الذين جاء ذكرهم فى الكتب الصفراء القديمة وهم:

- ١- ميمون : ليوم السبت ورمزه كوكب زحل .
 - ٢- فاركان : ليوم الأحد ورمزه كوكب الشمس «كانوا قديماً يطلقون على الشمس كوكباً رغم أنها غير ذلك» .
 - ٣- أركسا : ليوم الاثنين وكوكبه القمر .
 - ٤- سماكس : ليوم الثلاثاء وكوكبه المريخ .
 - ٥- مودياك : ليوم الأربعاء وكوكبه عطارد .
 - ٦- سووث : ليوم الخميس وكوكبه المشترى .
 - ٧- سارابوترس : ليوم الجمعة وكوكبه الزهرة .
- وقد أطلق على الشمس والقمر اسم الكوكب وهما ليسا من الكواكب ولكنها تسمية قديمة .

* أبناء إبليس :

هذه الأسماء للملوك الشياطين قد تكون غير حقيقية ولكننا نذكرها هنا على سبيل المثال، وهذه الأسماء وجدت في كتب السحر القديمة وقد أوردها مؤلف كتاب السحر كما ذكر نقلنا عن مؤلف فرنسي، والحقيقة أن هذه الأسماء وغيرها جاءت في كتب أخرى قديمة ومخطوطات أيضاً، والشياطين لا تبوح بأسمائها الحقيقية وإنما تعطى أسماء وهمية، ونحن لا يهمنا الأسماء ولكن الذى يهم هو المضمون .

لقد جاء فى الحديث النبوى الذى رواه مسلم فى صحيحه - باب الفتن - قال

ﷺ لابن صياد - وهو يهودى عراف يتكهن - :

ما ترى؟ قال: أرى عرشاً على الماء. فقال له رسول الله ﷺ: «ترى عرش إبليس على البحر». وهذا الحديث دليل واضح أن عرش إبليس حقيقة لا خيال وجاء ذكر هذا العرش أيضاً في الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده والترمذى وهو حسن صحيح: عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد: «ما ترى؟ قال: أرى عرشاً على الماء - أو قال: على البحر - حوله حيات. قال: ذاك عرش الشيطان.

والعرش رمز الحكم والدولة والمملكة ولذلك كان اهتمام الملوك به قديماً اهتماماً كبيراً، ومن أجل ذلك وضع إبليس عرشه على الماء وأحاطه بالسرية التامة والغموض، فلا أحد يستطيع الاقتراب منه أو من المنطقة التى يجلس فيها، هو وأعوانه فى مثلث برمودا.

ومملكة إبليس كبيرة من حيث عدد الوزراء والحكومات والإدارات والأتباع فى كافة أنحاء العالم، وقد ذكر الشبلى فى كتابه أحكام المرجان عن مجاهد قوله: لإبليس خمسة من ولده قد جعل كلأ منهم على شىء من أمره وهم: ثبر، والأعور، ومسوط، وداسم، وزلنبور، ولكل من أبناء إبليس الخمسة وظائف واختصاصات عامة:

١- فالابن «داسم» يختص بإثارة المشاكل بين الأزواج حتى يصل الأمر إلى الطلاق والفرقة، وهو الذى يمد العون للسحرة الذين يصنعون سحر التفريق قال تعالى فى سورة البقرة ١٠٢ ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

٢- الابن الثانى «ثبر» وهو الشيطان الذى يشجع أصحاب المصائب على الكفر بالله

حين تنزل بهم المصيبة وأكثرهم من النساء اللآتى يلطمن الخدود ويشققن الجيوب، ويقلن كلمات الجزع والسخط والكفر وإذا استطاع أن يصل بالإنسان الذى وقع به الكارثة إلى الانتحار كان أتم أعمال هذا الشيطان.

٣- الابن «مسوط»: وهو شيطان الكذب والكذابين سلاحه شهوة اللسان وينتشر أتباعه فى جميع الأسواق، وفى المعاملات المالية والبورصات، وهو المسئول عن انتشار الشائعات فى كل أنحاء العالم وأوسع مجال له الصحافة ووسائل الإعلان من تليفزيون وراديو وغيرهما.

٤- الابن «زلنبور» هو المشرف العام على جميع أسواق العالم يروج للغش التجارى والحلف الكاذب عند البيع ويغرى البعض بالعراك وإذا دخلت أى سوق من أسواق العامة للخضار مثلاً تجده فى كثير من وجوه الباعة، ويضع راتبه عند كل سوق كما جاء فى الحديث النبوى.

٥- الابن «الأعور» وهو الشيطان الذى يزين الزنا واللواط بين الناس، وهو المسئول عن الأفلام الجنسية والمجلات الفاضحة والصور العارية، ويضع خطوط الموضة الباريسية وغيرها كى تكشف المرأة عن عورتها كل عام بشكل مختلف وأعوانه كثيرون من الجن والإنس.

وهؤلاء الأبناء الخمسة لإبليس ليسوا هم دولته وإنما هم أعوان له، وقد يكون لإبليس أكثر من ذلك وأسماء الشياطين ذكر منها النبى ﷺ فى أحاديث صحيحة اشتهر منهم الولهان وهو المختص بالوضوء فعندما تقوم للوضوء يوسوس لك ويجعلك تسرف فى استخدام الماء الذى تتوضأ به رغم نهى النبى ﷺ عن ذلك، وهناك شيطان الصلاة يسمى خنزب ذكره النبى ﷺ أيضاً وهو يقوم بالوسوسة لك أثناء الصلاة فتتشغل بأمور الدنيا حتى تنسى كم صليت من الركعات، إذن فإن إطلاق أسماء على الشياطين ليست بدعة وإنما لها أصل فى السنة النبوية.

روى الترمذى من حديث أبى بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إن للوضوء شيطاناً يقال له: الولهان فاتقوا وسواس الماء» وكان طاووس يقول: هو أشد الشياطين - ذكره الشبللى فى أكام المرجان.

وروى مسلم فى صحيحه عن عثمان بن أبى العاص قال: قلت: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى فلبسها علىّ. فقال ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً». قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى.

* وزراء الدولة الإبلسية :

ونعود إلى الحديث عن وزراء دولة إبليس وهم كما جاء ذكرهم فى كتاب السحر سبعة ولكل واحد منهم اختصاص معين، ولكل ملك من الملوك السبعة رئيس وزراء وهو المكلف بالتنفيذ وإعداد الخطط وله مطلق التصرف كيف شاء، ويعمل طوال الأسبوع ويتحكم فى مجموعة كبيرة من الشياطين.

وقد روعى فى تكوين هذه المملكة الإبلسية أن تشتمل على جميع نواحى الحياة الإنسانية، فكل رئيس وزراء يخصص له دور مهم فى إفساد الحياة البشرية، وهو باقى فى منصبه لا يتغير وهؤلاء الرؤساء السبعة هم:

- ١- رئيس الوزراء «باعل» وهو رئيس وزراء الملك ميمون.
- ٢- رئيس الوزراء «بوير» وهو رئيس وزراء الملك فاركان.
- ٣- رئيس الوزراء «بيهيموث» وهو رئيس وزراء الملك أركا.
- ٤- رئيس الوزراء «استاروث» وهو رئيس وزراء الملك سماكس.

٥- رئيس الوزراء «فوركاس» وهو رئيس وزراء الملك مودياك .

٦- رئيس الوزراء «مارشوكياس» وهو رئيس وزراء الملك سوث .

٧- رئيس الوزراء «ثيوتوس» رئيس وزراء الملك سارابوترس .

ولكل شيطان اختصاص يقوم بممارسته وتنفيذه بواسطة أعوانه من الجن والشياطين وتلك هي حكمة الله قال تعالى : ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ سورة العنكبوت آية ٢ ، ٣ .

فلا تزعج عزيزى القارئ من هذه الأسماء التى ذكرناها لأن الله سبحانه وتعالى وصف كيد الشيطان بالضعف فقال تعالى : ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ سورة النساء آية ٧٢ .

والذى نريد أن نوضحه هنا ليس ذكر أسماء الشياطين، وإنما معرفة الحقيقة وأن الشيطان الأكبر وجنوده لا هم لهم سوى محاربة وإضلال الإنسان، وهذا هو الهدف من تكوين تلك الدولة أو المملكة الإبلسية ولا ننسى أمر الله تعالى بمحاربة الشيطان وأعوانه قال تعالى : ﴿الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ سورة النساء ٧٢ .

فلا نغفل ولا نغل ولا نتهاون عن محاربة تلك المملكة الشيطانية ما دام فى أجسادنا حياة وروح وتجربى فى عروقنا الدماء، وذلك بطاعة الله ورسوله ﷺ وبالاتباع لدينه الذى ارتضاه لنا ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ .

ونعود إلى مملكة الشيطان وملوكها والوزراء السبعة السابق ذكرهم لتحدث عن أهم وظائفهم وأعمالهم فى إضلال ومحاربة الإنسان :

١- الشيطان باعل رئيس وزراء الملك الشيطاني ميمون :

وهو من أخطر الشياطين وأهل السحر يعرفونه، وهو المسئول فى الدولة الإبليسية عن حبك الدسائس والمؤامرات التى تؤدى إلى قيام الحروب بين الدول والممالك على مر العصور ويقوم بتنظيم عمل الجواسيس والخونة والعملاء وأعضاء الجمعيات الإرهابية الثورية، ويشرف على سياسة الدول الداخلية والخارجية .

إنه شيطان الاستعمار القديم والحديث، ومن مميزات أنه شيطان النحس إذا سلط على دولة أو شخص أصابه بالنحس المركب، فبعد أن يساعده حتى يعلو ويعلو يكون سبباً فى إصابته بالكوارث ولذلك فإنه يقوم فى النهاية بعد التعاون معه بنشر فضائح من يتعاون معه من الزعماء والرؤساء أو يسلط عليهم من يقوموا باغتيالهم من الجمعيات الإرهابية .

ولهذا الشيطان أساليبه المتنوعة فهو مثل الثعبان يوحى إلى أتباعه من الرؤساء وغيرهم من الزعماء على الغدر بخصومهم ثم يصبهم أنفسهم بالهلاك على أيدي غيرهم وهكذا .

ويقوم هذا الشيطان وأعوانه بإلحاق الأذى بالشعوب والدول التى يسيطر عليها أتباعه من الإنس ويشكل الثورات حتى تنتهى الثورة ولا يسودها الاستقرار مثلما حدث للثورة الفرنسية، وكما فعل بالثورة الروسية الإلحادية الشيوعية وصارت ردحاً من الزمان مصدر الإلحاد والشر ورمزاً للشيطان ثم قضى عليها بنفس رجالها وقسمها دولاً متناحرة يضرب بعضهم رقاب بعض .

وهو صاحب فكرة تقسيم العالم إلى دول صغيرة وكبرى، غنية وفقيرة حتى لا يسود العالم الهدوء والاستقرار المنشود، فالدول الكبرى تحاول السيطرة على الدول الصغيرة وتزداد الكبرى رخاء وغنى وتزداد الصغيرة ضِعْفًا وفقراً وجهلاً .

ويسيطر هذا الشيطان على الخونة الذين يبيعون أنفسهم لخيانة أوطانهم مقابل المال، ويشجع على الاغتيالات السياسية ويتولى تنفيذ المجازر والمذابح الإنسانية باسم الدين وباسم السيطرة والتحكم، ولذلك فهو مؤسس جمعيات القتل والإرهاب على مستوى العالم ويطلق عليها أسماء مخيفة ومفرعة، ولذلك يسمون أنفسهم بأسماء شيطانية.

ويقوم أيضاً على نشر الفساد والشقاق والخصام بين الأحزاب السياسية الموجودة بالعالم، ويحرضهم على إعلان الكراهية لنظم الحكم الموجودة، ويمنيهم بالوصول إلى كراسى الحكم يوماً من الأيام، ويقوم بحبك الدسائس والمؤامرات فى تلك الأحزاب حتى ترى الحزب ينقسم على نفسه إلى أحزاب عديدة ولقد شاهدنا هذا يحدث فى دول كثيرة منها بلدنا، فترى هذا يعلن نفسه رئيساً للحزب الفلانى وينشق عن الحزب وينشأ حزباً آخر ويعلن أن من خالفوه خونة وعملاء وخارجين عن مبادئ الحزب، وهكذا يجعل الأحزاب السياسية أداة لفساد الحكم.

بل إنه يقوم بإغراء العداوة والبغضاء بين الجماعات الدينية ويكفر بعضها البعض وهذا حادث فى دول كثيرة فى العالم، وتظن كل جماعة أنها على الحق المبين وغيرها على الضلال والكفر حتى ظهر ما يسمى بجماعات التكفير والهجرة وتكفير التكفير وهكذا.

ويساعد ويشجع على انتشار الرشاوى والمحسوية فى جميع الدول حتى تصبح تلك هى السمة الأساسية، ثم ينشر ويفضح قضايا الرشوة بين كبار رجال الدول الكبرى.

ولكن عندما تظهر كتائب الحق والخير والإيمان ويتنصر حزب الله على حزب الشيطان يولى هذا الشيطان أدباره وينهزم بقوة الحق سبحانه وتعالى مهما طال الأمر فالحق والخير سوف ينتصران بإذن الله.

٢- الشيطان «بوير» رئيس وزراء الملك «فاركان» :

قيل عنه أن شكله مربع له خمسة أرجل كالوحش الكاسر، له القدرة على انتشار الأوبئة والأمراض المعدية وإفساد الصحة، وعمله قائم على الأطباء والصيادلة وأعمال الحمامة فهو المسئول عن أخطاء الأطباء الجسيمة، ويغرى الأطباء بالأموال والسعى وراءه ونسيان الهدف من مهنة الطب أنها مهنة إنسانية قبل أى شئ، فترى الطبيب الكبير والصغير يسعى وراء المال قبل الكشف على المريض وتجد المؤسسات الطبية الحكومية والتي تخدم قطاعاً كبيراً من الناس البسطاء وغيرهم ينتشر فيها الإهمال، حتى صار المريض لا قيمة له ولا عناية ولا دواء ويشجع المرضات والأجهزة المعاونة فى المستشفيات على إهمال أعمالهم وعدم العناية بالمرضى، حتى حدث أن قتلت ممرضة فى مستشفى مسئولة عن العناية المركزة بها عدداً من المرضى فى غرفة الإنعاش لأنهم يضايقونها بأصواتهم وأنينهم طوال الليل فأعطتهم دواء قتلهم، واعترفت هى بذلك.

وفى مجال مهنة الطب يعمل هذا الشيطان بحرية كبيرة فيقوم بتشجيع بعض الأطباء بالقيام بعمليات الإجهاض واستعمال المواد المخدرة فى علاج بعض الأمراض، يقوم بمساعدة من يعمل بالتزوير فى إصدار شهادات طبية مزورة لمن يرغب فى ممارسة مهنة الطب.

ويتدخل كذلك فى مهنة الحمامة حتى صارت مثل مهنة الطب، فجعلها مهنة هدفها البحث عن المال بأى شكل وأى طريقة ولو بالتزوير وشهادة الزور والدفاع عن القتلة، وقلب الحقائق وكتمان الحق وإظهار الباطل، حتى صار هدف المحامى هو الحصول على مصلحة موكله بأى طريقة حتى ولو كان غير محق فى دعواه أو مغتصب حق غيره فإنه يساعده على ذلك والسبب أنه يريد أن يحصل على الأتعاب أى المال.

ويعمل هذا الشيطان ويشجع شركات الأدوية والعاملين عليها على المغالاة في ثمن الأدوية وندرتها في الأسواق بل ويساعد على انتشار الأدوية الفاسدة في الدول النامية ويجعل هدف الصيدلة هو الحصول على المال بأي طريقة.

٣- الشيطان «بيهموث» رئيس وزراء الملك «أركا» :

هو شيطان الكلام والفلسفة والشعر والفن بأنواعه، فهو يسيطر على الصحافة في العالم، ويساعد على انتشار الأخبار الكاذبة وإثارة المشاكل ونشر الفضائح في أوساط الفنانين والسياسيين.

ويطلق عليه شيطان الإلهام للشعراء والأدباء فهو الذى يوحى لهم القصص والمسلسلات والأفلام، وهو مصدر إلهام الكثير من الشعراء إلا الذين آمنوا منهم، قال تعالى فى سورة الشعراء الآيات ٢٢٤-٢٢٧ ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾.

ويسيطر هذا الشيطان على وسائل الإعلام ويوحى إلى المخترعين ببعض الاختراعات التى تساعد على نشر الفساد الإعلامى لبعض الدول إلى الدول الأخرى فهو من وراء صناعة ما يسمى بـ «الدش» والأقمار الصناعية التى ساعدت على جعل الكرة الأرضية كأنها قرية صغيرة وهو المخطط لجميع أفلام الجنس فى العالم ويشجع على انتشارها بين الناس لإشاعة الفساد الجنىسى والانحرافات والشذوذ بين البشر وهذا حادث الآن.

٤- الشيطان «استاروث» رئيس وزراء الملك «سماكس» :

هو شيطان العلم والعلماء يرشد بعض العلماء والمخترعين إلى اختراع أسلحة الحرب والدمار والقنابل الذرية، واستطاع بدوره أن يدمر دولاً من خلال الحروب التي أثارها الشياطين إخوانه ومن خلال صناعة أسلحة الدمار الشامل وغيرها وكان من وراء كل الحروب على الأرض منذ القدم وتمثل في شخصيات كثيرة أثارت الخراب والدمار مثل هتلر وموسوليني وغيرهما.

٥- الشيطان فوركاس رئيس دولة الملك مودياك :

وهو المخطط والمنفذ لكل متاعب التعليم في الدول، فيغري المسؤولين عن التعليم بتغيير خططهم كل عام، وتغيير المناهج التعليمية حتى يصعب التعليم على التلاميذ ويصعب التدريس على المعلمين وبالتالي ينتشر الجهل بين الجميع.

ويغري المسؤولين بتغيير الكتاب الدراسي كل عام حتى يصعب على المدرس استيعابه وتدرسه، وحتى يشتريه الطالب جديداً كل سنة دراسية.

ويقوم أيضاً بوضع الخطط حتى يصبح التعليم وسيلة لجمع الأموال للمدرسين الذين نسوا أنهم أصحاب رسالة سامية قد تصل بهم إلى درجة الأنبياء عند الله، ولكن أصبحوا جباة أموال يفرضون الدروس الخصوصية على التلاميذ حتى أصبح التعليم خاص لمن معه مال أى للأغنياء دون غيرهم وانتشرت الجامعات الأهلية الخاصة والمدارس الخاصة في جميع مراحل التعليم.

وهو الذى يوحى لصناع القوانين ببعض القوانين الاستثنائية لصالح البعض وضد مصالح الجميع، وهو المحرض على انتشار التعقيد فى المصالح الحكومية وجعل الروتين هو المتحكم فى مصالح الناس.

ويتدخل فى أمور التجارة فيجعل التجار يهتمون بالكسب الحرام ويغالون فى أسعار السلع ويحتكرونها ويحلل لهم الغش التجارى والسرقه فى الموازين والخداع مع بعضهم البعض .

٦- الشيطان «مارشوكياس» رئيس وزراء الملك «سوث» :

يتحكم هذا الشيطان بأساليه الشيطانية فى نساء العالم وأصحاب العمارات وصالونات الحلاقة والزينة .

فأما أصحاب العمارات فاخترع لهم عقد إيجار للسكن يقيد المستأجر ويغالون فى أسعار الشقق والإيجار واخترع لهم مصطلحات مثل «خلو الرجل» و «مقدم الإيجار» وجعل المؤجر يملئ شروط تعسفية على المستأجر وإذا كان صاحب العمارة جاهلاً غير متعلم ويسكن عنده أصحاب الشهادات مثل الأطباء والمدرسين والعلماء وغيرهم فإنه يستغلهم أسوء استغلال ويثير الفتن بين الجميع .

ويجعل النساء لا تهتم إلا بالموضة وكافة أنواع الملابس وأدوات الزينة حتى قالوا: إن الشيطان لعبته المرأة، ويتدخل فى عمل أصحاب الصالونات فيجعلهم يتكلمون فى جميع الأمور حتى اشتهر عنهم أنهم ثرثارون .

٧- الشيطان «ثيوتوس» رئيس وزراء الملك «سارا بوترس» :

وهو شيطان الخمر والميسر والبنوك الربوية والشركات المزيفة النصابة والمرابين والدجالين، فيقوم بإغراء الناس على شرب الخمر ليزهد عقله ويضيع ماله وصحته، ولقد ساعد هذا الشيطان على انتشار المخدرات بكافة أنواعها حتى دمرت الكثير من البشر وأصبحت وباء لا يستطيع أحد السيطرة عليه بسهولة .

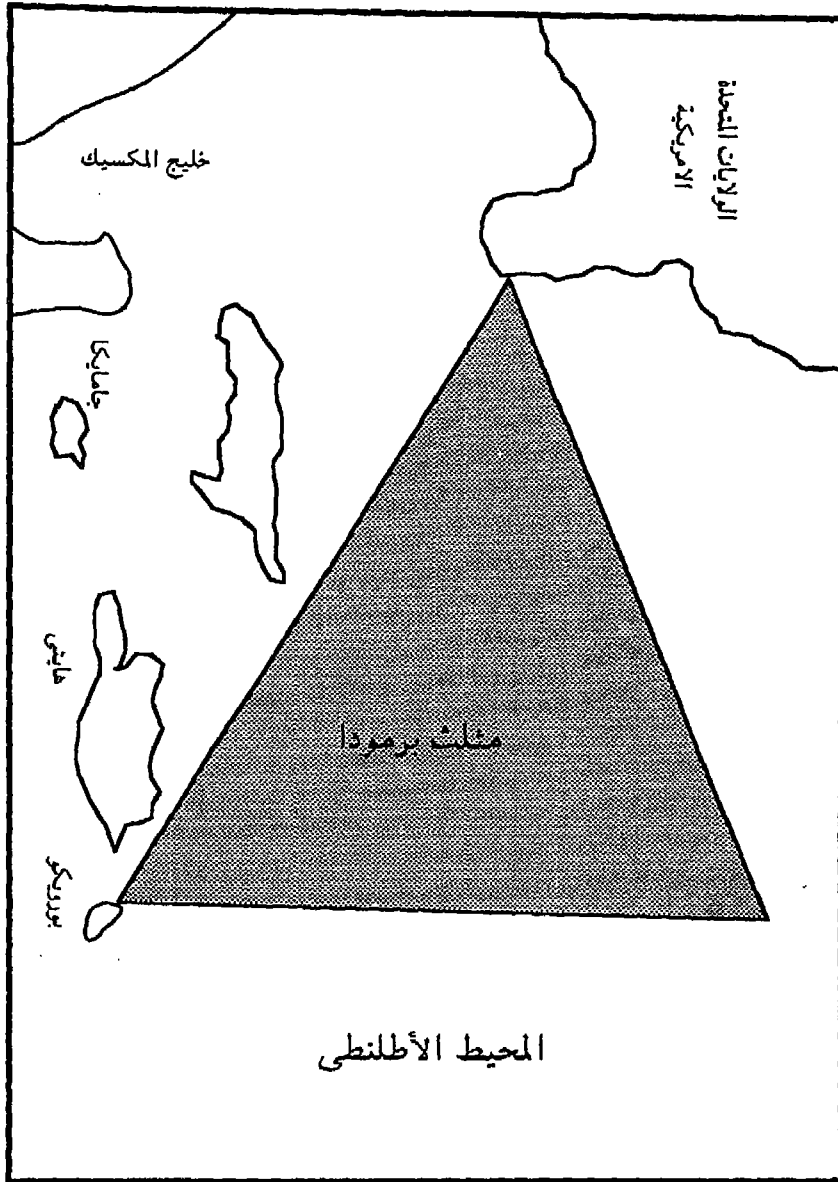
وهو شيطان المرائين يشجعهم على العمل بالربا، وإنشاء البنوك الربوية والشركات التى تنصب على الناس وتسرق أموالهم بغرض استثمارها لهم.

وهو شيطان الدجالين المشعوذين يطلبونه بالطلاسم والتعاويذ، ويغرى النساء بالذهاب إليهم لحل مشاكلهن العائلية فيصنعون لهن أعمال وأسحار للمحبة وطاعة الأزواج لهن وغير ذلك.

هذا باختصار شديد ملخص لدولة إبليس وأعوانه ووزرائه، وهدفهم الذى يسمعون إليه، وهذا يدل على مدى عداوة الشيطان للإنسان، وأن شغله الشاغل هو محاربة بنى آدم فلا يغفل عنهم أبداً، بالرغم من أننا عنه غافلون، ولقد حذرنا الله سبحانه وتعالى منه ومن عداوته فقال فى سورة فاطر آية ٦: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ وفى سورة الأنعام آية ١٢١: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ وفى سورة الأنعام آية ١١٢: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ وصدق الله العظيم.

* التعاون بين الدجال وإبليس :

وهناك تعاون وثيق بين الدجال والشيطان فى خطف الطائرات والسفن التى تمر بالمنطقة التى تسمى مثلث برمودا ومثلث فورموزا، وكلاهما يساعدان بعضهما لأن هدفهما واحد، ولكل منهما منطقته وحدوده، وقد يسأل البعض ما وجه الاستفادة من خطف الطائرات والسفن التى تمر بتلك المناطق! والأمر بسيط فالدجال يقوم بإجراء التجارب على الذين يقعون تحت قبضته من رجال أو نساء فى تلك السفن والطائرات ويستفيد أيضاً من تلك الطائرات أو السفن أو لعله يجرى تجارب عليها حتى أنه وصل إلى صناعة الأطباق الطائرة المتقدمة كثيراً عن الطائرات المعروفة لدينا ولها إمكانية عالية وسرعة فائقة.



خريطة توضح مثلث برمودا وأهم الجزر والدول حوله

ويقوم الدجال باستخدام البشر الذين يقعون فى يده بعد عمل غسيل لعقولهم وأفكارهم واستخدامهم فى مخططاته ومنهم من يعود إلى الأرض مرة أخرى فى طبق طائر يرتدى ملابس غريبة كأنه من كوكب آخر، وقد يتوالد ويكون له ذرية يستفيد منها الدجال وتكون جنوداً له لا يعرفون سواه، ومن جنوده أيضاً الشياطين الذين يخدمونه بأمر إبليس أبيهم ويخدمونه لأنه الوجه الآخر البشرى لأبيهم إبليس.

المسيح الدجال إنسان وليس شيطان :

الدجال هو شيطان الإنس الأكبر وقد ظن البعض أنه جن وليس إنسان واختلف فى ذلك العلماء ومنهم من وصل إلى نظرية وسط أى أنه خليط من الجن والإنس قامه من الجن وأبوه من الإنس، فى زمن سليمان عليه السلام وأن سليمان عليه السلام أخذه وأوثقه بالسلاسل وحبسه فى إحدى الجزر..

وقالوا أيضاً كما ذكر ذلك نعيم بن حماد فى كتابه «الفتن» أكثر من واحد من العلماء منهم شريح بن عبيد وعمرو بن الأسود وغيرهما أنهم قالوا: الدجال ليس بإنسان وإنما شيطان موثق بسبعين حلقة فى بعض جزائر اليمن لا يعلم من أوثقه، أهو سليمان بن داود أو غيره، فإذا آن ظهوره فكأن الله عنه كل عام حلقة.

وهذا الكلام من العلماء يعتمد على الظن وليس على دلائل قوية من الشرع أو السنة، والعقل والشرع يتفقان على أن إبليس هو شيطان الجن الأكبر وأن الدجال إذا كان من الجن فلا حكمة من وجوده لأن هناك من يقوم بدوره من الجن وهو إبليس، وأن الحكمة أن يكون هذا الدجال من الإنس مثلهم حتى تكون الفتنة كبيرة.

أما أنه خليط من الجن والإنس فهذا كلام مبالغ فيه لأن النبى ﷺ أخبر أنه

سيولد من أبوين يهوديين لم ينجبا ثلاثين عامًا، أخرجه الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: «يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عامًا لا يولد لهما ثم يولد لهما غلام أعور. . أضر شيء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه».

وقيل أنه من مواليد الحيض أى أن أبيه جامع أمه فى الحيض فحدث الحمل، ومن المعلوم أن الحيض لا يمنع الحمل وقد ذكر هذا الرأى صاحب كتاب احذروا المسيح الدجال.

واستدل البعض على أن الدجال جنى ما رواه أحمد فى مسنده عن النبي ﷺ فى حديثه عن الدجال أنه عندما يُحَاصَر المسلمون فى الشام وينزل عليهم عيسى ابن مريم لنجدتهم يسألهم: «يا أيها الناس ما يمنعكم من الخروج إلى الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جنى».

وقالوا إن النبي ﷺ لم يعترض فى حديثه على وصف من سيشاهدونه فى زمانه أنه رجل جنى ولو كان غير ذلك لرد النبي ﷺ هذه المقولة وصححها «ذكر هذا الرأى صاحب كتاب اقترب خروج الدجال».

والغريب أن الحديث السابق الذى وصف المسلمون زمان الدجال أنه «رجل جنى» لم يشر إلى أنه من الجن وإنما وصف أفعال الدجال وما يفعله من أعاجيب تحار لها العقول أنه جنى ونحن نقول ذلك على كل من يفعل أفعال عجيبية أو شيطانية شريرة فى زماننا أيضًا فنقول «إنه جنى ابن جنى».

وهذا لا يعنى أن الذى نصفه بذلك من الجن ولكن أتى بأفعال لا يقدر عليها إلا الجن والشياطين مثلاً حسب اعتقادنا وليس حقيقة.

والخلاصة أن الدجال إنسان من بنى البشر أبواه من البشر أيضًا وليس خليطًا

لأنه لا يمكن فى اعتقادنا أن يولد أولاد من نكاح الجن والإنس لأسباب علمية ولكن يوجد تزواج بينهما قائم على الاستمتاع.

وقد يكون ميلاد الدجال جاء فى فترة الحيض أى أن أباء جامع أمه فى حيضها، وكما قلنا الطب والعلم لا يمنع ذلك.

كما قال الدكتور محمد كامل برادة فى «دائرة المعارف التناسلية قبل الزواج وبعده»: «إذا جامع الرجل المرأة فى وقت الطمث فليعلم أن وجود الطمث لا يمنع الحمل» وقد جاء فى كتاب أكام المرجان عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله: «المختنون أولاد الجن. قيل لابن عباس: كيف ذلك؟ قال: إن الله عز وجل ورسوله ﷺ نهيا أن يأتى الرجل امرأته وهى حائض فإذا أتاها سبقه إليها الشيطان فحملت فجاءت بالمختن» والمختن الذى ليس بالذكر أو الانثى.

ولكن الذى نميل إليه كما ذكرنا أنه إنسان عادى ولد من أب وأم، ولكنه بشر غير عادى من ناحية سلوكه مسلك الشر فأصبح شيطان الإنس الأكبر والله أعلم.

الفصل الرابع :

إبليس والدجال والسيطرة على العالم

- الماسونية
- جماعات عبدة الشيطان
- النجاة من الشيطان والدجال
- وسائل الشيطان والنجاة منها
- النجاة من الدجال

الفصل الرابع

إبليس والدجال والسيطرة على العالم

الحقيقة التي لا يعلمها المسيح الدجال أنه أداة من أدوات إبليس للوصول إلى هدفه المنشود الذى أعلنه من قبل من إضلال بنى آدم، فحين عصى أمر الله بالسجود لآدم عليه السلام وطرد من الجنة ومن رحمة الله، أراد أن يثبت لله سبحانه وتعالى أن آدم وذريته - الذى طرد من الجنة بسببه وإبليس - أقل قدراً منه وأنه أفضل منه .

ويعتقد الشيطان الأكبر أنه إن فعل ذلك سوف يعفو عنه الله ويدخله الجنة وهذا ما يسمى «عشم إبليس فى الجنة» قال تعالى فى سورة الأعراف الآيتان ١٦ ، ١٧ ﴿فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ .

وكان الصراع الأزلئ منذ القدم بين الإنسان والشيطان وكانت البداية بوسوسة الشيطان لأبينا آدم عليه السلام وروجه حتى أكلا من الشجرة التى نها الله آدم وحواء عليهما السلام من الأكل منها ثم جاء الخروج من الجنة كعقاب لهما على ذلك، ولم ينته الأمر بالشيطان إلى هذا الحد، وإنما ظل يوسوس لقبايل بن آدم حتى قتل أخيه هابيل وهكذا جرت الدماء على الأرض، ومن يومها وحتى تقوم الساعة والشيطان يكد المكائد لبنى الإنسان قال تعالى فى سورة الأعراف آية ٢٧ ﴿يا بنى آدم لا

يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما». .

واستعمل إبليس كل حيلة ومكائد فى الوصول إلى الهدف، ومن أكبر مكائده وإضلاله للبشر هو استغلال المسيح الدجال الذى يريد أن يسيطر على العالم وينصب نفسه ملكًا على الأرض فلقد رأى فى الدجال ضالته المنشودة فهو مخلوق غير عادى تملكته فيه كل قوى الشر، يشبه إبليس فى كونه من المعمرين المنظرين وأنه تسيطر عليه عقدة «الأنا» التى سيطرت على إبليس من قبل حتى طرد من الجنة ومن رحمة الله .

كلاهما يبغيان الشر وتدمير كل قوى الخير والقضاء على دين الله فى الأرض، وإنشاء مملكة على الأرض تسيطر على مقدرات الحياة بعد أن يدعى النبوة ثم الألوهية ويلوح بالخبز والماء فى وقت لا يجد الإنسان لقمة العيش أو شربة الماء، ويتبعه أكثر أهل الأرض ويؤمنون به إلهًا لهم فهو يعطيهم كل شئ يطلبونه منه، حتى الأموات يعيدهم إليهم ، إنها فتنة عظيمة كما أخبر عنها النبى ﷺ .

وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد فإن المستفيد حسب زعمه واعتقاده هو إبليس نفسه كما قلنا لأنه أضل البشرية جمعاء فى ضربة واحدة ولكن لن يصل إلى هذا الهدف بسهولة وإنما يجب أن يخطط ويجهز العدة لذلك فقدم يد العون إلى الدجال حتى وصل إلى ما هو عليه من تقدم علمى خطير جدًا يساعده حين يظهر على إثبات الألوهية، التى سوف يعلنها على الناس ومن حوله جنوده وأتباعه، وهناك أيضًا أتباعه الذين يهدون له الطريق وسوف نتحدث عنها فى السطور القادمة .

* الماسونية :

أول من مهد الطريق للدجال قديماً هم الماسونية العالمية، والماسونية صناعة يهودية منذ نشأتها تقريباً عام ١٧٩٨م وتفرع عنها منظمات أخرى مثل الروتارى واللونيز، وشهود يهود، وبنى برث، والصليب الوردى، والتسلح الخلقى والاتحاد والترقى، وجمعية إخوان الحرية، وجمعية أنصار السلام، واليوجا، وجمعية حراس العقيدة، ومدارس الإليانس والجامعات الأمريكية والفرنسية، وغير ذلك من أسماء أحلى من العسل المصفى وداخلها السم الزعاف.

واستطاعت الماسونية الممثلة فى جماعة «الاتحاد والترقى» فى تركيا بقيادة كمال أتاتورك من القضاء نهائياً على الخلافة العثمانية وكانت الرمز للخلافة الإسلامية الباقى عام ١٩٢٤م وكان آخر سلاطينها السلطان «عبد الحميد الثانى»، كانت تلك أهم خطوات الماسونية العالمية للتمهيد للدجال منذ القضاء على مظهر واسم الخلافة الإسلامية، وتقسيم العالم الإسلامى إلى دويلات صغيرة ذات حدود وسيادة مستقلة، تقاتل بعضها البعض، لم يعد هناك أمل من عودة الخلافة الإسلامية إلا فى عهد المهدى عليه السلام وبعد الخلافة الإسلامية يغضب الدجال ويحفزه أتباعه من اليهود للتصدى لتلك الخلافة ولكن يواجه مصيره المحتوم على يد مسيح الهدى عيسى ابن مريم عليه السلام.

فى عام ١٧٧٦م قام الشيطان الأصغر «وايزهاوبت» وهو نائب الدجال فى ذلك الوقت من إنشاء «جماعة النورانيين» وهى كلمة تعنى حملة النور وكان هدفه المعلن هو إنشاء حكومة عالمية واحدة.

وكان من تخطيط هذا الشيطان تدمير كل حكومات العالم وكذلك القضاء على الأديان الموجودة وتدمير الشعوب اقتصادياً وعسكرياً بإشاعة الحروب المستمرة بين الدول، حتى تحطم الحكومات بعضها البعض.

وتم التخطيط للحروب العالمية الأولى والثانية والثالثة وإنشاء المذاهب الإلحادية كالشيوعية وغيرها، وانضم إلى جماعة النورانيين عام ١٨٤٠م الجنرال «بايك» وأصبح رئيس النظام الكهنوني للمؤامرة الشيطانية، وتم وضع مخطط عام ١٨٥٩، ١٨٧١م وهو مخطط عسكري لحروب عالمية ثلاثة كبرى خلال القرن العشرين.

وتم وضع البرتوكولات الصهيونية وذلك بعد دمج جماعة النورانيين والماسونية العالمية، وكشف الدجال عن نفسه فى تلك البرتوكولات وقد أعاد صياغتها مع الدجال «وايز هاوبت».

وقد جاء فى البروتوكول السابع عشر: «أن ملك إسرائيل سيعيد البابا الحق للعالم وبطريك الكنيسة الدولية».

وفى البروتوكول ٢١: «وحيثما يلى ملكنا العرش على العالم أجمع ستختفى كل هذه العمليات المالية الماكرة، وسندمر سوق سندات الديون الحكومية العامة».

والبرتوكول ٢٣: «يجب أن يظهر الملك الذي سيحل الحكومات القائمة التى ظلت تعيش على جمهور قد تمكنا نحن أنفسنا من إفساد أخلاقه خلال نيران الفوضى وأن هذا الملك يجب أن يبدأ بإطفاء هذه النيران التى تندلع مطرداً من كل الجهات، إن ملكنا سيكون مختاراً من عند الله ومعيناً من أعلى كى يدمر كل الأفكار».

«وحيث سنكون قادرين على أن نصرخ للأمم: صلوا لله واركعوا أمام ذلك الملك الذى يحمل آية التقدير الأزلى للعالم والذى يقود الله ذاته نحمة، فلن يكن أحد آخر إلا هو نفسه قادراً على أن يجعل الإنسانية حرة من كل خطيئة».

إن كل البروتوكولات الصهيونية على هذا المنوال من التخطيط لذلك الملك الدجال مدعى الألوهية.

ومن المخطط التى كتبت فى البروتوكولات وتم تنفيذها ما جاء فى البروتوكول الثانى «وسنختار من بين العامة رؤساء أدارين فمن لهم ميول العبيد، ولن يكونوا مدربين على فن الحكم، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا فى أيدي مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خفيقاً على حكم العالم منذ الطفولة المبكرة».

ومن الشعارات التى يطلقونها «الحرية والمساواة والإخاء» وقد جاء فى البروتوكول الأول «إن صحبتنا «الحرية والمساواة والإخاء» قد جلبت إلى صفوفنا فرقاً كاملة من زوايا العالم عن طريق وكلائنا المغفلين وقد حملت هذه الفرق ألويتنا فى نشوة بينما كانت هذه الكلمات تلتهم سعادة المسيحيين وتحطم سلامهم واستقرارهم ووحدتهم».

ومن السيطرة التامة على العالم سيطرة اليهود على جميع بورصات المال فى العالم، وكذلك سيطروا على صحافة وإعلام العالم، حتى يتم التمهيد للمكهم المنتظر.

*** جماعة عبدة الشيطان :**

إن جماعة عبادة الشيطان ليست وليدة الصدفة وإنما هى من مخططات الشيطان ومساعدته الدجال فى التمهيد لظهور الدجال والسيطرة المطلقة على العالم.

وهذه الجماعات موجودة منذ زمن طويل فى العالم حتى أصبح أعضاؤها حوالى ٨ مليون على مستوى العالم أكثرهم فى أمريكا وكندا وهناك لهم الحرية المطلقة فى عبادتهم للشيطان ولا يستطيع البوليس الاقتراب من معابدهم، ومن ينضم

إليهم، ويريد الخروج من جماعتهم يذبح ويقدم قرباناً إلى إبليس وهذا يحدث فى أمريكا على أعين رجال الشرطة وغيرهم.

ولقد دخلت تلك العبادة للشيطان فى مصر منذ أوائل الثمانينات على يد الموساد الإسرائيلية وذلك بتشجيع بعض الشباب المصرى والذى يستهويه كل ما هو غريب وشاذ على ممارسة تلك العبادة بالموسيقى وكذلك الدعوة للغير فى دخول تلك الديانة الجديدة.

والذى يقرأ بعض طقوس عباد الشيطان يدرك على الفور أنها نفس الطقوس التى يمارسها السحرة للانضمام إلى الدولة الإبلسية والتى شرحها مؤلف كتاب السحر وذكرناه فى كتابنا «مواجهة الجن».

ومن طقوسهم ذبح طفل يخطفونه ويقدمونه قرباناً للشيطان فى معابدهم وإقامة الصلوات للشيطان، ونش القبور وحفلات الجنس الجماعية وكل ذلك لاستحضار الشيطان أو مندوبه. وقد سجلت التحقيقات مع هؤلاء الشبان فى مصر اعترافات صريحة ببعض تلك الجرائم حتى أنهم قالوا: إن الشيطان أفضل من الله لأنه يعطى كل شىء فى الدنيا وأنه رفض السجود لبشر.

*** ومن أهم أهداف هذه الجماعات العابدة للشيطان :**

إنكار الأديان والاعتقاد بتناسخ الأرواح، وإنكار القيامة والبعث والحساب والتبشير بقدوم الدجال لحكم العالم، والإيمان بأن إبليس إلهاً يعبد من دون الله.

ويوجد ما يقرب من أكثر من ستة معابد أو كنائس لهم فى العالم أشهرها: كنيسة الشيطان بمدينة سان فرانسيسكو بأمريكا ومثيلتها فى بريطانيا أسس الأولى «انطون لاوى» والثانية «جون تيرز» وتدعوا إلى الحكومة العالمية التى سوف يؤسسها الشيطان.

- كنيسة أورشاليم الجديدة بالسويد أسست عقب وفاة أحد مدعى النبوة «عمانوئيل سويد نبورج» المتوفى عام ١٧٧٢م.

كنيسة «شهود يهوه» بأمريكا وتسمى «مجمع الشيطان» وكانت تسمى كنيسة «الأدفتست».

- وكنيسة العالم المسيحي وكنيسة الخمسينين وغيرهم.

واللون السائد فى هذه الجماعات هو اللون الأسود والرمز هو الأفعى وهى مقدسة عندهم، لاعتقادهم أنها ساعدت إبليس فى الدخول للجنة بعد أن طرد منها، فدخل الجنة عن طريقها بأن تلبس بها فلم يشعر به خزنة الجنة، وكانت الأفعى بقوائم أربعة عاقبها الله على فعلتها بقطعها ونزلت الأرض مع إبليس، وأصبحت صديقة للشيطان عدوة للإنسان.

أما فى مصر جاءت الفكرة عن طريق مخطط يهودي صهيونى منذ عام ١٩٨٠م تقريباً. ولم يظهر بشكل واضح إلا عام ١٩٩٣م، وعندما استفحل أمرهم وقويت شوكتهم ألقى القبض عليهم مؤخراً، وعندما وجدوا أنفسهم قد تصدر عليهم أحكام بالسجن وأصبحوا منبوذين من المجتمع، أعلنوا توبتهم والله أعلم بالنوايا والسرائر.

وكان بداية انتشارهم من خلال حفلات موسيقى «البلاك ميتال» و «الروك» وتقوم فكرة هذه الجماعة مثل مثيلتها فى جميع أنحاء العالم على الإلحاد وعبادة إبليس وتمجيده ومن طقوسهم ممارسة الجنس داخل المقابر وذلك كى يضعون بذرة الشيطان داخل رحم المرأة، وكذلك ممارسة الجنس على الشواطئ ليلاً.

ومن العلامات المميزة لهم الصليب المقلوب والنسر المجنح والأفعى والجماجم، أعمارهم من سن ١٦ : ٢٠ سنة وما زاد على ذلك يهلك نفسه بالملذات والجنس والمخدرات حتى الموت.

لا يعترفون بالحكومات أو النظم الاجتماعية ويعتقدون أن الشيطان سوف يملك كل شيء فى نهاية الأمر بعد الحرب العالمية الثالثة التى ستدمر كل شيء فى العالم .
وتعتقد الجماعة أن الشيطان يعطى لمن يعبده القوة الخارقة والتناسخ فى أجسام الآخرين ومعرفة الغيب والخلود الروحى ، ولن يصل أحد منهم إلى هذه الدرجة إلا بطاعة الشيطان والإخلاص له حتى يعطيه تلك القدرات الخاصة ، ويتلبس به أخيراً .
وتقوم الجماعة بعمل طقوس تعبدية للشيطان على طريقة السحرة قديماً وحديثاً وسوف نستعرض بعضها بإيجاز شديد وهى طرق استحضر الشيطان .

*** طرق تحضير الشيطان :**

تقوم الجماعة بعمل طقوسها فى أماكن مهجورة مثل المقابر أو القصور القديمة وعلى الأخص قصر البارون ، يتم تحضير الأدوات من عظام وجماجم ودماء ثم ترسم دائرة كبيرة بلون أحمر أو أزرق وينقش داخلها رسوم وأشكال وأسماء أرواح شيطانية مذكورة فى كتب السحر القديمة ثم يوقد شمعتين لونهما أسود ثم يتم قراءة التعاويذ لاستحضار الشيطان وتردد الأناشيد الشيطانية ويرقص داخل الدائرة حتى تخور قواه وحتى يظهر الشيطان له أو يعطى علامات معينة لحضوره .

والطريقة الأخرى تتم فى مكان مهجور فى ليلة قمرية وتحضر بعض الأشياء وأدوات مثل دجاجة سوداء وغراب أسود وحيوان أسود ويجلس عارياً فى المكان ويبدأ فى ذبح ما معه من طيور وحيوانات ويتلو تعاويذ وأناشيد مخصصة معروفة فى كتب السحر الأسود وغيرها ويجمع دماء الحيوانات والطيور فى زجاجة ويلقى بالحيوان الأسود الذى أحضره وذبحه قرباناً إلى الشيطان ثم يوقد ناراً ويحرق باقى

الطيور والحيوانات ثم يأتي بنبيذ ويمزجه بالدم ويشربه ويظل هكذا حتى يظهر له الشيطان فيركع أمامه ويحدد له ميعاد التعميد بعد مقابلة عمدة المنطقة من الشياطين .

وهناك طرق أخرى لا داعى لذكرها ونكتفى بما سبق، والذي نود أن نذكره هنا أن لكل منطقة عمدة من الشياطين يتولى رئاسة هذه المجموعة التابع له مكانياً، وهذا العمدة الشيطاني يسكن البيوت والقصور الخربة أو المقابر .

والمفاجأة هنا أن قصر البارون الذي كانت تُمارس فيه طقوس عبدة الشيطان في مصر هو المقر الدائم لعمدة الشياطين من الجن في منطقة مصر الجديدة .

* وسائل الشيطان والنجاة منها :

إذا كانت الوقاية خيراً من العلاج ، فالتحصن من كيد الشيطان وشره أسهل وأقرب من المواجهة، فقد أمر الله تعالى بمحاربة الشيطان واتخاذهِ عدواً كما جاء في سورة النساء آية ٧٦ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ آية ٧٦ النساء .

وأمر الله تعالى بإعداد العدة والسلاح ضد أعداء الله من الإنس والجن والشياطين فقال تعالى في سورة الأنفال آية ٦٠ ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ جاء في تفسير ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ أنهم الجن قاله ابن كثير والقرطبي في التفسير واختاره الطبري وغيرهم .

فالاستعداد أمر واجب على الإنسان ضد أعدائه من الإنس وأيضاً من الجن، وكل ما لا يعلمه من عوالم خلقها الله تعالى وأسكنها كونه وتريد بنا الشر، فإن

جنحوا للسلم فلا بأس أن نسألهم، ولكن الشياطين لا تجنح للسلم أبداً، فالعداوة مستمرة إلى يوم الدين، فالشيطان هو العدو المبين للإنسان، قال تعالى في سورة يس ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَقْلَمَ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾.

وإذا كان إعداد العدة والسلاح في مواجهة العدو فعلينا أيضاً أن نتعزف على أهم الأسلحة التي يواجهنا بها، ومن أهم تلك الأسلحة التي تستخدمها شياطين الجن لإغواء بنى آدم:

التزغ والهمز والنفخ والنفث والوسوسة والأز والاستهواء والصرع والحرص والخمر والميسر والغلو في الدين والغفلة والغرور والحسد والغضب.

١- التزغ : قال تعالى : ﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الاعراف آية ٢٠٠].

والتزغ نوع خطير من الوسوسة والشك في العقيدة كما يحدث للبعض عندما يوسوس له الشيطان من خلق هذا؟ ومن خلق هذا؟ حتى يصل به إلى سؤال خطير وهو من خلق الله فعلى من ابتلى بذلك أن يستعذ بالله من الشيطان الرجيم ويقول آمنت بالله ورسله ﴿وقل هو الله أحد﴾.

٢- الهمز : قال تعالى : ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ [سورة المؤمنون آية ٩٧ - ٩٨].

والهمز هو التسلط الفكرى والعقلى على الإنسان حتى يؤدي إلى هلاكه قال ﷺ في الحديث الذى أخرجه أحمد فى مسنده عن أم سلمة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من

ولم يكن ماركس ، عندما كتب (تاريخ كومون باريس) رجل أدب ، بل عالم حياة بالنسبة إلى الثورة التي فشلت بباريس عام ١٨٧١ .

إن نجاح ثورة ما أو فشلها ، هو بقدر ما تحتفظ بمحتواها أو تضعه في الطريق وهذا كله يخضع لقانون .

فالثورة لا ترتجل ، إنها اطراد طويل ، يحتوي ما قبل الثورة ، والثورة نفسها ، وما بعدها . والمراحل الثلاث هذه لا تجتمع فيه بمجرد إضافة زمنية ، بل تمثل فيه نمواً عضوياً وتطوراً تاريخياً مستمراً ، وإذا حدث أي خلل في هذا النمو وفي هذا التطور ، فقد تكون النتيجة زهيدة تخيب الآمال .

إن الثورة الفرنسية تضمنت عهد ما قبل الثورة ، في صورة مقدمات وجدتها في أفكار (جان جاك روسو) والعلماء الموسوعيين . فكان لهذه الحركة ما يدعمها حتى تحقق لها النجاح يوم ١٤ تموز (يوليو) عام ١٧٨٩ . لكن عبورها إلى مرحلة ما بعد الثورة كان فيه خلل ، جعل أشباه الثوريين مثل (دانتون وميرابو) يسيطرون عليها ، ويحاولون بناء مجدهم على حسابها ، حتى في التعامل مع العدو ، لينحهم انتصارات وهمية يعززون بها موقعهم مثل واقعة (قلبي) .

ولقد انتهى بها المطاف بين أيدي نابليون الذي صنع منها - والتاريخ يعترف له بالفضل - قضية شخصية تحت لواء الإمبراطورية .

ولكننا مع ماركس ولينين ، اكتسبنا في هذا الميدان ، معلومات دقيقة ، وتقنية ثورية تلمّ بجوانب الثورة ، من مرحلتها التحضيرية إلى مرحلة الإنجاز ، ومنها إلى مرحلة الحفاظ على الخط الثوري .

والواقع أن هذه ليست تقنية جديدة في التاريخ ، فلو رجعنا إلى الوراء لوجدنا لها أثراً ليس في صيغة حرفية ، ولكن في مواقف ثورية محددة .

إننا لو اعتبرنا الإسلام من جهة التاريخ المجردة ، لرأيناه ثورة كبيرة غيرت كل البناءات السياسية والاجتماعية والأخلاقية والثقافية في المجتمع الجاهلي . إننا نراها في أصعب الظروف قد غيرت كل شيء ، حتى أسماء معتنقيها ، فكانت النبو الثوري في أدق ما في هذه الكلمة من معنى .

وإذا كان يسيراً على المعاصرين للرسول الكريم ، أن يشعروا بذلك في أنفسهم ، فإن محكمة أميركية استطاعت هذه الأيام أن تقدر هذا الأثر في شخص الملامك محمد علي الذي طلق حتى اسمه القديم (كسيوس كلاي) .

إنها دروس حية نلم بمصيرها حين نوازنها مع أحسن الدروس الثورية في الحاضر ، أو مع بعض الأخطاء في ثورات معاصرة .

إن الثورة الإسلامية تقدم لنا أولاً درساً عالياً ، ربما زهدنا فيه أو تناسيناه ، في ضبط السلوك . ففي غزوة أحد حيث يتعرض جيش المسلمين لضربة قاسية من جيش المشركين تحت قيادة قريش ، نرى النبي عليه الصلاة والسلام يرفض على الرغم من قلة عدد من معه من المهاجرين والأنصار وعدتهم ، يرفض سند عبد الله بن أبيّ وهو على رأس المنافقين واليهود ويقول : « لا يقاتل معنا إلا من هو على ملتنا » .

ولم يكن هذا الموقف مجرد اندفاع خاص في لحظة معينة ، فالقرآن سيعطي له كل معناه في الآية الكريمة : ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ﴾ [التوبة : ٤٧/٩] ، مجدداً فيها السبب لتجنب القتال مع متطوعين غرباء عن الثورة ، أي مجرد مرتزقة كما نقول اليوم .

فالثورة ليست كإحدى الحروب تدور رحاها مع العدد والعتاد ، بل إنها تعتمد على الروح والعقيدة .

ولا شك أن هذا المبدأ هو الذي حدد سلوك القيادة السوفيتية أثناء الحرب

العالمية الثانية ؛ إذ في أحلك الأيام من معركة القفقاز ترفض مدد الحلفاء يأتيها عن طريق إيران .

إن لكل ثورة منهجاً يتضمن المبادئ التي تسير عليها ، كما يتضمن فحوى القرارات التي ستمليها عليها ظروف الطريق .

فوقف أبي بكر بعد وفاة الرسول الكريم ، عندما ارتدت بعض القبائل من العرب ، وزعمت أنها لا تدفع الزكاة وتبقي على غير ذلك مما أتى به الإسلام ، قد يبدو فيه لمعاصريه بعض التشدد والغلو ، كما يكون موقف المرتدين غير بعيد عن الأمر المعقول ، إذا قدرناه من الجانب المادي فحسب دون الرجوع إلى مبدأ يقره المنهج أي تقره فلسفة الثورة القائمة ، وكاد عمر بن الخطاب يكون على هذا الرأي ، لولا إصرار أبي بكر رضي الله عنها وفصله الموقف بقوله « والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » .

ولقد قاتل المرتدين فعلاً ، حتى نصره الله عليهم النصر المبين .

ولنا نحن ، في موقف أبي بكر أسوة حسنة . والعبرة التي نأخذها منه هي : أننا إذا لم نحفظ في عقولنا وقلوبنا مقدمات ومسلمات الثورة ، فلن نفقد (عقلاً) فقط بل نفقد الروح الثوري ذاته .

فالثورة قد تتغير إلى (لا ثورة) بل قد تصبح (ضد الثورة) بطريقة واضحة خفية . والأمر الذي لا يجوز أن يغيب عن أذهاننا في هذا الصدد هو أن مجتمعاً ما بمقتضى طبيعته البشرية ينطوي على خمائر من روح (ما ضد الثورة) طبقاً لمبدأ التناقض تناقضاً مستمراً . حتى في فترة ثورية ، نستطيع تتبع آثاره في تاريخ كل الثورات ، تتبعاً لا يغني معه أن ندفع عجلة الثورة في وطن ما ، بل يجب أن نتتبع حركتها ورقابتها بعد ذلك .

وفي الملاحه يعرف ربان السفينة هذه الحقيقه بطريقته ، إذ يعرف أنه لا يكفيه أن يقلع بسفينته في اتجاه معين ، بل يجب عليه أن يراقب السير على طول الطريق من أجل تعديل الاتجاه من حين إلى آخر .

وهذه الضرورة لا تخفى على الأوطان التي قامت فيها الثورات المعاصرة ، حيث نرى الشغل الشاغل بقياداتها أن تحافظ على (الخط الثوري) ، وبالتالي فهذه الرقابة ، بقدر ما لا تعني هذه الكلمه مجرد لفظه ، وإن كانت ضرورية في كل ثورة ، فهي أكثر إلحاحاً في الأوطان التي لا تكون فيها فحسب خمائر (ما ضد الثورة) نتيجة إفراز المجتمع نفسه بطبيعته ، بل تكون بالإضافة إلى ذلك محفوفة بالخطر في الاطراد الثوري من الخارج ، على أيدي خبراء يعرفون كيف تجهض الثورات .

والخلاصه أن المجتمع الذي يقوم بثورة على الاستعمار فهو بطبيعة وضعه من ذلك الصنف ، أي ذلك الصنف الذي تبدو المسلمه الأولى التي تقوم عليها رقابته ، هي تقديره لخمائر (ما ضد الثورة) المحقونه في ثورته على أيدي خبراء الاستعمار .

فإذا عددنا هذا التقدير مجرد وسواس^(١) ، فذلك يقودنا إلى أن نرى الاستعمار طفلاً بريئاً تعتدي على براءته ألسنة شريرة ، وإن ما حدث في سيناء ماهو إلا أضغاث أحلام خامرت نومنا هذه الأيام .

أما إذا كانت مأساة سيناء واقعاً عشناه ، فالأولى بنا أن نستخلص منه الدرس الذي تقدمه لنا .

(١) غالباً ما تستولي الذهنية الصبائية على قياداتنا ، فتفضل إلغاء المشكلات حتى لا تتصدى لها ولا تبذل الجهد الذي يقتضيه التصدي ، وبالتالي نراها تحقد على من يذكرها بواجبها وتتهمه إما بالوسواس أو بالطموح .

فمن الناحية العسكرية ليست القضية في تفوق العتاد وفي عبقرية موشي ديان ، كما لا يمل القوم من تكراره لنا منذ شهر ، حتى إنهم ضربوا في ألمانيا الغربية صورته على مدالية تذكارية ، لتخدير الرأي العام الدولي ، ولتنويعنا نحن .

يجب أن ننظر إلى القضية بدقة أكثر : فالعرب لم يكونوا في سيناء ، أمام هنيبعل الإسرائيلي الصغير ؛ ولكنهم واجهوا بعقلية الصبيان أجهزة في أعلى مستواها التقني وضعها الاستعمار تحت لواء إسرائيلي ، ثم أمر اليهود بقصف سفينة التجسس (ليرقي) كي يزيد في التعمية والتضليل .

لكن الناحية الأخرى تهمننا أكثر بكثير من الناحية العسكرية ، إذ يجب أن نقول إن الانتصار الذي حققه اليهود في سيناء ، لم تنهياً شروطه في إسرائيل فحسب ولكن في البلدان العربية ، إذ استطاع الاستعمار حتى تنويم الرادار في صبيحة ٥ حزيران (يونيو) الأخير ، ولا نذكر هذا التفصيل إلا لمجرد التوضيح .

أما الحقيقة فهي تخصّ فلسفتنا الثورية بأجمعها . فالثورة حين تخشى أخطاءها ليست بثورة ، وإذا هي اكتشفت خطأ من أخطائها ثم التفتت عنه فالأمر أدهى وأمر . وفي هذا الصدد نذكر قول ماركس « يجب دائماً أن نكشف الفضيحة عندما نكتشفها حتى لا تلتهمنا » .

إن الشعب الجزائري قام ، بدون شك بثورة مجيدة ، ولكن هذا لا يعني أنها خالية من الأخطاء في اطرادها الثوري .

ولست أشير هنا إلى الخطأ البريء الخفيف الذي يتولى الوقت نفسه تصحيحه في الاطراد الثوري ، بل أشير إلى الخطأ العضوي سواء أفرزه المجتمع ، أو حقن به من الخارج حتى صار جزءاً من كيانه .

فالنوع الأول من الخطأ قد يهيم من يهيم بالتاريخ أكثر من سواه ، بينما قد يكون له أيضاً أثر سيئ في وطن ثوري ، يتعرض لمثل الأخطاء فيرتكس إلى عهد الأثرة والمحسوبية والأنانية ، عندما نرى مثلاً في هذه القرية الجميلة من الجنوب الجزائري ، هذا الرجل الذي كان من أركان جمعية العلماء يستولي على قصر ، كان يسكنه أحد ولاية العهد البائد ويؤجر مسكنه . فنحن لا نرى في مثل هذا التصرف ما يدل على قلة تعفف فحسب ، بل يدل أيضاً على هبوط في الروح الثوري ، إذن هذا العالم لم يتاجر فقط بملكه بل تاجر بالقيم الثورية .

وإذا كان أحد قادة الحركة النقابية يقترض بعض الملايين من الفرنكات القديمة من شركة بترول ، ويبني بها فيلا فخمة لا يسكنها ولكن ليؤجرها لسفارة أجنبية ، فإنني لا أرى في هذا التصرف ما يمت إلى (الخط الثوري) ولا إلى (المطالب النقابية) بصلة .

ولكن يا آلهة نيتشه المتألمة الخجلة !! صفحاً عن هذه الأخطاء الطفيفة . إذ هنالك الأخطاء العضوية التي لا يصلحها الزمن بل ينبغي أن تمحوها الثورة . والثورة التي تريد الوصول إلى هدفها يجب أن تدفع هذا الثمن ، وبهذا الثمن وحده تستطيع ذلك .



الأخلاق والثورة

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٦٤ -
أسبوع ٧ إلى ١٣ آذار (مارس)
١٩٦٨ م.

لعل عنواناً كـ (السياسة والأخلاق) ، يكون في نظر بعض الناس أكثر انطباقاً على محتوى هذا المقال ، ولكن حتى على هذا الفرض فقد استعملته في مقال آخر^(١) .

ومهما يكن من أمر ، فكثيراً ما يتهم (كاسترو) بسبب تشدده في الحفاظ على المبدأ الأخلاقي ، بأنه يرتجل : يتهمه بذلك طرف من الصحافة اليمينية وأحياناً جناح من الصحافة اليسارية .

فقرأه أحياناً في سياسته يقلب رأساً على عقب ما تعارف عليه الناس من مقاييس وتقاليد ثورية ، وأحياناً أخرى نراه يلقي في سلة المهملات ما توارثه الناس من أفكار هؤلاء وأولئك ، إلقاء قد يلتبس معه سلوكه فعلاً على الذين يرونه يرتجل ، أو ينفر من هذا السلوك رجال الاقتصاد والتخطيط في الغرب أو في الكتلة الشرقية على حد سواء .

وكأنه هو الآخر ينفر من هؤلاء وخاصة التشيكيين والسوفييت الذين نراه يعزرو إليهم فشل بعض المشاريع التي لم تعط نتائج فعلية في كوبا .

(١) انظر ص ٧٣ من هذا الكتاب .

إن (كاسترو) لا يجد بعد في تصرفه ، ذلك الجهاز الثقيل من إحصائيات وآلات ألكترونية وأصحاب اختصاص ، ذلك الجهاز الذي يجعل الإنتاج المتسلسل عملية لا ثغرة فيها ولا خلل كما هو الأمر في البلاد المصنعة .

ولكن وطناً لم يزل في طور التكوين ، لا يمكنه أن يتمتع نفسه بهذا الحشد من الأرقام ، وبهذا الترف من الآلات الألكترونية ، ليلبغ منذ اللحظة الأولى الذروة في ضبط عملية الإنتاج ، والدقة التي لا تترك ذريعة فيها .

إن الاتحاد السوفييتي نفسه مر بهذه المرحلة ، فقد كانت ، أثناء مخططه الأول بين عامي ١٩٢٨ - ١٩٣٢ م نسبة (٤٠٪ إن لم نقل ٥٠٪) من إنتاجه من الحديد أو من الخزف ، تلقى في أكاداس المهملات أو تعود إلى أفران التدوير .

ولم يكن الاتحاد السوفييتي يخشى أن يتعلم الصناعة بهذا الثمن ، كما كانت روسيا في عهد بطرس الأكبر تتعلم فن البحرية والحرب العصرية . حتى كان النبلاء فيها من طبقة (البويا) يقصرون لحام على الطريقة الأوربية .

إذن فليس على (كوبا) أن تخجل من تدريبها ، وإذا اتهم (كاسترو) بأنه يرتجل فليكن ؛ غير أننا نعترف بأنه يرتجل بطريقة موفقة عندما نرى ، منذ زمن قريب ، كيف تخرج من يده قرية مجهزة بمدرسة ومصحة في مكان (مدينة صفائح) توافرها منذ شهر ونصف الشهر فقط .

فإذا كانت الحالة هذه بكوبا تثير التعجب والاستغراب من طرف بعض الملاحظين ، فإنما يعود ذلك إلى أن القرن العشرين تعود أن يستقطب الأفكار حول قطبين هما : الرأسمالية والماركسية ، ولا يحتمل احتمالاً ثالثاً لهما يبدو معه أن لا مناص من أن تستوحى الأفكار من هذا القطب أو من ذاك القطب ، في الميدان الاقتصادي أو التربوي أو السياسي دون تفكير خارجهما .

لكن (كاسترو) تحرر في تفكيره من كل تبعية لموسكو أو بكين ، على الرغم من أنه ينتمي إلى مدرسة (ماركس) فبدأ يبتكر أو يرتجل كما يقولون .

وليس خروج (كاسترو) عن الماركسية المألوفة تنكراً للفكرة نفسها أو حباً للظهور بالأصالة ، إنما هو تمسك رجل دولة بما يراه ضرورياً من حرية في الفكر وفي التصرف ، للقيام بوظيفته طبقاً لما تقتضيه تجربة بلاده .

ونحن ما نزال على مقربة من بداية هذه التجربة ، قريباً لا نستطيع معه الحكم منذ الآن ، فهل ستؤدي إلى انشقاق نظري أم لا ؟! وماذا ستكون آثار هذا الانشقاق - إذا حدث - في المجال السياسي بوجه خاص ؟!

ولكننا نستطيع منذ الآن ملاحظة فوارق جذرية ، إذا ما تذكرنا ما قاله (لينين) وهو يواجه أقصى الصعوبات بعد هدنة (بريست ليتوفسك) : « إذا وجب علينا أن نسير إلى النصر زحفاً على البطون فليكن » .

بينما كاسترو يصرخ بطاقة جهده بأن (سياسة الثورة) لا تقوم على الحسابات ، فالمصلحة الوطنية وما يمليه أمر الدولة ، إنما تقوم على المبدأ الأخلاقي .

فهذا كلام لا نتصوره على لسان رجل مثل (الكردينال دوريشيليو) ، ولا على لسان (تاليران) ، وإنما نجده في صرخة (دوبان دوغور) ، الذي صرخ ذات يوم في مناقشات تدور بمجلس الثورة الفرنسية حول قضية المستعمرات ، صرخ قائلاً : « فلتت المستعمرات ولكن لا نسلم في مبدأ من مبادئنا » .

إن (كاسترو) ليس عالم أخلاق وإنما رجل دولة يعرف قيمة الأخلاق في السياسة .

لكن التاريخ لن يصدر عليه حكمه طبقاً لمبادئ مجردة بل طبقاً لنتائجها في الواقع الملموس .

إنما من ناحية أخرى ، يجوز لعالم الاجتماع بل يستحسن منه ، أن يعلم ما إذا كان للأخلاق وظيفة في السياسة ؟ .

إن الأشياء ما تزال بالنسبة إلينا في ضباب الثورة ، تجدد نفسها الثوري في كل خطوة وأمام كل صعوبة جديدة تواجهها .

لكن الأشياء بدأت خلال هذا الضباب تتخذ أكثر فأكثر شكلها ، وتظهر كصدمات تجربة من شأنها أن تعم العالم الثالث كله ، على الرغم من حدودها الضيقة في وطن صغير مثل كوبا .

لاشك أن إدانة الحافز المادي في الإنتاج ، لم تعط بعد أثرها الواضح في منحنى التنمية على الأقل ، حسب أقوال الصحافة التي تقرأها في هذه الناحية من العالم .

كما أن إلغاء العلاقات السوقية بين المنتجين والدولة ، مع ما يوحي به من إلغاء العملة ذاتها في أمد قد لا يبعد ، لا يزال أيضاً في غموض .

ولكن الشيء الذي نستطيع تقريره منذ الآن ، هو أن هذه القرارات تثيرنا من ناحيتين :

إنها في الميدان الاقتصادي تمثل النموذج المثالي لما نسميه الاستثمار الاجتماعي ، وهو أمر لا نجده في وطن آخر في الموضوع نفسه .

ومن هذه الناحية فإنها تقدم درساً لا يستغني عنه العالم الثالث ، الذي بين يديه الكثير من الذهب ومن العملة الصعبة .

ولكن هذا الدرس يتضمن جانباً يهم العالم كله ، ألا وهو الثقة في القيم الأخلاقية ومنحها الأولوية في الإنتاج وفي درجة الالتزام في الحياة السياسية .

ولنتأمل على سبيل المثال ، هذا الدرس في إحدى قضايا العمل الإنتاجي : إن العامل قد يتغيب من دون عذر عن عمله فما هي عقوبته ؟ .

إنه لا يجازى بحسم من تموينه ومن أجرته ، ولكن يفرض عليه عدد من أيام تغيب أخرى .

فالجزء يقوم هنا على قاعدة أن اللولب النفسي ذو فعالية أكبر من اللولب الاقتصادي في حياة الفرد .

ولكن هل هذه القاعدة تصح من دون قيد أو شرط ؟.

إننا لا نتصور أثرها إلا في مناخ أخلاقي حقيقي ، تكونه الثورة وتحافظ عليه بوصفه صيداً أساسياً لها ، كذلك المناخ الذي نشعر به في قصة الخلفين في القرآن الكريم .

ونحن إذا عدنا إلى تجربة كوبا ، نرى (كاسترو) لا يخلق هذا المناخ فحسب ، بالقرارات العامة التي يتخذها وبتفسيرها للجماهير ، بل يتمثلها أيضاً في سلوكه الشخصي ليكون القدوة في هذا كله .

فعندما قرر سياسة التقشف في استهلاك البترول ، كان لها مسوِّغاتها الاقتصادية ، بسبب الحصار الاقتصادي الذي ضربته أمريكا على كوبا ، حصاراً أصبحت معه واردات البترول حتى من (البلاد الصديقة) لا تغطي غير ٢٪ من الزيادة في الاستهلاك التي تقدر بـ ٨٪ بالنسبة إلى السنوات السابقة . وقد أشار إلى ذلك في خطابه بمناسبة رأس السنة^(١) .

لكن الأمر الذي يرفع هذا القرار إلى أعلى درجة في الفعالية ، هو تفسير (كاسترو) له في غير الإطار الاقتصادي ، إذ قال في الخطاب نفسه « إنه لا يليق بكرامة هذا الشعب أن يبقى دائماً يطلب العون من الآخرين » .

فهذا درس ينبغي ألا يهمله العالم الثالث المنغمس في سياسة الاستنجد

(١) ٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ .

والاستجداء . فقد أعطى (كاسترو) من نفسه القدوة ، إذ استبدل بالسيارة التي ورثها عن خصمه السابق (باتيستا) سيارة عسكرية تقتصد استهلاك البترول .

هذا كله قد يسميه الآخرون (الأخلاق الماركسية) نسبة إلى انتاء (كاسترو) ، ولكننا في إطار النظرة الموضوعية نراه فقط (الأخلاق) في المناخ الثوري .

إن ثورة ما ، لن تستطيع تغيير الإنسان إن لم تكن لها قاعدة أخلاقية قوية .

إن (روبسبير) و (سان جوست) وهما من هما في الثورة الفرنسية ، يمثلان قبل كل شيء أنضج صورة لأخلاق ثورية لا تنازل فيها .

فلا يجوز لنا إذن أن نستغرب الأمر إذا ما كان (كاسترو) لا يفسر قراراً اتخذته بالأرقام أي بمسوغات مادية ، بل يفسره بمسوغات أخلاقية عندما يشير إلى كرامة الشعب الكوبي .

إن ثورة تقوم ، لا تكون ثورة حقيقية لمجرد ما تجتهد في نشر العدالة الاجتماعية بين طبقات الشعب ، إذا هي لم تعلمه كيف يستعيد شخصيته ، وتلقنه معنى كرامته .

ولقد يكون التعبير عن هذه الكرامة في نص الدستور نفسه ، كالتصريح بحقوق الإنسان والمواطن في الثورة الفرنسية ، أو يكون بمجرد قرار عن ضرورة التقشف في استهلاك البترول كما أشرنا إليه في كوبا .

وهذه الاعتبارات عن وظيفة الأخلاق ، ليست بنت الأمس : فقضية تكريم الإنسان لم تهمل ولم تنس في الثورة الإسلامية منذ أربعة عشر قرناً : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ [الاسراء ٧٠/١٧] . هكذا وضع القرآن الكريم في آية لكرامة الإنسان قاعدة سامية بالنسبة لدنياء ولآخرته .

والإنسان لا يجوز له أن يخالف في سلوكه هذا التكريم ، الذي لا يضمن له حقوقاً فقط ، بل يفرض عليه واجبات أيضاً .

هذه الازدواجية تتمثل أحسن تمثيل ، في حديث عن حكيم بن حزام إذ يقول :

« سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ثم قال لي : يا حكيم إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاء نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باستشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى . قال حكيم : فقلت يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً ، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل .

فقال يا معشر المسلمين ، إني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه .

فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي رحمه الله . » .

فهذا الحديث يلخص ويوضح لنا كل ما نسميه (أخلاقية الثورة) ، إعطاء الإنسان حقه ولكن مع الحفاظ على كرامته .

إن بعث الإنسان ليس ثمنه ضمان حقوقه فقط .

بل إننا نرى في موقف حكيم ، بعد وفاة رسول الله ﷺ ، الثمن الحقيقي حين يرفض حقه من الفيء .

إن الثورة الجزائرية تستطيع أن تستوحي من الثورات العصرية ، لبعث الإنسان الجزائري وتغييره بعد ما أصابه في فطرته طيلة عهد الاستعمار ، ولكن إذا كان خطاب الرئيس (بومدين) الأخير أثناء رحلته في جبال أوراس ، قد

لفت النظر بصورة عامة ، فالمقطع الذي نال منه هتافاً أكبر من الحاضرين ، هو الذي أشار فيه إلى جذور الثورة الإسلامية .

لقد هتف الشعب لهذا المقطع ، لأنه يعيد الثورة إلى إطارها التاريخي الحقيقي . فالشعب أحس عند هذا المقطع بشخصيته تتحرك في أحشائه ، ولقد أثارتنا على شاشة التلفزة تلك الصور التي التقطت أثناء الرحلة ، حيث نرى رجالاً شداداً كالجبال التي حولهم ، يجيبون عن الأسئلة المطروحة عليهم وهم مسحون الدموع . فالقوى الأخلاقية التي قامت بالثورة ثم بدأت تتقهقر في عهد الديماغوجية بدأت تنطلق من جديد . فلعل الإنسان الذي تركته الظروف إلى العزلة والانفراد يعود إلى عشيرته ومصيره الوطني في المناخ الجديد .

فالحوار الذي دار بين المسؤولين والجهاهير ، تحت قمم أوراس الشاهقة ، قد أعاد في كلمات قالت الحقيقة ، الجسر الذي يصل الشعب بالدولة .

وليس غريباً في هذا المناخ من الثقة المتبادلة أن تتحقق المعجزات ، ولو كان ثمنها مزيداً من التقشف ، لأن الصعوبات لا تزول بين عشية وضحاها بعضاً سحرية .

هذا هو السر الذي أدركه (كاسترو) عندما ركز سياسة الإنتاج في بلاده على الحافز الأخلاقي أكثر من الحافز المادي . وقد أنهى بذلك عملية تخريب تقوم بها تحت الأرض شرذمة تسعى لتبريد المناخ الثوري بالمزايدة الديماغوجية أو حتى بالخيانة الصرفة .

إن كل ثورة ملزمة بأن تحمي نفسها من سائر المحاولات التخريبية ، التي يكون فيها أصحابها سلطة جانبية في وطن ثوري ، يؤثرون فيه حتى لحساب الخارج بما في أيديهم من وسائل السلطة .

وبعبارة أخرى ، فإذا كانت الثورة في حاجة إلى (أخلاقية) لا تتنازل عن شيء ، فمن واجبها أيضاً أن تتمتع بحاسة نقدية لا يفوتها شيء ، حتى لا تؤخذ على غرة في أي لحظة وفي أي قطاع من أجهزة الدولة .

فعندما تحدث الرئيس (بومدين) ، أثناء رحلته بجبال الأوراس ، عن بقايا (الحركيين) ، فكأنه أراد أن يشير في هذه المناسبة إلى ضرورة طرح مثل هذه القضية .

وإن طرحها لواجب فعلاً ، ولنا أكثر من مسوغ في هذا الصدد . وبالإضافة إلى ذلك ، فالثورة التي تقف في منتصف الطريق خلال إنجاز مهماتها أو تخشى إصلاح أخطائها فإنها تنتحر .

فالساسة تستطيع المراوغة والمداهنة ، لكن الثورة تفرض عليها أخلاقيتها أن تمضي إلى آخر المطاف .

☆ ☆ ☆

تقلبات عبر استقلال جديد

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٤٩
أسبوع ٢٣ : ٢٩ تشرين الثاني
(نوفمبر) ١٩٦٧

ها إن الأمر قد تقرر ، فالحكومة الإنجليزية صرحت رسمياً عن جلاء جنودها ، في آخر هذا الشهر من عدن وما حولها مما يسمى (الجنوب العربي) .
وهكذا ينشأ استقلال جديد في التيار الذي بدأ بعد الحرب العالمية الثانية تحت اسم (تصفية الاستعمار) .

إن الأيام الكبرى في التاريخ فترات يسودها الإكبار والإجلال ، وتسكت فيها النزعات الخاصة ، وتهمد المنازعات ، حتى تلك التي تحركها الفوارق الإيديولوجية ، وهكذا تسكن العقول والقلوب إلى بعضها كما حدث في فرنسا عام ١٩٤٥ عندما ائتلف أتباع (ديجول) وأتباع (توزير) وشكلوا حكومة التحرير .

إنها لحظات فرح وتأمل معاً ، تضع سماتها على وجوه جماهير مبتهجة ، فها هن أولاء النسوة يلوحن بمناديلهن البيضاء ، ويطلقن زغاريدهن تحية لجيش منتصر ، وهام أولاء الأطفال يملؤون الجو ضحكاً ومرحاً ، وها هو ذا الشيخ العجوز يمسح بيد ترتعش ، دمة تجري على خد كتب العصر فيه سطور أيامه .
إنهم جميعاً يعبرون بطريقتهم الخاصة عن عظمة أيام لها معنى في تاريخ الوطن .

حركاتهم التقليدية المألوفة ، تبدو وكأنها تحو لحظات أخرى عاشوها في

المحنة . كما يحو الشعب من ذاكرته أيام حرب خاضها بدمه ، أو أيام احتلال
أجنبي عاناها أو أيام ... الاستعمار .

ولكن يحدث أحيانا في جو البهجة أن تنفجر المأساة !

فالجزائر التي كانت تعيش عيد استرجاع الوطن المفقود ، كادت تعيش ذلك
اليوم في ٥ تموز (يوليو) عام ١٩٦٢ يوم حزن وطني ، لولا حكمة الشعب وتدخله
بين طرفين يتنازعان السلطة .

الوطن يتذكر كيف كاد ذلك اليوم أن يكون أحلك أيام الثورة ، لأن بعض
الفئات دنست اللحظة الجليلة بنزعات فردية ، لم تذب في حرارة التعارف
والإخاء اللذين كانا يسودان ذلك اليوم .

هكذا جمدت على الشفاه ذلك اليوم زغاريد النساء ، وبدت على وجوه
الشيوخ طيات من الأسى جديدة ، وتوارى ضحك الأطفال من شوارع العاصمة
الجزائرية ، حين تواجه الطامعون في السلطة من الفريقين برصاص رشاشاتها .

نذكر هذا كله في الجزائر ونذكر كيف كانت حكمة الشعب وحدها ، الحائل
دون تفاقم الصراع والأخذ بعيد الاستقلال إلى جو البهجة والحبور .

وشعب فيتنام وهو لا زال يعيش المأساة يتذكر هو الآخر كيف دنست
النوازع يوم استقلاله .

شعب الكونغو وما حل به بعد انسحاب السلطة البلجيكية ، ثم شعب
نيجيريا يعيش المأساة وكأنها تنتظر كل شعب من شعوب العالم الثالث وهو على
عتبة استقلاله .

إنها لظاهرة تتسم بها البلدان المستعمرة ، فأى وطن منها ارتفع فيه علم
الاستقلال ، لم يجد في ذلك اليوم أزمة تنفجر على مستوى قياداته ؟!

لقد كان (التقسيم) وليد هذه الظاهرة في الهند . فكانت باكستان بغشها وسمينها وما منيت به من خسائر في النفس والنفيس ، فضلاً عن هجرة الملايين أو تهجيرهم مطاردين في طرفي حدود مصطنعة . وكانت أخيراً رصاصة مني بها رجل (اللاعن) غاندي نفسه وقضت عليه إبان الزوبعة التي أثارها استقلال الهند .

قد لا نخطئ إذ نعزو ذلك إلى دهاء الإنجليز ، فإذا اعتمدنا هذا السبب - وهو ليس السبب الوحيد - فدور رجل مثل (باطيل)^(١) ونظيره الباكستاني لا يقل أهمية في الموضوع .

وبعبارة أدق فزعماء المؤتمر الهندي من ناحية ، والرابطة الإسلامية من ناحية أخرى ، هم الذين تحقق على أيديهم تمزيق الوطن وزهق ملايين النفوس .

ينبغي أن نسقط أحداث الجنوب العربي على هذه الخلفية ، إذا أردنا أن نفهم طبيعة الخلاف الناشب اليوم بين الحركتين وهما على عتبة استقلال الوطن .

هنا أيضاً لا نغفل دور (إنجلترا) التي تريد أن تغادر الديار ، ولكن بعد إضرار النار في أركانها .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإنها تقاليد الاستعمار يباشر (تصفية الاستعمار) كما يقولون بهذه الطريقة ، حدث ذلك في فلسطين عام ١٩٤٨ عندما غادرها الجيش البريطاني على رؤوس الأصابع ، لترك الشعب الفلسطيني تحت رحمة رشاشات المنظمات الإرهابية الصهيونية كـ (شتيرن والهجانا) .

بل لعل الطريقة التي اتبعها الإنجليز في فلسطين ، أكثر وضوحاً من الطرق التي يسلكها الاستعمار عادة في مثل هذه الحالات ، فقد جاء انسحاب الجيش

(١) وزير الداخلية في الحكومة الهندية الأولى وكان رجلاً معروفاً بالتعصب الديني والحقده على الإسلام .

البريطاني بترك الميدان للصهيونيين الذين هياهم قياداتهم ووحدتهم من أجل القيام بدورهم ، بينما القيادات العربية غمرت شعوبها بالخطب الرنانة فتمزقت وحدتها ، وبدلاً من أن تنصرف إلى خلاص الأمة عمدت كل واحدة منها إلى الاستيلاء على جزء من أجزائها .

والفارق هنا في منتهى الوضوح ، لأننا إذا كنا لا نعرف بالضبط ما تريده القيادة العربية ولا ندري إذا كانت هي الأخرى تعرفه ، فإننا على العكس من ذلك ، نعرف تماماً ما كانت تريده القيادة الصهيونية ، وهي كانت تعرفه بوضوح أكبر .

وينبغي أن نضيف للتاريخ ولتعميق إدراكنا ، أن العرب لم يكونوا يفكرون في استخلاص النتيجة الضرورية من تلك المجابهة المؤلمة مع واقعهم ، إذ لو تأملوا لوجدوا واقعهم يطرح القضية بلغة الحضارة .

فلم يكن من محض الصدفة ، أن القيادات الصهيونية تقتصد في الكلام وتلتزم الفعالية في العمل ، كما كانت أكثر وفاء لالتزاماتها السياسية والعقائدية من القيادة العربية .

ذلك أن التحليل يقودنا إلى القول: إن القيادة الصهيونية كانت تتحرك ، وتحرك حولها الأشياء والأشخاص طبقاً لما تمليه ثقافة حضارة ؛ بينما لم تكن القيادة العربية ترى من الأشياء والأشخاص إلا وسائل لإشباع حبها وهواها في السلطة ؛ أي إنها كانت تخضع لما تمليه ثقافة (القوة) التي ربما تنعكس حسب الظروف إلى عقدة (ضعف) .

واليوم ! نرى الجنوب العربي تسوده الفوضى ، وتجابه مرة أخرى قيادة عربية بمشكلة حضارة .

ولو طرحنا هذه القيادة قضيتها تحت عنوان (مشكلة حضارة) بل
لو تعمدت طرحها بهذه الطريقة لحققت بدفعة واحدة هدفين :

الأول في المجال النفسي ؛ حين تحرر كل زعيم من هؤلاء الزعماء من عقدة
السلطة ، فينظر إلى الاستقلال من زاوية الواجبات توضع على كاهل كل فرد ،
بدلاً من نظرتة إليه من زاوية الحقوق يمنحها له ، إذن هذا الزعيم سيعدل تلقائياً
أطباعه في السلطة .

والهدف الثاني نتيجة للهدف الأول على الصعيد السياسي ؛ إذ بقدر ما تتعدل
نظرة الزعيم نحو السلطة ، ويتحول تقديره لها من مجموعة (حقوق) إلى مجموعة
(واجبات) ، يضيق مجال مناورات الاستعمار ، لأنها تصبح غير ممكنة في نفوس
محصة بعيدة عن الهوى والغرور .

فكل عمل يسهم في تضيق هذا المجال النفسي (الطمع في السلطة) يستحق
التقدير ، خصوصاً في وطن يعيش مرحلة من (تصفية الاستعمار) .

هكذا نرى أنفسنا أمام ضرورة ملحة كثيراً ما ألحنا إليها في مقالات سابقة ،
ألا وهي تصفية الاستعمار في العقول قبل كل شيء .

فتصفية الاستعمار من العقول تتطلب أشياء كثيرة يتضمنها مفهوم الثقافة
ومفهوم الحضارة ، فهي لا تتحقق إذن بمجرد انسحاب جيوش الاستعمار ، وبمجرد
إعلان الاستقلال وتحرير دستور كما هو الأمر بالنسبة للتراب الوطني .

ولا نستطيع في هذه السطور إلا الإشارة الرمزية إلى هذا المضمون ، ثم يبقى
إدراجه في منهج تربوي يهدي إلى تقويم جديد في ضمير كل مواطن ، وخاصة كل
زعيم ، لمفهوم الواجب المطهر ، الذي من شأنه أن يطهر أولاً الجو السياسي في
الأوطان التي تعيش مرحلة تصفية الاستعمار .

أما (الحق) ... فما أغراها من كلمة ! إنها كالعسل يجذب الذباب ويجتذب الانتفاعيين ، بينما كلمة (الواجب) لا تجتذب غير النافعين .

وكلمة الواجب على الصعيد السياسي توحد وتؤلف ، بينما كلمة (الحق) تفرّق وتمزّق .

إن زعماء الجنوب يعطون اليوم ، بفرقتهم وتناحرهم وتطاحنهم أجلى صورة عن هذه الظاهرة^(١) .

وما كان اجتماعهم الأخير في القاهرة حيث اجتمع - كما نذكر - ممثلو الحركتين المتنازعتين حول مائدة خضراء ، ما كان هذا الاجتماع إلا محاولة من كل من الطرفين للحصول على أكبر نصيب ممكن من النفوذ والسلطة ، وهو لم يكن بالتالي إلا حواراً بين صم لم يتعلموا حتى الكلام بالأصابع . واجتماع كهذا ما كان له أن ينتج غير الإفلاس الذي شاهدناه .

إنما ينبغي ألا ننسى مكيدة عجلت بذلك الإفلاس ، فالقارئ يتذكر بدون شك أنه في نهاية الاجتماعات ، وحتى أثناءها ، وزعت شركة أنباء غير موفقة ، أوّلها على العكس توفيق خاص ، نبأ يزعم بأن الطرفين قد وصلا إلى اتفاق على تأليف حكومة على رأسها زعيم من حركة ...

لقد كان هذا النبأ بمثابة (برقية أيس) تلك البرقية المزيفة التي سبقت حرب ١٨٧٠ بين فرنسا وألمانيا ، فألهبت برميل البارود وبلغت الأزمة أشدها . وإذا بالرصاص الذي أعد لصدا امبرياليين يحصد في صفوف المقاومين والمجاهدين من أجل الاستقلال .

(١) كتبت هذه المقالة أيام كانت فكرتنا عن الجنوب العربي غير واضحة . أما اليوم فإننا نعرف ماذا يريد جورج حبش وحواريوه في المنطقة .

وربما سيكون يوم إعلان الاستقلال (أي في خلال أسبوع) اليوم الذي
ستمع فيه شوارع عدن رصاص الرشاشات عوض زغاريد النساء وضحك
الأطفال .

إن على هؤلاء الزعماء أن يعودوا إلى رشدهم - احتراماً للشعب - فلا يبدنسوا
لحظة عظيمة من تاريخ وطنهم بل من تاريخ العرب والعالم الثالث ، بكلمات أو
أعمال مؤسفة . وأن يحكموا فيما بينهم إرادة الشعب التي هي كما يقول المثل الروماني
« صوت الشعب هو صوت الله » .

إن هذه المعجزة ممكنة ، وقد رأيناها تحققت في الجزائر في شهر تموز
(يوليو) عام ١٩٦٢ .



الفصل الثاني في قضايا الاستقلال

- نظرة علم الاجتماع في الاستقلال
- تغيير الإنسان
- العامل الجزائري في فرنسا
- معالم على طريق الحركة النسائية الجزائرية
- وزن الوقت

نظرة علم الاجتماع في الاستقلال

ترجمت هذه المقالة المنشورة
بالفرنسية في مجلة (الثورة
الإفريقية) شهر أيار (مايو) عام
١٩٦٥ .

إن تطورات العالم الإسلامي ، منذ الحرب العالمية الثانية تضع نخبته في مختبر التاريخ ، تفحص فيه إمكانياتهم في مواجهة الحشد من المشكلات ، وهي تتطلب قدرة في التصور ومهارة في التطبيق من أجل حلها .

من هنا يفتح لعالم الاجتماع المهتم بشؤون العالم الإسلامي ، في مرحلة الاستقلال ، مجال لا يخص الباحث فحسب ، وهو يدرس الجانب النظري ؛ بل يخص الذي يمارس العمل السياسي أيضاً . فالعلم الذي لا يترجمه عمل ، يظل ترفاً لا مكان له ، في وطن ما يزال فقيراً في الوسائل والأطر .

ففي هذه المرحلة بالذات ، لا بد للاهتمامات أن تتركز في البلاد الإسلامية حول مفهوم الفعالية ، وعلى الخصوص في مجال التسيير ووسائله : الأداة والدولة . ولكي نفهم هذه الضرورات ، لا بد من العودة خطوات إلى الوراء .

إن حرب الاستقلال في بلد مستعمر تصب حتماً على السيادة الوطنية من الناحية السياسية ، بينما تتجمع فيه من الناحية الاجتماعية ، مشكلات العهد الجديد ، والمشكلات الموروثة من عهد الاستعمار .

فالعهد الجديد ، حين يتأسس تحت إشراف دولة ينبغي ألا يكون مجرد إعلان للسيادة الوطنية ، إعلاناً مسجلاً في السطور الأولى من الدستور ، بل ينبغي أن يكون أداة ضرورية لتنمية هذه السيادة ، في كل أبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية .

فإعلان السيادة حاصل منذ اللحظة الأولى . قد كتبته الدماء الزكية التي أراقها الشهداء على مذبح الوطن .

أما أداة التنمية ، فإنها تتطلب أكثر من ذلك ... إنها تتطلب عرق الأحياء في عملهم المشترك ، إذ هو يتكفل بها لمواصلة الكفاح من مقتضيات التحرير إلى متطلبات البناء .

إن الانضباط النفسي ، الذي يتحلّى به أولئك الذين سيتناولون ، بعد الكفاح المسلح ، المحراث أو المطرقة ، القلم أو المبرع ، الميزان أو أي أداة أخرى للعمل ؛ إن هذه الأجيال المستمرة في اتجاه مرسوم والمشاركة عليه ، هي التي تصنع الدولة على الصورة المتلائمة عضوياً مع طبيعة هذا الدأب المستمر وأهدافه .

إن الدولة تصنع نفسها بما تنجز من أعمال ، فهي السبب الذي تؤثر فيه نتائجه . ومن هنا ، ومن هذه الزاوية بالذات ، قد ندرك - إذا ما وازنا بين مفهوم الدولة ومفهوم الأمة - ما يعنيه رسول الله ﷺ في الحديث الشريف : « إنما هي أعمالكم ترد إليكم كما تكونوا يولّ عليكم » .

إن الحديث الشريف يعبر عن نظرة ذات أغوار سياسية اجتماعية بعيدة ، نستطيع تلخيصها على الصعيد التربوي في هذه المقدمة : إذا أردت أن تصلح أمر الدولة فأصلح نفسك .

والمنهج التربوي هذا هم أول ما هم دولة ناشئة ، لها فضائل الشباب ولها أيضاً عيوبه .

فالشعراء قد يستهويهم هذا الشباب المشرق ، كالشاعر (أراجون) الذي كان ينشد (الغادات الغناء) .

أما المفكر المتسم بأقل تفاؤلية ، أو بأكثر موضوعية ، ككينين مثلاً ، فإنه سوف تعثره حيرة أمام ما يسميه (الأمراض الطفولية) . فينتهي في آخر المطاف إلى سؤال « ما العمل ؟ » ، الذي عبر به من خلال عنوان لأحد كتبه عن قلق هذه المرحلة بعد ثورة تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩١٧ .

فعالم الاجتماع ملزم في البلاد التي دخلت في عهد ما بعد الثورة ، أن يطرح السؤال أمام كل ما يشتم منه رائحة الأمر الغريب الشاذ .

ينبغي أن ينشأ علم اجتماع خاص بمرحلة الاستقلال ، ليكون بين أيدي من يشرف على أجهزة الدولة أداة رقابة لا ينفصل عن جهاز التخطيط .

ففي بعض البلدان ، نرى هذه الرقابة قد نشأت تحت اسم (النقد الذاتي) . وإننا لنعلم ما كان لها في الصين ، على سبيل المثال ، من تأثير تعديل في السير وتنظيم الحياة الاقتصادية .

وكم نود هنا في بلادنا ، أن نتخلص من عقدة الرفض ، التي طالما سدت الطريق ، أثناء الثورة ، على كل محاولة إصلاح ، بدعوى أن كل نقد سيكون في صالح الاستعمار ... بينما أرى بكل وضوح اليوم أن الاستعمار هو وحده الذي استفاد من هذا الرفض .

فالقضية تدخل في نطاق الصراع الفكري ، وتتطلب في هذه الحالة شروحات لا نريد الولوج فيها في هذه السطور . غير أننا نقول إن الاستعمار أو خليفته الاستعمار الجديد ، لا زال يقيم السدود أمام كل محاولة نقد ، أي مراجعة للأخطاء . ولا زال يغذي أدب تعمية يحرف حتى المصطلحات ذاتها ، التي

يستعملها النقد النزيه . فيعزو مثلاً مفهوم (القابلية للاستعمار) إلى مستشرقين غربيين ... بينما والحق يقال ، نرى الاستعمار الجديد يشتمل من استعمال هذا المصطلح كأنما يخشى على سر من أسرارهِ .

وباختصار ، فـ (الرفض) صار ، بين أيدي موجهي الصراع الفكري ، أنجع وسيلة لتجميد العقل النقدي .

إلا أننا في الحقيقة ، لا نفاجأ في عقدة الرفض بأمر جديد ، فعقدة الرفض لها ماضٍ في سياستنا بعيد . وأذكر على سبيل المثال ، تلك المناسبة التي جمعتني يوماً ، في ضاحية من ضواحي باريس ، في شهر حزيران (يونيو) أو تموز (يوليو) ١٩٤٦ ، ببعض ممثلي الحركة الوطنية ومن بينهم أحد ركانز الحزب جاء خصيصاً من الجزائر .

لقد كنا نراجع الموقف بعد الحرب العالمية الثانية ، وكنت كلما وجهت ملاحظة ، يشتم منها نقد لمسيرة الحركة أثناء الحرب ، يردها ركنزة الحزب هذا ولم يكن يردها بالحجة وإنما بـ (الرفض) .

ويجب أن أضيف بأنها لم تكن المرة الأولى ؛ التي يعترضني في الطريق هذا العائق المشل ، والذي يبدو لي الآن ، بعدما مرّ بعض الزمن ، أنه لم يعق في شيء مصالح الاستعمار ، وإنما أعاق القضية الوطنية .

هذا الرفض ، ينبغي رفعه من مرحلتنا الراهنة ، لينطلق النقد الذاتي في الجزائر ، إلى أبعد مما وصل إليه في البلاد التي صاغته ومارسته بوصفه ملحقاً لتنظيمها السياسي .

وربما كان على جامعتنا أن تتولى الأمر هذا ، وتشرف على دراسات اجتماعية

متخصصة ، تتناول الحالات المنحرفة أو الشاذة لتصفية ما امتنع منها عن العلاج الثوري^(١) .

ولا شك في أن دراسات لهذه الحالات المرضية ، ستكون أنفع للوطن من أدب الإطناب والتجيد ، بل ينبغي القول إن هذه الدراسات قد أفادت الجزائر فعلاً عندما كانت تطبق فيها ولو بطريقة عفوية في العشرينات . فالجزائريون الذين من جيلي ، يعلمون أنها السنوات التي زحزحت الثقل ، الذي وضعته قرون ما بعد الموحدين على كاهل الوطن .

لقد كانت بالنسبة للشعب الجزائري فترة صحو ، استعاد فيها رشده وأدرك فضائله ، كما أدرك نقائصه التي كان الاستعمار دائماً على تدميرها .

وإذا كانت بعض الانتكاسات قد حدثت بعد ذلك ، فذلك يعني أن العمل العفوي لا يعطي نتيجة ثابتة ، فالقضية لا تعدو أن تكون مشروطة بالمنهج . ومهما كان الأمر ، فضرورة مراجعة الأشياء أصبحت ملحة اليوم .

إن أعمال التخطيط والتشييد ، اللذين يجريان اليوم في مختلف البلاد الإفريقية ، تجعل المعرفة الدقيقة لجهاز الإنجاز والتنفيذ أمراً ضرورياً ، خصوصاً تلك الدولة الإفريقية التي ظهرت للوجود في العقد الأخير .

وإذا كان يهمننا أن نعرف إلى أي درجة ينبغي أن يكون الأمر حسناً ، فإنه يهمننا أكثر أن نعرف إلى أي درجة يتطلب تحسين الأمور .

فهذه الملابس ، هي التي تفرض تأسيس علم اجتماع خاص بالحالات المرضية ، للكشف عن العراقيل والمعوقات التي ربما عرقلت الإنجاز والتنفيذ .

(١) هذا هو المعنى الذي يجب أن تفهم به الثورة الثقافية في الصين ، حتى لا تتورط في استعمال هذا المفهوم بمحتوى آخر كما يحدث بكل أسف في بعض البلاد العربية .

وينبغي أن يكون هذا المنهج شاملاً ، أي أن يتناول الإحصاء والتفسير ، أو
بعبارة أخرى ينبغي أن يعنى بالكشف عن الحالة الشاذة من ناحية ، وأن يدرس
مصدرها أو تاريخها من ناحية أخرى .

إننا قصرنا نظرنا عن قصد وبنية الإيجاز ، على نطاق الجزائر . إنما على من
يهمه الأمر أن يتصرف في الحالة التي تعنيه فيدرجها في مكانها بين النتائج النظرية
التي نصل إليها ، أو يُصدّر النتائج إلى مكانها في أي وطن إسلامي آخر .

فأي وطن يتخلص من الاستعمار ويعلن سيادته ، لا تختلف فيه المشكلات
عن وطن آخر يمر بالمرحلة نفسها .

على أننا ، إذا حاولنا ترتيب المشكلات وفق أولويتها ، فمن المعقول أن تمنح
الألوية إلى مشكلات الاستقلال ، أي إلى الحالات التي ستزيد من درجة
الصعوبة في مهام الدولة .

ونحن هنا لا تقدم إحصائية لهذه الصعوبات حتى لا نتورط في الاعتبار
السياسية أو المذهبية . ولكننا نشير إلى إحدى هذه الصعوبات لأنها تتمثل في
عقدة قد يكون لها أسوأ تأثير على مستقبل الوطن بوصفه دولة ، إن لم تُصَفَّ في
قريب عاجل .

فهذه العقدة تعرض منذ الآن ديمقراطية المؤسسة من وجهة نظر المحكوم ،
عندما يرى أجهزتها المختلفة لا تنسجم في أداء وظيفة الدولة ، بل تسير وكأنها
أجهزة دول مختلفة .

فالمواطن المحكوم يشاهد أثر هذه العقدة حتى في العمليات البسيطة التي تقوم
بها أجهزة إدارة واحدة ، فما بالك إذا تعقدت العملية وتدخلت في إنجازها إدارات
مختلفة ، تقول الواحدة نعم بينما تقول الأخرى لا ؟ .

فن الناحية المعنوية ينبغي أن نتصور وضع المحكوم في مثل هذه الحالة .
أما من الناحية الفنية فإننا نتصور الدولة في حالة كهذه ، محركاً تدفع بعض
أجهزتها إلى الأمام بينما تدفع الأخرى إلى الخلف .

فن الناحية الميكانيكية ، ندرك بسهولة تلف الطاقة ، التي يتعرض لها
محرك كهذا ، بل نتصور أن المحرك نفسه يتعرض للتلف ، ونعلم بالتالي كيف
يمكن لصاحب المحرك أن يتفادى خطراً كهذا بكل عناية واهتمام .

فبين الحالات الاجتماعية المرضية ، ليست الحالة التي أشرنا إليها أخطرها ،
إنما أشرنا إليها لأنها قابلة للتشبيه بوضع المحرك تشبيهاً يقرّبها للفهم .

فعاة عدم الانسجام والتنسيق ، التي نشير إليها هنا ، تظهر بكل بساطة ،
عندما يكون ملف تجهزه إدارة ينتظر وثيقة تبطئ بها جهة في الإدارة نفسها .

كما تظهر العاكة بصورة أخرى ، عندما تنتظر إدارة من أخرى ، الإسهام في
إنجاز عملية أكثر تعقداً ، فتتعطل العملية بسبب تخلف الإدارة الثانية وتقايسها
في الإسهام .

ففي صورتين كليهما ينبغي دراسة الحالة للكشف عن أسبابها المرضية ،
وأبعادها المختلفة ويكفيها هنا على سبيل التوضيح أن نتناول بعدها النفسي .

ونحن نسوغ موقفنا من هذه الزاوية ، فنقول إن العلاقات القائمة بين
الأجهزة المكلفة بإنجاز العمليات الإدارية المشتركة ، ليست مجرد علاقات
ميكانيكية كما تكون بين أجهزة محرك ، بل هي علاقات بين أفراد ، أي في
جوهرها نفسية .

فإذا كانت بلدية ما ، تتخلف عن إرسال ورقة ما ، تنتظرها إدارة تعليم
مثلاً ، فتبقى العملية المشتركة معطلة على حساب مواطن ، فهذا لا يعني بالطبع

أن العلاقات بين الإدارتين سيئة في طبيعتها التنظيمية ، وإن كانت تصبح سيئة فعلاً عندما يشخصها أفراد لا يحسنون تشخيصها .

فالمشكلة لا تطرح من الجانب التنظيمي بل من الجانب النفسي ، لأنها مشكلة البنية الذهنية .

إن عدم التناغم المشار إليه ليس إلا العرض المرضي للعلاقات المنحرفة بين الأفراد القائمين بوظيفة الدولة على اختلاف مراتبهم .

فلاضطلاع بهذه الوظيفة ، يتطلب من القائمين بها الخضوع لشروطها ، سواء بالنسبة للرؤساء أو المرؤوسين ، خضوعاً يقضي بالحد من (الحرية) ومن (الاستقلال) الفردي .

فالوطن لا يحقق (استقلاله) في مرحلة البناء ، إلا بقدر ما يضع من حدود (لاستقلال) أفراداه .

غير أن الحدود هذه لا تحتل ، إذا لم يكن لها أسمى المسوّغات : إن (الخضوع) أو التسليم في نصيب من حريته لا يتسنى في نظر الفرد ، إلا إذا كان الخضوع يتضمن معنى الواجب المقدس ، كالواجب الذي خضع له خالد بن الوليد يوم اليرموك .

فمشكلة العلاقات الناتجة عن ممارسة السلطة ، عمودياً أو أفقياً ، مع الرؤساء والمرؤوسين ومع الزملاء ، تتصل مباشرة بقضية تسويق (الخضوع) بصفته التزاماً يعبر على صعيد العمل المشترك عما يتطلبه الضمير المهني .

وهذه العلاقات - التي تشرط فعالية العمليات الإدارية كلها ، وبالتالي وظيفة الدولة كلها - تعكس ظلها على تفاصيل الحياة ، في أقصى أبعادها ، عكساً يصبح معه الضمير المهني مجرد الضمير ، وتصير العلاقة الناتجة عن ممارسة السلطة مجرد العلاقة الاجتماعية في أبسط صورها .

إن المجتمع الذي عانى عندما خضع مثلاً لسلطان الاستعمار، اضطرابات في شبكة علاقاته الاجتماعية ، سيعاني قطعاً مشكلة في علاقاته السلطانية ، حين يصبح هيئة سياسية ، أي عندما يصبح دولة .

وكل مجتمع أصابت فيه محن الزمن شبكة علاقاته الاجتماعية ، سيواجه قطعاً سيئات الروح الانفرادية ، وستكون فيه العلاقات السلطانية ملوثة لأن (الخضوع) الذي تفرضه العلاقات هذه - أفقياً وعمودياً - لا يجد مسوغه بصفته التزاماً وواجباً .

ومن هنا ينبغي على هذا المجتمع ، عندما يشرع في النهوض ، أن يرمم ويصلح شبكة علاقاته الاجتماعية ، ليتغلب على الصعوبات الناشئة في نطاق علاقاته السلطانية .

ففي الجزائر على سبيل المثال ، نجد أنفسنا أمام هذه المشكلة ، بعد أن مرت عليها قرون ما بعد الموحدين وقرون الاستعمار ، فراها تشرط ممارسة السيادة ، بمعنى تشرط ثمار الاستقلال كلها .

وفي مرحلة كهذه ، يمكن لنا القول إن كل نزعة تمليها الانفرادية ، هي بالتالي على حساب السيادة الوطنية .

وربما جاز لنا القول ، على قدر خبرتنا وما شاهدناه في الحياة الإدارية ، إن المرأة الجزائرية تنسجم منذ الخطوة الأولى مع وظيفة الدولة ، لأنها لا تعاني في ذاتها عقدة (الاستقلال) الفردي ، التي تجعل (الخضوع) لمقتضيات الوظيفة أمراً صعباً . ونضيف هنا أننا من الناحية الفنية ، لا نرى كفاءتها تنقص في شيء .

فإذا ما عددنا بصورة عامة مشكلة العلاقات في عمقها ، فإننا نراها تتصل من حيث طريقة حلها بالشروط النفسية الزمنية التي تقوم عليها حضارة ، أي بشروط لا تحققها مجرد ثقافة مهنية ، بل ثقافة جذرية تغير فنياً معالم الذات .

ثم إن المشكلة ، وإن كانت هنا لا تخرج عن النطاق الإداري ، الذي حصرناها فيه عن قصد بغية الاختصار والتوضيح ، فإنها تتطلب منا درجة من الوعي تجعلنا ندرك المناقضة التي نلمسها أحياناً في جهازنا ، مناقضة بين استقلال الوطن (واستقلالات) الأفراد . مناقضة بين حريته و (حريات) موظفيه .

من هنا كم يجب علينا أن نعالج ونصفي هذه المناقضة ، لنعطي وظيفة الدولة فعاليتها ومعناها الديمقراطي .

على أنه ، وإن اقتصرنا الاعتبار هذه على البعد الإداري كما فعلنا في هذه السطور ، فإنها لا تلم بالموضوع من سائر جوانبه ، إذ ينبغي أن تتأسس دراسات متخصصة في قضايا الاستقلال .

إن المسؤوليات في النطاق الإداري وفعاليتها فيه ، لاتعدو أن تكون انعكاساً لأوضاعنا النفسية في العمل والإنتاج . فمن أجل أن يكون الجهاز الإداري عاملاً منتجاً ، يجب أن يكون روح الإدارة روح عمال ومنتجين لا روح (باشاوات) مستبدين .



تغيير الإنسان

عن مجلة (التورة الإفريقية) عدد
٢٢١ شهر أيار (مايو) ١٩٦٧

ينقل العدد الأخير من مجلة (نوفيل أوبسرفاتور) مقالاً من مجلة
(بروق) ، يصف صاحبه ، (فرانسوا فوريه) ما يسميه : « تيه المثقفين
الفرنسيين بعد الحرب العالمية الثانية » .

إنني بكل أسف لم أطلع على هذا المقال ، وربما لم تكن لتفيدني مطالعته إلا
من الناحية الفكرية ، إذا ما عقدت موازنة بين الحالة التي يصفها وبين « تيه
المثقفين الجزائريين بعد الثورة » .

غير أن الموضوع يأخذ فجأة أهمية كبرى ، حين نقرأ ملاحظة لـ (جان
دانييل) ، تطرح بصورة غير مباشرة ، مشكلة لم تفقد أهميتها في كل محاولة تقويم
جديد للثورة الجزائرية .

إن ثورة ما ، هي في جوهرها عملية تغيير .

غير أن لهذا التغيير أسلوبه وطبيعته : فأما الأسلوب فيتسم بالسرعة ليبقى
منسجماً مع التنسيق الثوري ، وأما طبيعة التغيير فإنها تتحدد في نطاق الجواب
على السؤال التالي :

ما هو الموضوع الذي يجب تغييره ، ليبقى التغيير متمشياً مع معناه الثوري ؟

بين الرشاد والتهيه (٤)

المشكلة تبدأ من نقطة الاستفهام هذه ، فن هذه النقطة بالذات تنشأ في الأذهان الالتباسات والشبهات .

وينبغي على الثورة لتفادي الإيهام ، أن ترسم خطأ واضحاً حول موضوع التغيير حتى لا يبقى مجال للخلط .

أما إذا أسلمت الأمور إلى الغموض والضباب ، فإن أي انحراف سيكون متوقعاً ، وسوف تظل الثورة معرضة لأن تترك مكانها - دون أن تعلم - لشبه ثورة ، تستبدل بالكيف الكم ، وبالتغيير الجذري الضروري شبه التغيير .

إن مجموعة من المظالم الاجتماعية تستطيع تخزين طاقة ثورية هائلة ، ولكن إذا انفجرت هذه الطاقة ، وهي تنفجر في ظرف استثنائي ، فليس من المؤكد أن تمسك الثورة اتجاهها ، وألا يطرأ فيها انحراف .

الاستمرار في الاتجاه إذن يقتضي شروطاً .

وفي هذا المجال نرى في تعليق (نوفيل أوبسرفاتور) توضيحاً لأمزيد عليه في الموضوع ، إذ أن صاحبه (جان دانييل) احتج على (فرانسوا فورييه) برأي ، أدلى به (جيفارا) في حديث عن الثورة يقول فيه : « إذا لم يعن بتغيير الإنسان فالثورة لا تعني إذن شيئاً بالنسبة لي » .

فهذه كلمات في منتهى الوضوح ، في منتهى الصفاء ، وفي منتهى الدقة ، إنها تضعنا في صلب القضية .

لقد علق (جان دانييل) على هذه الكلمة بأنه كان يشعر أثناء الحديث مع (جيفارا) وهو يقول هذه الكلمات « بنفس تتخلله حدة دينية » .

ولقد كان (جان دانييل) محقاً في تعليقه هذا .

وبالفعل فالثورة التي لا تحركها هزة تكاد تكون شطحة صوفية فليست
بثورة .

والتغيرات الثورية تصبح حلاً من الأحلام إذا لم تقم على هذا الشرط ،
فتحويل سلطة سياسية من أيد إلى أخرى ، وإعادة تنظيم الإدارة وأجهزة
العدالة ، وتغيير العملة ، وتعديل النظام الاقتصادي ، هذه كلها أمور تدخل
بطبيعة الحال في نطاق الظاهرة الثورية .

وقد تتغير خريطة توزيع الملكية في الوطن ، وقد يسند إلى أبناء الوطن
وظائف كان المستعمرون يشغلونها ، وقد تستبدل بالحروف اللاتينية حروف
عربية على واجهات ولافتات الحوانيت ، إلا أن التغيرات هذه جميعها تصبح مجرد
سحر للأبصار ولا يستقر أمرها إذا لم يتغير الإنسان نفسه .

وقد يرتفع متوسط الدخل الفردي أيضاً ، دون أن يكون ذلك المقياس
الصحيح الذي به تقاس الثورة .

إذ لو كان الأمر يقتضي مجرد زيادة في الأجور وفي وجبات الطعام ، لكان
على حد تعبير (جيفارا) مع تصرف قليل في كلماته ... لكان استعمار جديد له
نصيب من الذكاء أقرب إلى النجاح بالمعنى الثوري المنحرف .

ولقد كان الشعب الجزائري الثائر ، على إدراك تام لقضيته ، عندما قال :
« لا » ، في استفتاءه على مشروع قسنطينة ، الذي كان يمينه ويعدده الاستجابة
لكل ما قد يكون له من رغبات مادية .

فثورة ما لا تستطيع بناء وضع جديد والحفاظ على مكتسباتها إلا إذا كان
أثره في تصفية الاستعمار ، فعالاً في تصفية الإنسان من القابلية للاستعمار ، فتصفية
الاستعمار في الإنسان تشرط تصفيته في الأرض ، ويجب أن تتقدمها .

ولا يمكن لنا أن نفهم معنى فاتح تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ بصفته بعثاً
وتحريراً للإنسان إذا غابت عن أذهاننا عملية التلويث ، التي عاناها الإنسان
الجزائري طيلة قرن ونصف .

ففي هذه الحقبة الطويلة من الزمن كان على الإنسان أن يحتقر نفسه وأن
يتحلى بالقباب (أنديجين) .. كي يتناغم مع وضع استعماري لاشفقة فيه .

والمتقف في الجيل السابق كان يطالع جريدة (صوت الأنديجين) وجريدة
(صوت المحتقرين) ، وإذا تعين عليه أن يكتب شيئاً فوضوعه يتحدد في ذهنه
بقابلية للاستعمار ، وكذلك المتقف الجزائري الذي نشر حوالي عام ١٩٢٥ كتاباً
عنوانه (يا الله) ، وأردف هذا العنوان بعنوان آخر يفسره « أو كيف يأمر
الأوربي (الأنديجين) حتى يطيعه » . لعل هذه العبارة تكفي دليلاً على سمو
العواطف عند صاحبها ، أليس كذلك ؟ .

ولم تكن هذه البضاعة السخيفة ليحتكرها مثقفون ، بل نجد هذا النوع من
أدب العبودية منتشراً في أرجاء العالم الثالث ، وفي إندونيسيا منه عينات نقل
بعضها (ريدشارد قرقايط) في كتابه عن باندونج .

فأينما حل الاستعمار كان يلوث الانسان ، حتى أصبحت تصفيته من رواسب
الاستعمار ، أهم عمل ثوري في الثورة .

فلا غرابة إذن في أن الذين كانوا في فرنسا يعرفون عن العامل الجزائري
صورة هزيلة ، يكتشفون له بصورة مفاجئة صورة تفرض التقدير والاحترام
عندما اندلعت الثورة .

لقد لعبت الكلمات نفسها دوراً في هذا التعبير ، فمجرد أن كان الجزائري
يلقب (بالمجاهد) ، كان وكأننا ألغى من ذهن الآخرين صورة (الأنديجين)
الحقير ، حتى قبل أن يطلق أول رصاصة في الجبل .

فبمجرد ما يلقب (بالمجاهد) ، كان في طفرة واحدة ، يصبح البطل الواعي المدرك لعظمة تحديه للقوى الهائلة التي أمامه .

وإذا تغيرت الكلمات بطريقة عكسية أو غيرت في اتجاه آخر ، فإن أثرها في بعث الإنسان سيتأثر قطعاً بسبب ذلك .

لقد حدد الدكتور خالدي ، بطريقة موفقة ، أهمية الكلمات من حيث مدلولها الثوري ، ويجب أن تقدر أهميتها من الناحية النفسية ؛ إن الكلمات تعين مواقف أيديولوجية محددة .

فإذا غيرناها فالتغيير لا يعتري فحسب (لغة) الثورة بل إنه سيصيب (روحها) وربما يغير الموقف الثوري نفسه .

فإذا تنازل الثوار عن لقب (المجاهد) فسرعان ماسوف يظهر في سلوكهم الانحراف ، الذي كان يعتريهم عندما كانوا في الخدمة العسكرية في جيش الاستعمار .

يجب على الثورة أن تحافظ على صفاء (لغتها) حتى تحافظ على قدرتها على تغيير الإنسان .

إن بعض الإباحيات في اللغة - وقد يعدها أصحابها من الإقدام الثوري - ليست إلا خيانات للثورة في موضوعها الأساسي وهو تغيير الإنسان .

فإذا ما تحدث بعض الخنثين عن (التحرير الجنسي) مثلاً فكلماتهم لا تعبر عن شيء سوى هبوط في الطاقة الثورية .

وليس من العبث أن يعزو (سفر التكوين) في العهد القديم سائر العوامل التي مزقت وحدتهم وفرقتهم ، إلى البلبلة التي حدثت في لسان القوم . وقد أوضح بذلك أثر الكلمات على مصير البشر .

على أية حال ، فالثورة لا تستطيع الوصول إلى أهدافها ، إذا هي لم تغير
الإنسان بطريقة لا رجعة فيها من حيث سلوكه وأفكاره وكلماته .

وإذا ما نظرنا إلى الأمور في عمقها ، فإن ثورة ما ، لا بد لها أن تسير طبقاً
للقانون الاجتماعي الذي تشير إليه الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّى
يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١٣/ ١٢]

☆ ☆ ☆

العامل الجزائري في فرنسا

عن (الثورة الإفريقية) تشرين
الأول (أكتوبر) ١٩٦٥ كتبت
بناسبة تأسيس (ودادية العمال
الجزائريين في أوروبا) .

من الأشياء ما لا تدركه بالكلمات ، إنما تدركه بالتذوق . وليس يكفي ، كما
يقول الغزالي ، أن تقول هذا حلو إذا لم تتذوق طعمه ، فمن ذاق عرف .
والعامل الجزائري في فرنسا من تلك الأشياء التي لا يدركها المرء بمجرد
الكلمات .

فهلا سافرت من الجزائر إلى مرسيليا على عنبر سفينة أو متخفياً في مخزن
فحمها .

وهلا نزلت في غبش ذات صبيحة في محطة ليون في باريس ، دون أن
تكون لديك فكرة عن طعامك ذلك اليوم ؟؟

وهلا جُزت شوارع باريس على الأقدام ، دون أن يكون لك فلس تركب به
المترو ، تبحث عن عمل ؟!

وهلا وقفت ساعات لا تنتهي في صف طويل أمام شباك التشغيل ؟

وهلا دفعت براميل ثقيلة على رصيف مصنع ثماني ساعات في اليوم ، أو
أفرغت شاحنات ضخمة سحابة النهار حتى تفسخ جلد كفيك ؟!

هلا قضيت ليلك في المصنع ، ثم خرجت في البكور مكباً على وجهك كأنما
ظهرك قد انقسم نصفين ، وكأنما عضلاتك لم يبق منها شيء ، وقد التصق قيصك
بجلدك من العرق ؟ .

إنك إذا كنت كابدت شيئاً من ذلك فأنت تعرف القضية .

ولسوف تدرك أحلام الذين يذهبون هناك ثم يعودون بخفي حنين بعد
إقامة قصيرة غير مجدية ، أو يبقون في باريس يتعرضون للأمراض والتدهور
الأخلاقي والاجتماعي الذي يتهدهدهم .

ولسوف تدرك أيضاً ما يبذل هؤلاء الذين بقوا هناك من جهد ليسلموا من
أخطار تحديقهم ، وليجدوا لأسئلة تؤرقهم أجوبة تستشفها عقولهم .

أجل ... إنك إذن ستدرك هذا كله دون كلمة أو نصف كلمة لأنك ذقته ،
لأنك عشت في لهبه ، وكرعت من حوضه !! .

فالكلمات لا تستطيع سوى أن تخط حول هذا الموضوع خطأ أسود يشير إلى
محتواه الاجتماعي والسياسي .

أما هؤلاء (المتعطرون) الذين يتحدثون عن (الشروط الموضوعية)
للعمل ، وهم ينعمون على سطح مقهى من المقاهي الفخمة ، فهؤلاء لابد أن تك
أفواههم حتى لا يدنسوا بكلماتهم موضوعاً كهذا .

وقبل هؤلاء ، ينبغي أن تك أفواه أساتذتهم الدجالين الذين لم يتعرفوا على
الجماهير الكادحة ، إلا في تلك القاعات الفسيحة حيث كانوا يأتون قبل الثورة ،
يعللون آمالهم - (فالجزائر لا يئس أبداً من رحمة الله) - بكلمات خلاصة حتى
يجمعوا تبرعاتهم في كل شهر .

ومهما يكن من أمر ، فنحن اليوم أمام وضع معين علينا أن نباشره بحكمة .

فالجزائريون الذين يعيشون في فرنسا يكونون طائفة من المغتربين يبلغ عددهم سبع مئة ألف نسمة .

وهذا العدد وحده ، يعبر عن أهمية قضية تتطلب تحقيقاً نعرف به كيفية توزيع هؤلاء المغتربين على الخريطة الفرنسية ، ولعله من ترف القول أن نشير بأن أحداً سوى الإدارة الفرنسية لم يعتن بهذا الأمر .

على أننا نستطيع على وجه التقريب ، أن نتصور التوزيع الجغرافي هذا ، وقد تكون عبر السنين حول مراكز تقليدية ثلاثة : باريس ، مرسيليا ، ليون .

يضاف إلى ذلك ما استوطن من الجزائريين حول مناجم الفحم في الشمال ، وحول مناجم الفحم شرقي البلاد .

هذه المراكز تكون النقاط الأساسية لخريطة إسكان الجزائريين في فرنسا .

ثم لابد من ملاحظة عامة أخرى ، فسكان فرنسا من الجزائريين صنفان من السكان : صنف يغدو إلى فرنسا ويروح إلى عائلته في الجزائر . وصنف استقر نهائياً في مكان عمله .

وحينما نميز هذين الصنفين لانهقد بينهما نسبة عددية لأننا نفقد إحصائية دقيقة تسمح بذلك ، وإنما نريد فحسب لفت النظر إلى نوع المشكلات الخاصة بكل صنف .

فالعمال الجزائريون المستقرون في مكان عملهم يكونون بطبيعة الحال مجتمعاً فيه الأطفال والنساء والرجال والشيوخ ، بمعنى آخر مجتمعاً يطرح سائر المشكلات التي يواجهها وطن مامن تربية أطفال ورعاية أسرة أدبياً وطبيعياً ، وزواج ودفن أموات ، وإحاطة أفرادها بإطار ثقافي معين .

أما بالنسبة للصنف المترحل عن مكان عمله ، فالمشكلات تأتي على درجة الحاجة العاجلة : المأوى ، العمل ، الضمان الاجتماعي للعامل الذي لم يجد بعد عملاً ، الإطار الثقافي الذي ينبغي وضعه فيه ليستفيد من الإمكانيات الثقافية الموجودة في مكان العمل ، أو الموجود في الوطن الأم في نطاق ما يسمى (التربية الشعبية) .

بعد تعداد المشكلات الخاصة بكل صنف من الصنفين اللذين ذكرت ، هناك المشكلة المشتركة بينهما ، وإنها لمشكلة ملحة ، والسؤال الذي نطرحه الآن يدلنا على درجة إلحاحها ... فهل تستطيع الجزائر أن تزهد وتضيع بالتالي سبع مئة ألف من أبنائها ؟.

هذا السؤال ينتج عنه سؤال آخر ، ماذا تبذل الجزائر كي تمسك في أحضانها هذا العدد من أبنائها ... ؟.

قد يتبين للقارئ هنا أننا لا نقدم حلولاً ، بل نطرح مشكلات نراها في منتهى الخطورة .

ولكي نعطي فكرة عن تفصيل من تفاصيل القضية فليسمح لي أن أذكر ما سمعته من امرأة ... من أم جزائرية عام ١٩٥٤ .

لقد كانت المرأة هذه ترى ، والأسى يفتت قلبها ، أن أطفالها لا يجدون في المدرسة التي يترددون عليها في باريس ، أية معلومات عن تاريخ بلادهم ، ولا أي توجيه ثقافي يتلاءم مع عادات وتقاليد الوطن ، ولا أي شيء يربطهم بمصيره ، لقد كنت في تلك الفترة ، قبل الثورة بقليل ، مهتماً بأمر يشغل بالي ؛ ففي باريس كانت ولا تزال المشاريع ذات الطابع الاجتماعي والإنساني ، وهي جديرة بأن تقدم على الفور بكل نزاهة الجواب الذي كانت الأم الجزائرية تنتظره مني إذا قصرنا سؤالها على مجرد تكوين أولادها معها كانت الطريقة .

لكن جواباً كهذا ما كان له أن يلي رغباتها بوصفها أمّاً جزائرية .
فقد كان أي مشروع جزائري جدير بتبليتها لو كان موجوداً إذ ذاك ، غير
أن منظماتنا الوطنية لم تكن تفكر في إيجادها ، إذ كانت تفضل الظهور على
المنصات ، على القيام بأعمال متواضعة لا تلفت النظر .

لقد كان من المحتمل أن يناهز عدد الأطفال الجزائريين في تلك الفترة - قبيل
الثورة - ثلاثين ألفاً في باريس وضاحتها .

فسؤال الأم الجزائرية لم يكن فاقد الأهمية ، في وسط توجد فيه عند كل باب
سائر وسائل التعليم والتكوين المهني ، لقد كان يدوي في ذهني دويّاً كبيراً . إن
ثمة معجزة في متناول أيدينا ، لو شئنا تحقيقها : لكننا نستطيع خلال سنوات
معدودة تجهيز الوطن (وهو مقبل على الثورة) بثلاثين ألفاً من الفنيين من كل
نوع .

وإننا لندرك ونحن أمام مشكلات البناء ، قيمة المعجزة التي فرطنا بها .

لماذا لم نتحقق ، وقد كانت الأسر الجزائرية مستعدة للعطاء ولم ينقطع
سقاؤها في أبواب الخير ، بل كانت مستعدة لدفع كل ما تستطيع لكل من يريد
القيام بتوجيه أطفالها .

فلا يجوز إذن أن نعزو الفشل إلى أسباب مادية ، بل إلى أسباب فكرية
ونفسية .

لقد درست فعلاً القضية عن كثب ، ووضعت في ذهني خطة بسيطة
لمواجهتها . وهي مواجهة لم تكن تتطلب إلا بعض التضحية والمبادرة من زعماء
حركاتنا الوطنية في باريس .

ويجب أن نقول اليوم إن القضية لا زالت قائمة ، غير أن الظروف تبدو أيسر
في مواجهتها من ناحية ، ومن ناحية أخرى أشدّ عسراً .

فهي عسيرة ؛ إذا قدرناها بالنسبة لعدد الأطفال الذي لم ينقص بل تزايد في العقد الأخير ، ولأن الوضع السياسي قد تغير بالنسبة إلى آبائهم .

وهي يسيرة : لأن القضية لم تعد رهينة منظمات كما كانت قبل الثورة ، بل أصبحت بين أيدي الدولة الجزائرية ، ولا نتصور أن الدولة ستزهد بسبع مئة ألف من المواطنين .

إننا ننتظر من الدولة أن تحرر العامل الجزائري في فرنسا ، من أولئك المشعوذين الذين يبتزونه ، كما استغل أخاه في الوطن الموظف وشيخ الزاوية .

ولا ينحصر دور الدولة الجزائرية في الجانب السياسي والمادي من القضية بل ينبغي أن تعالج الجانب التربوي أيضاً .

ينبغي أن تعنى الدولة بوضع العامل الجزائري في فرنسا ، حتى لا يذهب إلى مكان عمله بأخلاق تسيء إلى سمعة الوطن ، أو يعود إليه بسلوك يسيء إلى مجتمعه .

إن المشكلة لا تتطلب مجرد الموقف النظري ، ولا مجرد المواقف الخيرية . إنها جديرة بكل اهتمام ودقة .



معالم على طريق الحركة النسائية الجزائرية

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٦٧ في
٢٨ من شهر آذار (مارس) ١٩٦٨

هكذا كان القوم ، في الجاهلية كما كان بين أهل الكتاب قبل الإسلام لاقية
للمرأة ، حتى إن العهد القديم لا يعترف بأن لها روحاً .

لم يكن أحد ليعبأ بفضيلة المرأة ولا برذيلتها ، فزياد بن أبيه والي العراق في
زمن معاوية ، يفخر بأبيه أبي سفيان ثم لا ينجل من أمه وقد ولدته على فراش
السفاح بالطائف .

ولقد جاء الإسلام فغير الأوضاع النفسية البدائية هذه .

ونحن نلمس هذا التغيير ، في حوار يدور حول ذلك المنعطف المؤسف
للتاريخ الإسلامي في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه .

لم يكن لهذا الخليفة - كما نعلم - شكية عمر ولا حكمة أبي بكر ، رضي الله
عنهما ، فكان لذلك يتأثر برأي أهله كمروان بن الحكم ، الذي كان مستشاره
الأول ، وقد ورط سياسته في الأثرة والمحسوبية ، ولم يجد بعض الصحابة الأجلاء
بدأ من انتقاد هذه السياسة .

وهكذا أصبح عثمان - ذلك الوجه الكريم من وجوه صدر الإسلام - يواجه
موجة الانتقادات هذه وقد بلغت أوجها على لسان أبي ذر الغفاري .

وهذا حوار آخر نشير إليه ولم يكن غريباً في تلك الظروف ، كان يدور بين الخليفة عثمان رضي الله تعالى عنه وبين عمار بن ياسر الذي أصبح يوجه أيضاً نقداً حاراً لسياسة الخليفة ، واحتدم النقاش بينهما احتداماً جعل الخليفة يرمي عماراً بقوله :

يا بن سمية ! ...

هذه الكلمة كانت في الجاهلية كفيلة بأن يسَلَّ من رُمي بها سيفه ليقتل أو ليوت اقتصاصاً لشرفه ، لكن عمار بن ياسر على العكس من ذلك قد رد بكل هدوء :

- أجل يا أمير المؤمنين ! إنني ابن سمية !.

لم تكن الكلمة لتعبر عن التغيير العميق في النفس الجاهلية فحسب ، فلقد كان لعمار بن ياسر الحق بأن يفخر بأمه سمية رضوان الله تعالى عليها .
فن هذه المرأة ؟

لنترك للسيرة النبوية الجواب على هذا السؤال :

كانت الدعوة في بدايتها تدوي في أرجاء مكة ، فتذود قريش عن أصنامها ومصالحها الدنيوية ، وأضحى الذي يعتنق الإسلام يذوق من قريش أنواع الأذى وأصناف التعذيب .

ودقت ساعة الشهداء حينئذٍ كما دقت من بعد الهجرة ساعة الأبطال .

كانت بمكة ساحة المعذبين والشهداء ، وهي تشبه ساحة (دو جريف Degréve) بباريس أثناء الثورة الفرنسية ، مع فارق هام هو أن الوضع معكوس هنا .

ففي ساحة مكة كان الجلادون ضد الثورة ، والمعذبون كانوا شهداء الثورة التي سميت الإسلام .

وفي يوم حين كانت شمس الضحى ترسل على الأرض أشعة ملتهبة تجعل الرمل كرماد الفرن ، وكل حصاة في الأرض كحجرة متقدة ، ها هو ذا النبي صلوات الله عليه وأزكى التسليم ، يمر بساحة التعذيب فيرى ما يستوقفه : لقد كانوا يعذبون آل ياسر .

إن ياسراً لم يكن من بطن من بطون مكة ، ولكنه أقي إليها مع أخوين له ، يبحثون عن أخ لهم رابع لم يجدوه ، فقرروا الإخوة الرجوع .

إلا أن ياسراً أثر البقاء بالمدينة القرشية ، وكما جرت عادة القوم فقد والى أحد بطونها من بني مخزوم فزوجوه من أمة لهم اسمها (سمية) .

كان عمار أول من أنجبته سمية لياسر ، وأصبح ، وهو شاب اخضر شاربه ، من المسلمين الأوائل ، ثم جعله الله سبباً لهداية والديه للإسلام ، فاهتدت سمية واهتدى ياسر .

لكن الابتلاء الذي كتبه الله على أولئك المسلمين الأوائل كان قد ابتدأ ، وهكذا سيق ذات يوم ياسر وآله إلى ساحة التعذيب .

واتفق للنبي ، ﷺ ، أن يمر بالساحة فاستوقفه المنظر المؤلم ، وهو يرى ما انصب من عذاب على أصحابه فقال صلوات الله عليه :

- طوبى لكم آل ياسر ، إن موعدكم الجنة !

وسكت لحظة .. كأنما عليه الصلاة والسلام يتحسس ثقل الرسالة التي شرفه الله بها ، ويستشف معناها الحضاري . ثم قال :

« والله لَيَتِمَنَّ هذا الأمر حتى تسير الطعينة من مكة إلى صنعاء ، وعلى رأسها طبق من ذهب لا تخشى إلا غائلة الذئاب » .

وزهقت أرواح سمية وياسر ، الطاهرة ذلك اليوم ، ورحلت من الدنيا لتلتقي في الجنة ، كما وعدهم الرسول الكريم .

فسمية هي هذه المرأة !.

من هنا ندرك كم كان ابنها عمار فخوراً يوم نودي باسمها فقال للخليفة :
- أجل أنا ابن سمية ، ياأمير المؤمنين .

إن كل قضية جليلة تضع بصماتها في مصير الإنسانية وتترك صداها في التاريخ ، ترسم على مركب الزمن وجوهاً كريمة تمثلها .

ووجه المرأة ليس أقلها بروزاً ووضوحاً ، بل قد تجد في أنوثته الخاصة لوناً مثيراً ومؤثراً لا تجده في غيره .

وليس من العبث أن الشعوب تحفظ بحنو ، ذكرى امرأة تقمصت في لحظة ما ، قضية وطنية مثل (جان دارك) ، أو خلصتهم من طاغية مستبد مثل (شرلوت كورديه) .

ولربما عفى الزمن على بعض الوجوه ، حين يطوي التاريخ أحد صفحاته ويبدأ في كتابة أخرى . فنحن لانعرف الكثير عن تلك الفارسة ، الكاهنة بطلة مرتفعات الجزائر ، قبل الإسلام ، التي قامت فيما يبدو بدور مزدوج : فقد كانت البطلة التي قادت حركة المقاومة في وجه عقبة بن نافع ، وكانت من ناحية أخرى الأم التي فتحت ضمير أولادها للإسلام .

والأمر المؤكد أن اسمها لم يمح من ذاكرة الناس ، وعلى الرغم من تآكل الحجر في دائرة البئر من فرط ماجرت الحبال عليه تسحب الماء للأجيال الغابرة ، فما

زال الجيل الحاضر ، الذي يرد ماء البئر ويورده قطعان الغنم ، يسميه (بئر الكاهنة) - على بعد ٨٠ كيلومتر جنوب مدينة تبسة .

وبعد جيل الكاهنة بكثير هاهي ذي امرأة جزائرية أخرى ، (لاله فاطمة تسومر)^(١) ، تنزل من جبال الجرجرة على رأس كتيبة من المجاهدين لقبوا (المسبلين) لأنهم باعوا أرواحهم في سبيل الله تقف في وجه الاستعمار أيام الاحتلال .

إنها وجه آخر كريم نقش على لوحة تاريخ الجزائر ، ولم يكن مجدياً أن نعرف أكثر من هذا الموجز عن حياة البطلة الكبيرة .

ولعله ينهض من المثقفين الجزائريين من يعيد هذه الصورة إلينا حتى لا يطمسها الدهر . ولعل عملاً كهذا سيجد أمامه مادة غزيرة ، لاسيما أن الثورة نقشت على لوحة التاريخ وجوه نساء كثيرات من اللائي عشن ومتن في سبيل الواجب والشرف ، كـ (فضيلة سعدان) التي حصدها ، ذات يوم ، في أحد شوارع قسنطينة رشاشة ، ولكن بعد أن أذاقت قوم الجنرال (ماسو) الخزي والمرارة فترة طويلة من الثورة .

هكذا نجد الثورة قد دفعت الحركة النسائية إلى الأمام ، لكنها ماتزال حركة فتية ، لها من الشباب حيويته وإقدامه ، لكن شبابها قد يعوقها إذا أهملنا شأنها ولم نراقب نباتها كما ينبغي .

لا بد إذن أن نطرح منذ الآن مشكلة (إنباتها) حتى لا نفرس جذورها أينما كان وكيفما كان .

فهناك أسمدة تعين على إنبات النبات الطيب . وهناك مزابل لا ينبت فيها إلا النبات العفن .

(١) (لاله) كلمة تستعمل في المغرب الغربي لقب تعظيم للمرأة ذات الشأن .

وإني أتذكر هنا وصية النبي ﷺ للشاب الأنصاري الذي كان يريد الزواج فأوصاه صلوات الله وسلامه عليه بحسن الاختيار ثم قال له : « إياك وخضراء الدمن » .

على حركتنا النسائية أن تختار إذن لغرس جذورها ، تلك التربة النقية الطاهرة التي أنبتت (سُمية ولاله فاطمة تسومر وفضيلة سعدان) .

وعندما أقول هذا ، لأرى في اختياري قضية ذوق وإنما ضرورة اجتماعية ملحة . لأن الخطأ يتسرب غالباً إلى الحركات النسائية حينما تُنشأ كيفما كان منشؤها على أنها حركات مطالبة ، أو بالأحرى مرافعة ضد المجتمع ثم يأتي من يأتي ليؤيدها في ذلك .

وكثيراً ما يكون التأييد مغرضاً ، كما يبدو في جناح الصحافة الفرنسية الذي أصبح مروجاً ، عندنا لنظرية (حركة نسائية) أطلق عليها صديق يعرف المزح والتهكم لقب (نظرية الفضيلو مرابطسم)^(١) .

ينبغي أن تطبع حركتنا النسائية بطابعنا لابطابع ما يصنع في الخارج ؛ وعلى أية حال فالمرأة ليست كائناً يعيش وحده وي طرح مشكلاته على هامش المجتمع ، إنها أحد قطبيه وقطبه الآخر الرجل .

ولا ينبغي لنا أن نتصور قطباً ينفصل عن الآخر ، ولو حدث هذا ، بفرض لا يتصوره العقل ، فالمجتمع نفسه يتبخر .



(١) كتب أخي الدكتور خالد رحمه الله أكثر من مرة بطريقته الساخرة رداً على ما كتبه فضيلة مرابط في الموضوع وعلى تأييد بعض الصحافة الفرنسية لها .

وزن الوقت

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٤٨

شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧

شاهدنا على شاشة التلفزيون مقطعين من شريط عن الاتحاد السوفيتي :

كان المقطع الأول يعرض الصعوبات التي واجهها لينين والثورة تدور رحاها ، فتضطره للخضوع إلى الشروط المخجلة التي فرضتها هدنة (بريست ليتوفسك)^(١) عليه ، فقد قبل هذه الشروط ، على الرغم من رياح المعارضة في صفوفه وعواصفها ، إذ كان يمنح الأولوية لتنظيم وإنقاذ ثورة لم ترس بعد جذورها في أرض روسيا وفي روح الفترة تلك .

أما المقطع الثاني فكان في غزو الفضاء والمكاسب الأخيرة التي حققها الرواد السوفييت .

وفيا نحن نتابع بعض ماتضمنه هذا المقطع من طفرة عجيبة حققها مجتمع انتقل من عهد (الموجيك) ، إلى عهد الإنسان الذي يغزو الفضاء بنجاح ، إذا بصرخة تطلقها طالبة طب من أهلي كانت بجني :

- مع أن خمسين عاماً من الزمن شيء قليل !

هكذا قالت طالبة الطب .

وتذكرت حينئذٍ مقطعاً من كتابي (شروط النهضة) أكتبه كما أذكره :

(١) هي الهدنة التي أوقفت حالة الحرب بين روسيا وألمانيا سنة ١٩١٧

« إن الزمن نهر قديم يعبر العالم ، ويروي في أربع وعشرين ساعة الرقعة التي يعيش فيها كل شعب ، والحقل الذي يعمل به ، ولكن هذه الساعات التي تصبح تاريخاً هنا وهناك ، قد تصبح عدماً إذا مرت فوق رؤوس لا تسمع خريرها . »

إننا إذا قسنا الزمن بمقياس الساعات التائهة ، فالقرن لا يساوي شيئاً ، بل حتى ألف السنة لا تساوي شيئاً .

ولعل الطالبة التي صرخت بجني تشعر بذلك ولو شعوراً غامضاً .

أما إذا قدرنا الزمن بمقياس (تايلور) فإن كل دقيقة لها وزنها ، الذي يكون معه للسنوات الخمسين التي مرت على الثورة السوفييتية ثقل هذه الدقائق المنتجة ، والتي أتاحت لمجتمع معاصر لنا أن ينتقل من عهد (الموجيك) إلى عهد (رواد الفضاء) في برهة من الزمن جد قصيرة .

وحين ترى الشعوب النامية ، بصورة من الصور ، تجربة تيلورية حية فسوف تدرك أن حتية التاريخ لا وجود لها ، وبعبارة أدق فإن حتية التاريخ تصبح في قيد الإنسان وتحت رقابته .

فالتاريخ ليس ماتصنعه الصدف ولا مكائد الاستعمار ، ولكن ماتصنعه الشعوب ذاتها في أوطانها .

كنت في مقال سابق قد ذكرت حديثاً لرسول الله ﷺ يحذر المسلم فيه من كل استسلام للأمر الواقع ، وأنا أكرره هنا دفعاً للشك والريبة اللذين ربما ساورا ضمير المسلم .

يقول رسول الله ﷺ « إنما هي أعمالكم ترد إليكم ، كما تكونوا يُولّ عليكم » فإذا أصبح ابن (الموجيك) عالم فيزياء يكشف عن آخر أسرار الذرة ، أو رائد

فضاء يغزو مجاهله ، فإنما هو العمل الدائب لمجتمع جند طاقاته كلها طيلة خمسين عاماً .

وإذا كان للشعوب النامية درس يستفاد منه في العيد الخمسين الذي أقيم هذا الشهر في موسكو ، فإنما دلالاته في الكشف عن قيمة الوقت بصفته عامل نهوض وتقدم .

ولو سمح لي أن ألخص وجهة نظر عبرت عنها منذ ربع قرن لقلت : إنه ليس من الضروري ولا من الممكن ، أن يكون لمجتمع فقير ، المليارات من الذهب كي ينهض ، وإنما ينهض بالرصيد الذي لا يستطيع الدهر أن ينقص من قيمته شيئاً ، الرصيد الذي وضعته العناية الإلهية بين يديه : الإنسان ، والتراب ، والوقت .



الفصل الثالث

في السياسة

- السياسة والأخلاق
- السياسة والأيدولوجية
- السياسة والثقافة
- السياسة وحكمة الجماهير
- السياسة والبلوتيك

السياسة والأخلاق

عن (الثورة الإفريقية) عدد ١٣٧
أيلول (سبتمبر) ١٩٦٥

« والعلم بغير ضمير ليس إلا خراب الروح »

هكذا كان (رابليز) يقول في غرة القرن السادس عشر ولم يكن يدري - وهو يدلي بهذه الكلمات إلى ثقافة الإنسانيات ، وهي حينذاك في المهد - أي تقلبات ستعرض لها هذه الحكمة وتلك الثقافة .

لكنه منذ تفجر الفكر (الكرتزائي) في القرن الذي بعده ، أصبح من اليسير التكهّن بالاضطرابات الداخلية ، التي ستعرض ثقافة حولت عن مجراها وفصلت عن أصولها ، وأصبحت تسيل في المجرى العلماني الذي سيقودها إلى موضوعية (أوغست كونت) ، وبالتالي إلى المادية الجدلية التي تمخض عنها (ماركس) .

ويبلغ الانفصال غايته في نهاية القرن الماضي ، عندما زعم العلم بعد اكتشافاته المبهرة في ميدان البخار ثم في ميدان الكهرباء ، أنه يستطيع وحده الاضطلاع بسائر المسؤوليات في العالم ، وعندما اعتقدت ، بكل بساطة ، البلاد المتحضرة بأنها تستطيع أن تؤمنه على مصيرها ، فورطت ، بفضل تفوقها الفكري ، الإنسانية كلها في هذا الاعتقاد الساذج .

منذ تلك اللحظة أصبح العلم يسير على طريق ، والأخلاق على طريق آخر . فالأول : زادت كل خطوة في كبريائه وشموخه ، والثاني : زادت كل

خطوة من انحناء رأسه ، وأحياناً بفعل الكلمة الجارحة التي يطلقها الطرف الأول .
فعندما يكتب (برودون) كتابه (فلسفة الفقر) ليبين فيه مأساة الإنسانية
الجائعة ، يقذفه ماركس بكتابه (فقر الفلسفة) ليرد المأساة إلى بعد واحد يدمج
فيه الاقتصاد والعلم .

لقد كانت هذه (القذيفة) علاقة الزمن ، علاقة تشير إلى الزمن الذي نعيشه
الآن ، حتى إن أحد معاصرنا من العالم الثالث ، ولعله كان يخشى ألا يظهر
بالمظهر العلماني البعيد عن الأخلاق ، يكتب في الموضوع هذه الكلمات :
« فعندما نشيد بالأخلاق فكأننا نشيد بالأخلاقية وبالفقرانية » !! فصياغة هذه
الكلمات نفسها ، تدل على أن الانفصال أو الطلاق بين العلم والضمير قد أصبح
شائعاً في المجال الذي تغطيه ثقافة القرن التاسع عشر العلمانية ، كما تدل على
الاتجاه الذي يتسع فيه هذا الانفصال .

ولو شئنا تلخيصاً يوضح الموضوع لقلنا : إن العلم يزعم أنه يستطيع أن يحتل
الجامعات ، والمختبرات ، والمصانع ، ويترك للأخلاق مجال الرواسب التي صنعها
هو ، والتي تكدست حول المدن الصناعية أو في تلك المدن من صفائح القصدير ،
يسودها الفقر المدقع وهي تحيط بالمدن الكبيرة في العالم الثالث .

ويريد العلم ، أن يمثل الرجل الذي يستيقظ في الثامنة صباحاً ويذهب إلى
عمله في سيارته ، وفي يده أو تحت إبطه محفظته الفخمة ، ويترك للأخلاق أن
يمثلها الرجل الذي يستيقظ في السادسة صباحاً ويذهب إلى عمله سيراً على الأقدام
أو على دراجة وغذاؤه في كيس من الورق .

ولا مرد لهذا !!.. فكما تحطمت وحدة الإنسان إلى جزأين : واحد يسمى
الكائن المعنوي ، والآخر الكائن الموضوعي .. فإن الأمر سيؤول إلى تجزئة الأمة ،
وبالتالي وباطراد سريع ، إلى تجزئة الإنسانية .

ويتفشى الوضع هذا حتى في العلاقات الاقتصادية بين الدول المصنعة والدول النامية . فالعلم إذا تجرد من الأخلاق فإنه يجر حتماً إلى وضع اقتصادي مناقض للأخلاق ، سواء كان ذلك في الإطار الوطني أو الإطار الدولي .

ومما تجب ملاحظته هنا ، أن الاقتصاد ليس سوى إسقاط البعد السياسي على نشاط إنساني معين .

فبقدر ماتبقى السياسة مرتبطة بمبادئ أخلاقية معينة ، يبقى الاقتصاد وفيها للمبادئ ذاتها .

فهذه المشكلات يرتبط بعضها ببعض ، وليس من الصدفة أو من مجرد وحي استوحاه من الحياة في أثينة ، إذ كتب أرسطو كتابه (في السياسة) من أجل اسكندر الأكبر ، وكتابته (في الأخلاق) من أجل (ينكوماك) بل إنه إنقاذ لدافع داخلي وجده في روحه بوصفه إنساناً .

وإذا نحن بعد ألفي عام ، نرى ماركس يرد على (برودون) بشيء من التعالي والسخرية . وتلك لحظة من لحظات حياة الفكر الإنساني الكبرى ، تعبر عن الانفصال الذي مزق تلك الروح .

أجل إن العلم والضمير تطالقا في عالم تسوده حرب طاحنة بين أخوين : الرأسمالية والماركسية ، على الرغم من أنها من نقطة واحدة . بعد أن كانت تسود هذا العالم منذ بداية تاريخه علاقات يطبعها الإخاء والسخاء حسب كلمة ماركس نفسه .

و (خراب الروح) الذي أشار إليه (رابليز) بدأ يعلن أثره في الحياة الأخلاقية ، في الإطار الوطني والدولي على السواء .

ولكن الروح يحتفظ - بفضل ما أودع فيه من نزعة التمسك بجوهره - بوحدته ، كما تحتفظ الحياة البيولوجية بكيانها بفضل النزعة إلى البقاء .

وإذا كانت لحظات (إينشتين) الأخيرة - وهو كما يقال عنه قمة الفكر الإنساني في القرن العشرين - إذا كانت تلك اللحظات ، قد تركزت في محاولة مستتية للإمام بالكون في معادلة واحدة ، فإن هذه المحاولة إذا فقدت جدواها في المجال العلمي الصرف ، فإنها عبرت عن انطلاقة الروح نحو الوجدانية تشعر بها في وحدتها . وبالتالي ، وبنتيجة لعلها غير مقصودة ، كانت المحاولة من أجل رتق الحرق الذي أحدثته العلمانية بين العلم والضمير .

على أية حال ، فإننا نستطيع بعد تجربة قرن كامل ، أن ندرك أن العلم لا يستطيع وحده بوسائله الخاصة إصلاح ما أفسده هو .

ولعلنا نستطيع على الأقل ، تقويم هذا الفساد وتقدير ثقله في التاريخ من خلال حريين عالميتين .

فحينما حدث في أوروبا مع أفكار ديكرت ، التمزق الأول في الثقافة ، بدأ الانحراف الأخلاقي يؤدي إلى حتمية الصراع الطبقي ، وإذا كان من واجب المرء - خصوصاً في بلدان العالم الثالث - أن يكون إلى جانب المستغلين المستضعفين ، فإن ذلك لا ينعمة بكل حال أن يرى خطورة المحتوى الأخلاقي لصراع يؤدي إلى انفصام وحدة الأمة والمجتمع ، وفقاً لما تمليه مصلحة المتنعم (البرجوازي) من ناحية ، ومن ناحية أخرى مصلحة المحروم (البروليتاري) .

فهذا الصراع لم يوقظ ، في نهاية الحساب ، الضمير عند الفريقين أو عند أحدهما . وإنما أيقظ فيهما كليهما (الضمير الطبقي) وهو يضيف على صراعهما طابع فقدان الأخلاق أو مناقضة الأخلاق ، فالأول يريد مزيداً من الذهب في خزينته ، والثاني يريد مزيداً من اللحم في بطنه . وكلاهما بمقتضى تعاليم ايديولوجيته يتطلع إلى الاستيلاء على السلطة .

ففي صراع بين مصالح مادية صرفة ، (والصراع الطبقي ليس سوى ذلك)

لا يبدو المستضعف نفسه إلا في مظهر الحاقد الضعيف ، ينتظر دوره لينتقم من خصمه بمثل ما انتقم منه .

هذا في نطاق الأمة .

أما إذا نظرنا إلى نتيجة الانحراف الأخلاقي في أقصى مداه ، فسوف نجد البرجوازي والبروليتاري الأوربي ، حليفين تجاه الإنسان المستعمر ، وهكذا تتمزق وحدة الإنسانية .

لكن خمائر التجزئة والتفرقة لا تؤدي مفعولها على الصعيد الاجتماعي والمعنوي فحسب ، بل إن الطلاق بين العلم والضمير يؤدي إلى نتائج أخرى على الصعيد الفكري بالنسبة للفرد الواحد .

وإذا كان من نتائج هذا الطلاق الفلسفي ، ظهور موضوعية (أوغست كونت) ومادية (ماركس) ، فإن رمزه الحي ، ذلك المثقف الذي يلقب نفسه أو يلقب بـ (الفكر الموضوعي) .

ومن أغرب الموافقات أن سائر المظاهرات المطالبة بالحقوق في العالم ذات وجه واحد ولغة واحدة .

خطبهما متشابهة ، تتناول دائماً موضوع (الشروط الموضوعية) ، وبهذه العبارة بالضبط يعرف (الفكر الموضوعي) كأنا لغته في أي وطن مصدرها واحد ، إنها اللغة التي تسم القرن العشرين ، بصفته مقياساً يصلح في كل مكان ، وإذا لم تستعمل هذه اللغة فيما تقول أو تكتب ، فأنت غير (تقدمي) ، بل أنت (رجعي) طبقاً لمقاييس هذه اللغة . حتى إنك ستضطرب لترد التهمة إلى طرح السؤال ما هو محتوى (فكر موضوعي) ؟ .

لنقل أولاً في أي صورة تراه عينانا : إن لنا في الجزائر عينات تمثل هذا الصنف ، نراها في ركن من ذاكرتنا أو شاخصة أمام أعيننا بلحمها ودمها .

لا نستطيع بالطبع ذكر الأسماء ، فلنقتنع إذن بذكر النوع الذي نسميه
(الفكر الموضوعي) .

فقد يكون شاباً أو مسناً . وقد يكون (طالباً) لا يطلب علماً أو (عاملاً)
لا يقوم بعمل ، فهذا غير مهم .

ففي أي صورة تصورناه ، فهو قناع لانشعر وراءه بشيء يتحرك ، يفرح أو
يتألم ، تحركاً نستطيع معه تعريف (الفكر الموضوعي) بأنه شبح له ظاهر إنما
ليس له باطن .

وإني أتذكر منذ ثلاثين عاماً إذ كنت ذات يوم بالحي اللاتيني بباريس ،
أتحدث على سطح مقهى مع طالب جزائري ، وكان يقول : إنني سأومن بوجود
الله عندما أراه .

هذه العبارة تعرفنا بـ (الفكر الموضوعي) من الناحية الفكرية ، وهو
ما زال فجأ ، لأن الصنف هذا (تقدم) ، فلو تكلم أخوه الصغير اليوم لقال : حتى
لو رأيت الله فلن أومن به .

إذن (الفكر الموضوعي) تقدم خلال الثلاثين سنة الأخيرة في الجزائر ،
وبطبيعة الحال فالأمور تجري وفقاً لمقدماتها .

فعلى الصعيد السياسي ، على سبيل المثال ، سيكون (الفكر الموضوعي)
محافظاً بالمعنى الفزيولوجي والاجتماعي : إنه سيئ فظ على حياته وعلى مصالحه
بكل (موضوعية) ، لقد حافظ على حياته أثناء الثورة ، فبقي بعد الذين
خاضوها بوازع ديني صرف .

لقد فضل أن يحتفظ بدمه لأوقات سانحة ، ليتحدث فيها عن (الشروط
الموضوعية) في الوطن حتى يزج به بعد الثورة في (التقديمية) .

والجزائريون الذين عاشوا السنوات الثلاث الأخيرة ، وشاهدوا بأعينهم مظاهراتنا ، وتذوقوا ذلك الشر الذي كان يرد - من مسارب لآتراها العين لأنها تحت الأرض - إلى قاعات تحرير صحافتنا ، وإلى بعض منظمات (التوجيه) هؤلاء الجزائريون يعرفون معنى هذا .

إن ميزانية السنوات الثلاث تحت أعيننا .

ففي المجال الاقتصادي أولاً كما بين ذلك الرئيس بومدين في خطابه الأخير في المعرض السنوي بالجزائر .

وفي المناخ الإيديولوجي الذي سجل هبوطاً في الحرارة يصعب تداركه .

وفي مجالنا الأخلاقي وقد جعل الآباء يطلقون الزفرات تحسراً على أولادهم وخشية . بكلمة واحدة : إن ميزانية (الفكر الموضوعي) في حياتنا الوطنية ، منذ ثلاثة سنوات ذات ثقل لا يحتمل .

فهل هذا يكفي لتقويم محتواه ؟ كلا فالعدم لا يقوم . ولكننا نستطيع تصوير (الفكر الموضوعي) بمثل نقتبسه من التاريخ الإسلامي .

إننا نقتبسه من تلك الأيام الحالكة حين قام النزاع بين علي كرم الله وجهه ومعاوية رضي الله عنه .

فمعاوية قد شعر بأن السيف لا يحقق نصره ، فلجأ إلى الحيلة ، إذ أمر قومه بأن يحملوا المصاحف على رؤوس رماحهم وينادوا : هذا حكم بيننا .

ومن المؤسف أن (الفكر الموضوعي) كان منبثاً في الفريقين ليخدع في صف معاوية ولينخدع في صف علي حيث يقول : أجل إن الكتاب حكم بيننا .

لقد كان هذا الصف موضوعياً (بطريقته) لأن القرآن يمثل فعلاً في نظر المسلم ، المرجع الذي يرجع إليه في كل نزاع ، خصوصاً في نزاع سياسي .

لكنهم نسوا الأمر الرئيسي في الموضوع . وهو أن السياسة حين تكون مناقضة في جوهرها للمبدأ الأخلاقي ، فإنها لا تطرح قضية تحل بالقضاء ولكن بالسيف .

ولم يكن علي رضي الله عنه (الفكر الموضوعي) الذي يخدع أو الذي ينخدع فقال كلمته المتواترة : إنها كلمة حق يراد بها باطل .

وبعبارة أخرى ، فإذا أردنا استعمال مصطلح آخر تقول إنه في مثل هذه القضايا يجب تحكيم منطق (بسكال) لا منطق (ديكارت) .

وبأقصى التلخيص نقول إذا كان « العلم دون ضمير ما هو إلا خراب الروح » ، فالسياسة من دون أخلاق ما هي إلا خراب الأمة .



السياسة والأيدولوجية

عن / نشرة الإفريقية ، عدد ١٤١

نشر في لأول (أكتوبر) سنة ١٩٦٥

في مقال سابق ، عرفنا السياسة بشروط ثلاثة هي أدنى ما يحددها من شروط ، ولم يكن تعريفنا لها في الحقيقة إلا مقياساً مجرداً يميزها عن (سياسة) مزعومة ترتكز على تقديرات سافلة ، وتطبيق مشبوه .

هل يكفي هذا التعريف ؟

هل يكفي أن تعرف دولة عملها في ميثاق وطني مثلاً ، ثم تحدد طريقة لوقايتها من أعمال التخريب أو ما يسمى في بعض البلاد (الانحراف المذهبي) ؟ .

إنني لأرى ذلك كافياً .

فالشروط السابقة التي أشرنا إليها ضرورية كلها ، غير أنها ليست بكافية ، وهذا ما تدل عليه بوضوح تجربة فرنسا ، بعد ثورتها ، التي تطبق اليوم دستورها السادس بعد إفلاس الخمسة الأولى من دساتيرها بوصفها جمهورية .

ينبغي أن نعود إلى تحديد (السياسة) على أبسط صورة باعتبارها عملاً تقوم به الدولة . فمن الواضح أنه بالإضافة إلى الشروط الدستورية التي أشرنا إليها ينبغي على السياسة أن تطابق شرطاً آخر ، غالباً ما يكون غير منصوص عليه إلا أنه أكثر إلحاحاً من سواه . فالسياسة لا تستطيع أن تكون العمل الذي تقوم به الأمة كلها إلا بقدر ما تكون مطبوعة في عمل كل فرد منها . هذا هو الشرط الذي نضيفه هنا .

إن (الإجماع) هو بالتالي المقياس الجوهري الذي يميز سياسة ناجعة . ومن هنا تبدأ قضية الايديولوجية تطرح نفسها ، لا على أنها مجرد اقتراح يستحسن ، كثيراً أو قليلاً ، في مجال الأفكار ، بل بوصفها مشروعاً حيويّاً به يكون للسياسة تأثير حقيقي على الواقع المحسوس في الوطن .

فلنتفحص عوامل هذا التأثير على الواقع ، الذي لا يتسنى - ونحن نكرر هذا - إلا إذا تجانس عمل الدولة مع عمل الفرد .

ولا يمكن لتجانس كهذا أن يتحقق في غير ضمير الفرد ، باعتباره مصالح حيوية مشتركة ، ومسلمات متفق عليها بين جمهور من الناس يكون جسم الأمة وإجماعها .

فإذا تضاربت المصالح هذه أو اختلفت هذه المسلمات ، فلن تكون السياسة سوى دكتاتورية كما تعرفها بكل أسف كثير من بلدان العالم الثالث ، وهي بالتالي لن تستطيع أن تنسجم في الحقيقة مع مصائر الأمة ولا أن تحقق أهدافها .

وهذه الاستحالة تنتج أولاً عن رفض الأمة تجاه هذه السياسة ، رفضاً يفصل الدولة معنوياً عن الوطن ، وثانياً عن عجز هذه السياسة في التأثير على نشاط كل فرد ، وبالتالي عجزها في تحريك الطاقات الاجتماعية الموجودة في اتجاه معين ، نحو هدف محدد تدركه أغلبية المواطنين .

إن التعاون بين الدولة والفرد ، على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، هو العامل الرئيسي في تكوين سياسة تؤثر حقيقة في واقع الوطن .

وإذا ماتعذر هذا العامل ، فإن القطيعة المعنوية سوف تعزل الدولة عن الوطن وتشل الطاقات الاجتماعية ، أو (والأمر هنا أدهى وأمر) تشتتها تشتيتاً تكون نتائجه : عدم الانسجام وعدم التناغم ، ومعارضات طاغية في فوضى شاملة ، يسودها شعار (عليك خاصة نفسك) ، ذلك الشعار الذي تدين به

فترات الانحطاط والقهقري ، كتلك الفترة التي أطلقنا عليها (عصر ما بعد الموحدين) .

ولا يفوتنا أن نضيف هنا ، أن التجانس بين عمل الدولة وعمل الفرد ، في نطاق التعاون الذي أشرنا إليه ، يتحقق في ضمير الفرد ، ويجعل هذا الضمير موضوعاً من ناحية وحكماً من ناحية أخرى .

فالسياسة التي تريد تلقين مسوغاتها وأهدافها لهذا الضمير ، عليها أن تجعله حكماً ، يصدر بكل حرية حكمه في مسوغاتها وأهدافها .

وربما استطاعت السياسة أن تأخذ هذا الحكم على حين غرة ، في وقت ما ، خصوصاً حين ترفع شعارات خلافة وتصرح بوعود مغرية .

ولكن - كما يقول رئيس الولايات المتحدة (إبراهيم لنكولن) - : إن التفرير بفرد ممكن دائماً ، والتفرير بشعب ممكن بضعة أيام ، إلا أنه غير ممكن كل يوم .

والشعب الجزائري الذي ألقى في مهملات التاريخ كثيراً من الأساطير التي استولت منذ سنة ١٩٣٠ ، على منصة سياسته ، يقدم أصدق دليل على صحة رأي رجل الدولة الأمريكي .

يبقى إذن على السياسة - كي تتشكل على صورة الحياة الحقيقية - أن نتصور أولاً محتواها من خلال العمل الفردي وفي مستواه .

ولا شك أن هذه الواقعية ، هي التي أملت على (لينين) ، الشعارات التي اتخذها من أجل تجنيد طاقات الجماهير في خدمة الثورة .

حينئذ بدأ عمل كل فرد روسي - جندي أو فلاح أو عامل - يتجانس مع عمل الدولة السوفيتية على أساس مسوغات فردية ، هي على درجة من البساطة

ولكنها منظمة ، مرتبة ضمن مسوّغ شامل ، ربما لا يكون فهمه متيسراً للجماهير .
فلينين ، لم يقدم للجماهير نظرية ماركس ؛ كتابه في (رأس المال) على
سبيل المثال ، ولكن قدم لها فحواه وترجمته على صورة هي في متناول الإدراك
الشعبي ، وقابلة بسبب ذلك ، للتأثير السياسي مباشرة ، فأطلق لينين شعاراته
المشهورة : « السلم للجندي ، والخبز للعامل ، والأرض للفلاح » .

وقد بدأت الجماهير منذ تلك اللحظة تصبح طاقات ثورية واعية وهي لم
تكن قبل ذلك داخل النظام .

ولكن ، هل كان يكفي لتستمر الهزة الثورية ، دفعة من الشعارات التي
أطلقت ، وحققت انضمام الجماهير إليها آملة احتمال تغييرها في الطريق ، كشعار
« الأرض للفلاح » عندما تدق ساعة الكلخوز ؟!

إن الايديولوجية التي لا تتضمن - بصفاتها أفكاراً موجهة قوية - إلا مصالح
عاجلة ، فإنها وإن كانت محترمة ، لن تفتح الطريق لغير سياسة قصيرة محدودة
المدى على قدر الشعارات التي دفعتها .

وسياسة كهذه لا تستطيع ، في المثل اللينيني ، الذي ذكرناه للتوضيح ، أن
تكون في مستوى عهد المشاريع العظيمة والحن الكبرى ، التي تطلبت من الثقة
والتضحية ما كان ضرورياً للتشييد الاشتراكي ولمواجهة الهجوم الهتلري .

فالايديولوجية تتطلب إذن خمائر أخرى ، تضمن الوحدة الضرورية بين
عمل الدولة وعمل الفرد لإنجاز مهمات بعيدة تركز على الثقة والبطولة .

والخمائر هذه هي التي تعطي ، حسب جوهرها ، القيمة - الجليلة والحقيمة -
للسياسة أمام التاريخ .

وإذا ماتفحصنا هذا الجوهر وجدنا أنه من عنصر أخلاقي وهو متصل بما وراء الطبيعة أي من العنصر النفسي .

فالفكرة الموجهة لسياسة تستطيع مواجهة أهوال التاريخ ، لا بد لها أن تتكون من هذا الصنف ، إذ الجهد المدعوم بمصلحة عاجلة قد يتولى ، ليس فحسب حين تحصل في بعض الظروف خيبة أمل تدفع إلى التراجع والقهقري ، بل حتى إذا دخل المجتمع بفضل ما حققه ، حالة إشباع يسودها الفتور واللامبالاة .

ففي الحالين كليهما يتعرض المجتمع للانفرادية ، أي لأصناف التمزيق . وهكذا لا يستطيع مجابهة أهوال الزمن إلا جهد تدعمه عقيدة لا يعترىها الشك أبداً .

والتاريخ منذ عهد (الفيران) في روما ، إلى شهداء بدر ، إلى أبطال ستالينجراد ، ليس إلا شرحاً لهذه الحقيقة .

فالتعاون بين الدولة والفرد ، لا بد له من جذور في عقيدة تستطيع وحدها أن تجعل ثمن الجهد محتملاً مهما كانت قيمته لدى صاحبه ، فيضحي هكذا بمصلحته حتى بحياته في سبيل قضية مقدسة في نظره .

إن السلوك الذي سمي (الستخاوفية) لا يفسر بوصفه عامل إنتاج إلا بهذه الطريقة . فهو المظهر الاقتصادي في حياة مجتمع تحركه فكرة توجيه تفوق كثيراً الإمكانات العادية في ذلك المجتمع .

وإفلاس الاستعمار في المستعمرات كان محتوماً ، طبقاً لقانون التعاون الضروري الذي كان مستحيلاً بين الاستعمار والإنسان المستعمر .

ولا يعني هذا أن الاستعمار لم يحاول مواجهة المشكلة هذه ، بفصل المسلم عن الإسلام ، إلا أنه باء بالفشل ، سواء بمحاولاته ذات الطابع اللاديني أو ذات الطابع الديني الهادف إلى (التسييح) .

لقد كان الإسلام الحصن الذي فشلت تحت أسواره جميع المحاولات ، التي
استهدفت سلب الشعب الجزائري شخصيته على مدى قرن من الزمان ، كما كان
الحافز الايديولوجي الرئيسي الذي دعم جهده البطولي خلال الثورة .
ولكي نلخص هذه الكلمات لا بد لنا أن نقول : إن علينا العودة إلى الأصول
والمنايع التي منها نبع تاريخنا .

☆ ☆ ☆

السياسة والثقافة

عن (الثورة الإفريقية) عدد ١٤٢ في
١٦ تشرين الأول (أكتوبر)
سنة ١٩٦٥

في مقال سابق تحت عنوان « السياسة والأيدولوجية » قنا بخطوة مفيدة ،
إذ أوضحنا الشروط الضرورية لتجانس عمل الفرد وعمل الدولة ، في وحدة
عضوية لا تنفصم أمام أهوال التاريخ .

وحين نتابع التحليل إلى أبعد من ذلك تبدو هذه الشروط بدورها غير
كافية . وإذا تجنبنا إفراط المستشرق (جيب) في الحكم ، فإننا نلاحظ معه المجتمع
الإسلامي وهو يعاني منذ القرون الأخيرة ، فتوراً قد نسميه أزمة حياة فقدت
أسباب التوتر والطموح .

والعلاج لحالة كهذه ، كما حاولنا توضيحه فيما سبق ، يقتضي أيديولوجية
تعطي التوتر الضروري للمجتمع يقوم بإنجاز مهمات كبرى ، لأنها تخلق الفرد
التواق ، وهو عكس الفرد المائع الذي يركب مجتمعاً ارتخت أوتاره .

وهنا نقول أيضاً ، إن هذا العلاج سيبقى دون ما تقتضيه الحالة ، إذ
الأيديولوجية ليست سوى سهم يشير إلى هدف ، ويحدد بعض الاتجاه . وهي
بذلك تستطيع توجيه عمل الفرد وعمل الدولة وربما تتيح لها الوصول إلى الهدف .

ومهما كان الهدف تحطيمياً ، أو كان التوجيه توجيهاً نحو انتحار الأمة ، فإن
باستطاعة الأيديولوجية أن تمنح المجتمع شروط انطلاقه وطموحه .

فالأيديولوجية الهتلرية استطاعت أن تعطي الشعب الألماني توتراً وصل

درجة فاقت طاقة البشر ، لكننا نعلم من ناحية أخرى أية هاوية سحيقة ألفت به ، هذا إذا لم نأخذ بالاعتبار الاحتمال الآخر .

فلو انتصرت الأيديولوجية الهتلرية في العالم ماذا كانت تصنع ؟

فقد كنا نعلم من خلال التصريحات ، أن هتلر يريد أن يفرض على العالم ألف عام من السلم الجرمني ، أي ألف عام يرجع فيها الضير العالمي إلى الوراء .

فالسياسة إذن تقتضي أكثر من ذلك ، إذ لا يكفي أن تحدد عمل الدولة في اتجاه معين ، وأن يكون ثمة جهاز رقابة ضروري لتابعة عمليات التنفيذ ، وجهاز حماية للمواطن من اعتداء عمل الدولة نفسه عليه . كما لا يكفي أن تمنح هذه السياسة التوتر الضروري للطاقات الاجتماعية لتبلغ الهدف المعين .

فبالإضافة إلى كل ما سبق ، لا بد أن يكون الهدف نفسه متطابقاً مع التطور الطبيعي للأمم ، ومع الظروف العامة التي تحيط بهذا التطور . وأن يكون فوق ذلك متطابقاً مع مصير الإنسانية كلها .

فإذا كانت السياسة تفقد فعاليتها إذا انفصلت عن ضمير الأمة ، فإنها إذا انفصلت عن الضير العالمي تضيف إلى العالم خطراً فوق الأخطار التي تهدده ، فإذا نظرنا إلى القضية من الوجهة الأولى ، أعني وجهة انسجام السياسة مع تطور الأمة ومع الظروف المحيطة بتطورها ، فإن القضية تطرح علينا منذ الخطوة الأولى مشكلة الثقافة .

أما إذا وسعنا هذا الانسجام إلى ما يقتضيه وضع عالمي ، فإن التوسيع هذا لا يزيدنا إلا تركيزاً على النتيجة المستخلصة من نظرتنا الأولى .

فنازيون ، لم يكن أثناء إقامته في موسكو ، أي في أحلك أيامه ، منكباً على خرائط تحركاته العسكرية فحسب ، بل إنه انكب أيضاً على إتمام القانون المدني الذي وضعه في بداية عهده وشغلته قضية أخرى كتنوير شوارع باريس .

فهل كنا نتصور اهتماماً كهذا لو فصلنا السياسة عن الثقافة ؟

إن صناعة^(١) السياسة تعني ، إلى حد كبير ، تغيير الإطار الثقافي في اتجاه ينمي تنمية متناغمة ، عبقرية أمة ؛ ومن هنا فصناعة السياسة تعني في آخر المطاف ، صناعة الثقافة .

فإذا شيدنا حديقة في مدينة كالجزائر أو القاهرة ، أي إذا غيرنا الإطار الثقافي في أي بلد من بلدان العالم الثالث نقوم بعمل سياسي لا مزيد عليه .

وفي الوقت ذاته ، فهذه الملاحظات - وفي إمكان أي منا أن يلاحظها في الشارع يومياً - تبين لنا كيف تطرح المشكلة في بلد من العالم الثالث ، حيث تكشف لنا تجربتنا التأثير المشترك لعوامل من أصناف ثلاثة :

الصنف الأول وهو يتصل بالثقافة التي نريد صنعها .

الصنف الثاني وهو يتصل بـ (لثقافة) موروثه نريد تصفيتها .

الصنف الثالث وهو يتصل بشيء نسميه (ماضد الثقافة) وهو يفرض علينا أن نكون في انتباه مستمر تجاهه .

وعلاقة السياسة بالثقافة ترحماً بهذا الثالوث ، علاقة تتطلب منا إذا فكرنا في (الثقافة) في بلد من العالم الثالث ، أن نفكر في اللحظة نفسها بالقوى غير الواعية التي تمثل (اللاتقافة) ، والقوى الواعية التي تمثل (ماضد الثقافة) ، والقوتان كلتها تبدوان قوة مشتركة تعمل في المحيط الاجتماعي .

ومن ناحية أخرى ، يجب توسيع المصطلحات ذاتها في مدلولها ، إذ كل منا يعلم أن تشييد مدرسة عمل يهم نشر (الثقافة) كما يهم رفع (اللاتقافة) .

إنما إذا نظرنا من زاوية السياسة إلى مشكلة الثقافة ، فالأمر أكثر تعقيداً .

(١) صناعة (استعملناها هنا طبقاً لمصطلح ابن خلدون .

فحتى لو كانت المدرسة هي الوسيلة الرئيسية - والقضية فيها نظر - لصنع الثقافة ، وبالتالي لإعطاء السياسة بعدها الوطني والعالمي ، فهذه الوسيلة تبدو غير كافية .

وحسبنا لنقتنع بذلك ، أن نتذكر أسماء الذين عمروا سوق الانتخابات في الجزائر منذ ثلاثين سنة ، إنهم على العموم لم يكونوا أميين بل تخرجوا من المدرسة سواء أطلقنا عليهم المثقفين أو (المثقفين)

ينبغي إذن أن نعيد النظر في المدرسة ، وألا ننظر إليها من زاوية التجهيز ، كما ينظر إليها عادة : فالمدرسة ليست المكان المجهز بمقاعد ، وبما يكتب عليه ، والسبورة نكتب عليها الحروف الأبجدية ، أو المعادلات الرياضية فحسب ، بل هي قبل ذلك المعبد الذي يستشعر فيه الضمير بالقيم التي تكون تراث الإنسانية .

فقد كانت قصبات (سقراط) مع مريديه ، هيأت فيها أثينة بلاغها إلى الإنسانية . ومجالس غاندي وهو صامت الساعات الطويلة ، وحوله الآلاف المؤلفة من البشر مدرسة هي الأخرى وجهت إلى ضمير القرن العشرين بلاغ (الساتياجراها) .

وما كان هدي محمد ﷺ بين أصحابه إلا مدرسة بلغت العالم رسالة حضارة جديدة .

فبقدر ما تستعيد المدرسة معناها الأصيل ، تستطيع القيام بدورها الثقافي وبالتالي دورها السياسي ، إذ السياسة حينئذ تكتسب بعداً وطنياً وعالمياً بفضل ما تهب لها الثقافة من تفتح على القيم ، التي اكتسبها الفكر الإنساني عبر الآلاف من السنين .

هنالك يتجانس عمل الدولة مع عمل الإنسانية بعد ما يكون قد تجانس مع عمل الفرد .

السياسة وحكمة الجماهير

عن (الثورة الإفريقية) عدد ١٣٨ في
١٨ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٦٥

كي يتحدث الدين إلى الضمير الإنساني ، غالباً ما يستعمل الرموز يعبر بها
عن مفاهيم تغيب عن العقول لأنها متصلة بعالم الغيب .

وحتى علم الرياضة ، يستعمل الرموز في صورة معادلات .

وقد عرفت الشعوب ، من خلال تجاربها الروحية أو العملية قوة هذا
التعبير ، فأصبح الرمز وسيلة تعبير ضرورية ، كلما كان التعبير العادي
لا يستطيع تبليغ معنى من المعاني بالضبط الكافي ، أو كان التعبير مما لا يستسيغه
العرف والذوق .

وثقافات الجماهير كلها ، كونت تراثها من أمثال استعارات وحكم ، لا تعبر
فحسب عن حكمة شعوب ضاربة في القدم ، بل إنها تطابق مواقف واقعية معينة
تطراً فعلاً في حياتهم اليومية .

وهكذا يجد كل شعب ، تحت يده أداة متطابقة لمنطق جماهيره ، وقد
يغيبط الشعب الجزائري من هذه الناحية ، لأن أمثاله وحكمه وقصصه تكون أداة
جدلية على مستوى رفيع .

وإذا أصغيت إلى حديث عجائزنا ، تدرك مدى الأهمية العملية لهذه
الأداة .. فعندما يدخل حديث في الضباب ويكاد فحواه يتبخر ، تأتيك المرأة

العجوز بثل أو حكمة أو قصة تعيد بها الحديث إلى مجراه وتمسك معناه في اللحظة التي كاد يفلت فيها .

ليسمح لي القارئ بهذا التمهيد ، فقد بدا لي ضرورياً لأن العنوان نفسه يسوقني إلى التدليل بحكايات شعبية واختيار اثنتين منها على الأقل .

كانت جدتي تقص لي العديد من قصص جحا ، وإني لأذكر إحداها لما أرى فيها من دلالة بإشارة واحدة ، على المعنى النفسي والمنهجي الذي أريد إبرازه في هذه السطور .

فقد كان جحا ذات يوم من أيام الشتاء الباردة ، يدفئ يديه مع بعض رفاقه ، وبينما هو حول نار موقدة في كوخ من تلك الأكواخ المنتشرة في المرتفعات الجزائرية إذا بالنار بدأت تخمد لنفاد الحطب .

قال الجماعة :

- هلم ، نذهب فنحتطب في الغابة .

وهرع كل واحد إلى عدته وتوجه إلى الغابة وكذلك فعل جحا ، ثم رجع كل واحد بجزمة حطب إلا جحا فقد استبطأه رفاقه حين لم يعد وقالوا :

- هلموا نر ما صنع الله بجحا .

واقفنى الرفاق أثر جحا في الغابة حتى وجدوه في ناحية وهو يلف حبله حول المئات أو الآلاف من الشجر .

سألوه : ماذا تصنع يا جحا ؟

أجاب بطلنا :

ألا ترونني أريد أن أحمل كل شجر الغابة مرة واحدة ، حتى لا نعود نحتطب كل يوم ؟

ذهل الرفاق إعجاباً بجحا وإكباراً له ، بل خجلوا أمام محاولة ضخمة كهذه ، خجلوا إذ لم يأت كل واحد منهم إلا بحزمة ، ثم تضرعوا إلى جحا كي يترك محاولته هذه إلى يوم آخر ، لأن لديهم ما يكفيهم ذلك اليوم بما احتطبوا هم .

هكذا تفضل عليهم جحا بتلبية رغبتهم فرجع معهم ، شامخ الأنف يتدفأ على نارهم دون أن يأتي بعود واحد .

إلى هنا تنتهي القصة تترك لمستمعها استنتاج العبرة .

لكن جديتي قصت علي قصة أخرى ، لا تقلّ عبرة :

فقد كانت عشيرة من العشائر على أهبة الرحيل ، تطوي البيوت وتضع المتاع على جمالها ، وأناخ جمل من الجمال فأثقلوه بمتاعهم حتى لم يستطع الحراك .

ثم انتبه القوم إلى دفتي رحا مما هو موجود في أريافنا حتى اليوم ، فقام رجل منهم يضع الرحا على ظهر الجمل والتفتت عجوز من العشيرة فقالت عطفاً على الجمل :

- لا تضعوا الرحا عليه بل ضعوها على ظهر جمل غيره .

لكن الجمل التفت إليها وقال :

- بل ضعوها على ظهري ، لا ضرر في ذلك إنني لن أستطيع القيام على كل

حال .

واليوم وبعد أكثر من نصف قرن حين تعود إلى ذاكرتي هاتان القستان مع ذكريات عذبة أو مثيرة ، أو حين أسمعها في سمر الأطفال ، أجد أن جحا والجمل يعبران عن حكمة واحدة لكنها من حيث التعبير عنها يختلفان : حيث حسن النية في الجمل وسوء النية في جحا .

إن رمز القستين واحد ، إنها تدلان على العمل المستحيل .

فوقف جحا موقف من يحاول عملاً مستحيلاً فيستغل بذلك عمل الآخرين ،
إنه المحتال يستغل سذاجة الآخرين ، بينما يبدو لنا ظرهم في مظهر البطل ، إن
ضحاياه أولئك الذين يلقبونه بطلاً .

أما الجمل فهو ليس بالمحتال ، لكنه يسخر بنكتة تكشف لنا أيضاً سذاجة
الآخرين ، ونكتة تضحكنا من أولئك الذين يضعون العمل في الشروط التي
تجعله مستحيلاً .

وبعبارة أخرى . فإن جحا يستطيع أن يقدم لنا درساً في (البلوتيك) أو
على الأقل يدلنا على أحد أعراضها النفسية . وسيكون درسه مفيداً لمن يريد درساً
عن الكسب غير المشروع ، عن الديماغوجية في سوق (البلوتيك) .

إن (رجل الأقدار) كما يقولون ، أي الزعيم الذي لا ضمير له يعرف المزايدة
الديماغوجية لإغواء البُلّه في السوق .

واعتقد أن جحا قد قدم الدرس هذا للجزائر ، دون أن تستفيد منه خلال
الثلاثين سنة الأخيرة ، ولم تستفد منه إلى ١٩ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٥ .

أما درس (الجمل) فهو درس في المنهج ، كان لنا أن نستفيد منه خصوصاً
منذ الاستقلال ، يفيدنا في العمل كيف ينبغي أن تتحقق شروطه ليكون ممكناً .

وكان جحا يقول في الحقيقة القول نفسه ، وإنما بطريقة المحتال الذي يقوم
بعمل مستحيل علماً بأنه لا يعمل شيئاً .

أما الجمل فيقوله بصراحة ، ومن حسن النية ، غير أنه يستعمل النكتة .
فؤدى كلامه أن من يضع عمله في ظروف تجعله فوق طاقته ، يعلم أنه محكوم
عليه بالألا يعمل شيئاً . وإن حاول على الرغم من ذلك القيام بشيء فلن يحسن
صنعاً .

حبذا لو كان الجمل أستاذنا خصوصاً منذ الاستقلال . لأننا كنا في حاجة إلى دروس في منهجية العمل في سائر مستويات عملنا .

فلنقدر المنهجية أولاً ، في مستوى الحديث المجرد ، لأن كل عمل اجتماعي يقتضي تبادل أفكار بين عدد من الأشخاص .

إن الحوار هو أبسط صورة لتبادل الأفكار ، وهو بذلك المرحلة التمهيدية البسيطة لكل عمل مشترك .

فقواعد الحديث إذن لا تخص حسن الآداب فقط ، بل هي جزء رئيسي من تقنية العمل . ونحن نجد هذه الصلة ، بصورة رمزية ، في العهد القديم عندما يقص علينا كيف أصبح عمل القوم مستحيلاً في تشييد برج بابل ، عندما اختلفت ألسنتهم ، ففي هذه القصة نرى كيف تعطل العمل حالما تعطل تبليغ الأفكار بالكلام .

فالقضية إذن لا تخص قواعد الحديث وحسن السلوك في الصالونات فحسب ، بل تخص مباشرة تقنية العمل من زاوية الفعالية .

فحيثما يبتعد الحديث عن التسلية المحضة ، يجب أن يخضع لقواعد العمل ، الذي ليس في بداية مرحلة تحضيره ، سوى مشروع في محتوى بعض الكلمات وبعض الأفكار .

وفي هذا المستوى ، يتداخل الجانب الأخلاقي والجانب المنطقي ليكونا معاً العمل الفعال أو العمل التافه .

ولو رفعنا القضية إلى مستوى الأمة لوجدنا أنفسنا نتساءل : هل كان لوطننا أن يسلك الطريق الذي سلكه إلى ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٥ ، لو أصغى إلى صوت الجمل أو تذكر قصة جحا ؟

وفي هذا المستوى ، نتساءل أيضاً إذا رجعنا ثلاثين عاماً إلى الوراء : هل كان يمكن لأجيال من جحا أن يستولوا على المنصة السياسية الجزائرية ، ويلعبوا عليها أدوارهم المشؤومة لو تذرّق الشعب الجزائري نكتة الجمل ؟ .

حسبنا أن تقول لكم إن جداتنا أعطينا دروساً عالية في السياسة بقصصهن البريئة ، وهن يمسن بأصابعهن الضعيفة رؤوسنا المتوسدة على ركبن . ولكنني أرى اليوم وأنا على أبواب الشيخوخة أن هذه الدروس لم تفدنا كثيراً .



السياسة والبلوتيك

إن العقلية الشعبية التي أوجت بالعرض السابق من مقالنا ، لم تنصهر فحسب في الأمثال والحكم والاستعارات ، التي أشرنا إليها بوصفها أداة جدلية يستعملها الشعب للإقناع ، بل قد انصهرت أيضاً في كلمات تنطلق انطلاق الرصاص ولها دويه في مواقف الغضب والاستنكار .

فحين تبدو أشياء خلال الحديث تدعو إلى الاستنكار ، فإن هذه الكلمات تحمل السخط والازدراء لبعض الأكاذيب التي يريد من يريد بثها في حياتنا العامة ، كما يبتث المزيفون زيف عملتهم في المعاملات النقدية .

لقد انتبه الشعب منذ أمد بعيد إلى التزييف الذي بثه في حياتنا السياسية بعض الدجالين ، أولئك الذين غالتوا الشعب حين بدأ يتخلص فيه من خرافات المرابطين المؤيدين من قبل الاستعمار ، فعوضوا التائم بأوراق الانتخابات ، ووضعو الزعيم ملتحيّاً أو أمرد مكان (الشيخ) .

إلا أنه لا بأس من أن نذكر مرة أخرى حكمة (إبراهيم لنكولن) : قد يخدع رجل كل يوم ، ويخدع شعب بعض الأيام ، إلا أنه لا يخدع شعب كل يوم .

لم يمر في الجزائر زمن طويل حتى انتبه الشعب بعد بعض الاختلاسات الانتخابية ، ذات النوع الجديد من التزييف ، الذي أدخل تحت اسم السياسة ، عدداً لا يقدر من جرائم ذلك التعفن ، بعد أن أدت مفعولها المشؤوم في حقبات مضت ، سيبقى لها إلى يومنا هذا بعض التأثير لأنها لم تصف بعد .

لكن الشعب الجزائري ، على الرغم من المغالطة الماهرة التي خيبت أمله أكثر من مرة لم يفقد صحوته ، فلم تمر عليه مدة طويلة حتى اكتشف الخدعة فميز بين السياسة والصورة التي زيفت عليها فسمى هذه الصورة المزيفة (البوليتيكا) .

إن هذه الكلمة طليقة رصاص تجاه المخادعة والنفاق ، إنها مكينة كنس بها الشعب المزابل التي تكومت في سوق (البوليتيكا) .

إنها كلمة انتقام وثأر ! لأنها تثار لمن تبقى لديه صفاء بصر على الرغم من الاختلاسات التي مرت .

إنها تثار للذين نادوا بالواجبات ، ورفعوا أصواتهم فوق من ينادي بالحقوق فقط ، كأنا الحق شيء يعطى مجاناً .

فالفرق بين السياسة و (البلوتيك) هو ذلك : أولاً .

فعندما يرتفع الصخب في السوق ، وتكثر حركات اليد واللسان ، وعندما لا يسمع الشعب غير الحديث عن (الحقوق) دون أن يذكر بواجباته ، وعندما يشرع بالطرق السهلة الناعمة ، فتلك هي (البلوتيك) .

لقد واجه ماركس في عهده صخباً كهذا في خصومة مع من ساهم (صانعي الكيمياء المطالبة) ، ومن هنا يتضح لنا أن الصراع بين السياسة و (البلوتيك) قديم جداً ، وإذا أردنا أن نخددها من الوجهة النفسية قلنا إن الأولى استبطن القيم بينما الثانية قذف مجرد للكلمات .

والأولى محاولة تأمل في الصورة المثلى لخدمة الشعب ، والثانية مجرد صرخات وحركات لمغالطة الشعب واستخدامه .

ومن الناحية الفنية فـ (البلوتيك) ليست مفهوماً محدداً ، ولو لم يضع الشعب الجزائري هذه الكلمة ، ما وجدنا كلمة لنعبر بها عنها . ودراسة ملفها

ليست من اختصاص العلم ، بل من اختصاص القضاء بوصفها جريمة اختلاس . وليس دونا سبب أن تكون صحيفة قد كشفت عن ارتياعها ، وحاولت تغطيته بابتسامة ، عندما اقترحت في إحدى مقالاتي أن يقدم المختلسون إلى المحاكمة أمام الشعب .

فبكل تأكيد ، إن اقتراحي قد صب الرعب على أولئك الذين لهم أسهم في سوق (البلوتيك) . ومع ذلك فقد كنت ، وأنا أكتب المقالة المذكورة ، أتوقع هذا النثر الذي يظهر بغير توقع ، ويأتي عن طريق قنوات مخفية تحت الأرض .

إن هؤلاء الذين يزعمون محبة الشعب ، ولا يحبون مع ذلك الشخوص أمام عينيه في محكمته ، وكتابهم في يمينهم ، قد قالوا في الحقيقة - وهم لا يشعرون - ماتخفي صدورهم .

ولكن فلنمر في طريقنا مرّ الكرام .

فالبلوتيك إذن لا تُحدد بصفته شيئاً له مدلول في عالم المفاهيم ، ولكنها ذات تاريخ طويل في بلادنا ، وفصلها الأخير له دلالة^(١) .

على أن الظروف قد تغيرت ، ومن بين المشكلات الحادة التي يعرضها على عقولنا هذا التغيير ، أن نراجع أفكارنا في السياسة .

وأول سؤال يعرض علينا هو : ماذا نعني بكلمة السياسة ؟

لنأخذ الكلمة أولاً في معناها المتداول والذي نجده في أي قاموس : هي العمل الذي تقوم به كل جماعة منظمة في صورة دولة . وإنه لتحديد كاف في كل وطن فيه معنى (الدولة) في منتهى الوضوح ، إذ تكون وظيفتها محددة بدستور أو بتقاليد عريقة تضبطها ، كما هو الأمر في إنجلترا .

(١) ذكر هذا الفصل في الأصل المخطوط ، ولكن حذف في النص المطبوع الذي ترجمه ولم نجده في ذاكرتنا .

أما في العالم الثالث حيث لا تزال النظم في ورشة الاختبار ، وفي حالة التمرين فالمعنى الذي تتكفله تقاليد التاريخ ، مفقود أو غير كاف ، لأن التقاليد نفسها ما تزال في حيز التكوين .

يجب علينا أن نثري مفهوم (السياسة) بما نستطيع من ملاحظات هي في صلب الحياة . ويبقى على أية حال أن السياسة هي العمل المنظم لـ (جماعة) بكل ما تقتضيه وتفترضه كلمتا تنظيم وجماعة .

فالجماعة التي تدخل في مضمون السياسة ، هي مجموعة الأفراد الذين تجمع بينهم روابط تاريخية وجغرافية ، تتلخص في وحدة مسوغات ووحدة مصير ، وقد تكون الجماعة بهذا المفهوم (الأمة) .

فبالنسبة لهذا المصطلح فالقضية واضحة إلى حد ما . أما بالنسبة لـ (التنظيم) فالأمر يختلف . فنحن نعيش في وطن هو دون التكوين والتمرين في كل مجال ، أي في الدور الذي يفرض عليه أولاً التفكير في قضية (العمل المنظم)^(١) .

ولا ينبغي أن نتصور (العمل) فحسب ، بل أن نلم بالنظرة نفسها بسائر الشروط التي يفترضها العمل ، حتى لا يبقى دون الهدف ، ولأن يتعدى حدود الهدف ، أي - بعبارة مألوفة - حتى لا نتورط في طرفي تفريط أو إفراط .

ففي الحالة الأولى تكون السياسة مشوبة بـ (اللافعالية) ، وفي الأخرى تكون مشوهة بالإجحاف . والعمل السياسي إذن يقتضي في مستوى الدولة شروطاً ثلاثة على الأقل :

أولاً : تصور (العمل) أي تحديد السياسة بأكثر ما يمكن من الوضوح .

(١) إننا حين نطرح هذه القضية بالنسبة للجزائر ، نعلم أنها قضية تواجه كل بلد إسلامي .

ثانياً : تصور وسائل تحصين هذا العمل من الإحباط ، حتى لا يبقى حبراً على ورق في نص الدستور أو ميثاقاً أو مجرد لائحة .

ثالثاً : تصور جهاز يحفظ المواطن من إجحاف العمل ، إذا تعدى - عن جهل أو سوء نية - من يقوم بتنفيذه .

ولنوضح الشرط الأول قد يكفي أن نذكر (شو إن لاي) عندما صرح بهذه الكلمات « إن سياستنا لا تخطئ لأنها علم » .

إننا لنعلم أن العلم نفسه قد يخطئ ، ولكن تحديد السياسة بصفتها (علماً) له قيمته النظرية والعملية ، إذ يضمن لها على الأقل ألا تصير (بلوتيك) .

أما بالنسبة للشرط الثاني فإن على الدولة أن تدافع عن عملها ، أي عن سياستها ، إذ الرواسب التي خلفها الاستعمار ، وخلفتها (البلوتيك) في الوطن قد تجعل من الصعب تنفيذ قانون ، هذا إذا لم تعرضه للازدراء وهو ما يحدث أحياناً بكل أسف^(١) .

ولقد نرى أحياناً القانون في يد من ينفذه ، يتخذه أداة يقضي بها مصالحه ، والويل إذن للمواطن الذي يكون تحت رحمته ، تحت رحمة طاغية صغير يخضع باسم الدولة لهواه أو لإدارة خفية ، المسكين الذي يرفض الخضوع لـ (البلوتيك) .

ينبغي إذن حماية المواطن من هذا الاختلاس وذلك التحطيم ، اللذين من شأنهما أن يضعوا المواطن ضد الدولة وضد النظام .

فمن مصلحة الدولة العليا إذن أن تضع من أجل المواطن جهاز دفاع يحميه من عملها ، حين يصبح هذا العمل إجحافاً .

(١) لم يقل لي أحد عندما نشرت هذه السطور : تعال وأعطنا بينات عن هذا الاتهام الخطير .

والجهاز هذا موجود بصورة دستورية في البلاد المتطورة ، وعلينا في الجزائر أن نفكر جدياً في الموضوع .

هذه الشروط الثلاثة هي أقل ما تتطلبه السياسة لتمييز عن (البوتيك) .

ولكن ليس هذا كل ما في الأمر ، بل هنالك ما هو أبعد بكثير .

ويكفيها كي تقوم بعملنا على ما يرام ، أن نسير طبقاً لمبادئ لاغنى عنها ، ولو أتى نصها الحرفي على لسان غيرنا ، أي على لسان من هو على غير سفينتنا .

ولعل ما كنا قد اقترحناه في صدر هذا المقال من مراجعة أفكارنا السياسية قد يستفيد مما قاله لينين :

« إن كل الأحزاب الثورية التي أخفقت حتى الآن ، قد أخفقت لأن الغرور قد استولى عليها ، ولم تكن تقدر ما يكون قوتها ، كما كانت تخشى الحديث عن جوانب الضعف فيها .

أما نحن فإننا لن نخفق ، لأننا لا نخشى الحديث عن ضعفنا وتتعلم كيف نتغلب عليه » .



الفصل الرابع في قضية فلسطين

- عشرون سنة من بعد
- ثمن الوحدة العربية
- لحظة « الفلاش »
- لحظة التأمل
- هيئة الأمم تدين شعب فلسطين
- مفاتيح الحرب

عشرون سنة من بعد

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٢٠
أول أيار (مايو) ١٩٦٧

قد يُذكر هذا العنوان بعض الناس بالقضية الشهيرة التي كتبها (دumas) ،
بينما ليست لي رغبة في أن أخصه هنا لقطعة من الأدب ، ولكن لذكر مأساة
تحين ذكرها في هذا الشهر من كل عام .

إن إسرائيل ستحتفل ، خلال السنة المقبلة ، بالذكرى العشرينية لتأسيسها ،
ومنذ تسعة عشر عاماً كان العالم العربي ، وهو مأخوذ بالصرخات الصيانية التي
يطلقها (القواقجي) ، وهو مغرور بدهاء (جلوب باشا) ، مسحور ببيان
(عزام باشا) يضع قدمه في الفخ .

لقد كان الجيش الإنكليزي ، قبل بضعة أيام ، قد غادر يافا على رؤوس
الأصابع ، ولم ير أحد في ذلك مأخذاً ، وبالتالي لم ير موجباً للاحتجاج على هذا
الجلاء المخالف للعرف الدولي ، بل على العكس من ذلك فربما كان العربي مستعداً
لأن يخلع على الجندي الإنكليزي المنسحب طوقاً من الزهور .

فعندما ينتهي احتلال عسكري ، يقضي العرف الدولي أن المحتل لا يغادر
المكان قبل تسليم السلطات إلى سلطة محلية ، تأخذ مسؤولياتها الإدارية
والسياسية ، من أجل حماية السكان ، طبقاً لتقليد يؤيده القانون الدولي .

أما إذا انسحب الجيش المحتل ، بلا ذف ولا زف ، فهذا يعني أن في القضية
لغزاً ، إذ يبقى السكان في الحقيقة تحت رحمة من له سلاح ، ومن باب أولى تحت
رحمة من سلحه الجيش المنسحب .

هذا ما وقع بالضبط في تلك الأيام الأولى من شهر نيسان (إبريل) سنة

. ١٩٤٨ .

إن الاستعمار ينسحب .. ولعلك تدرك ما لهذه الأغنية من تأثير سحري ،
على عقول بسيطة عودتها للريمانوجية تبسيط المشكلات فوق اللزوم ... أليس
كذلك ؟ .

فلم يكن إذن في نظر القوم موجب للاحتجاج . بل على العكس فقد أطلق
الناس للابتهاج العنان ، غنى كل واحد أنشودة النصر ، ببراءة تشتم منها رائحة
افتقاد الوعي .

لقد عاش الناس حمى الفرح ، وانطلقت أصوات أولي الحل والعقد في ذلك
العهد ، تقول صاحبة أو خافطة : إننا سنقضي على الصهيونية قضاءً مبرماً !! .

وفي تونس ، قام أحد الأفاقين وكان نبيهاً متمرناً على انتهاز الفرص ، فطبع
خريطة فلسطين ونشرها - بمئة فرنك للواحدة - لنتتبع عليها العمليات
الوهمية ، المشار إليها بالسهم الحمراء أو الخضراء (إنني لا أتذكر لونها) والتي
سيقوم بها الطيران العربي .

وهذا ، ستسحق الصهيونية سحقاً !!

ولكن كان الأمير عبد الله وأخاه عبد الإله ببغداد ، يشمران عن ساعديهما
ليضيفا إلى الامبراطورية الهاشمية جزءاً من فلسطين .

لقد كانت الخيانة منتشرة في الجو . إذ كان فاروق هو الآخر ، يرم شاربييه
ويعلن ترشيحه للخلافة ، بعد أن قررت فتوى أصدرها بعض العلماء أنه من ذرية
النبي ﷺ .

وفي هذا الهذيان العام الذي ساد العالم العربي ، لم يبق غير عبد العزيز بن

سعود صاحباً فقد احتفظ على الأقل بمظهر كرامته ، إذ أدرك هذا البدوي العبقري منذ اللحظة الأولى أن اللعبة قد لعبت ، ولم يبق غير توقعه من بين الدول العربية على اتفاقية الهدنة .

على كل حال ، فالأمر الذي ينبغي تسجيله للتاريخ ، في تلك الأسابيع المشؤومة ، أن القيادة العربية ، لم تتخذ إجراء يعطل الاطراد السياسي العسكري الذي نتج عن انسحاب الجيش البريطاني .

ينبغي أن نلاحظ بأن تقدير الموقف العسكري قد فاتهم منذ اللحظة الأولى ، حتى من جانب الكم ، أعني التقدير البسيط لعدد طلقات الرصاص والبنادق وأضرار الأحياء ، بينما كان ذلك يدلهم على خطورة الموقف حتى لوعدوا على الأصابع .

لقد كانوا مقتنعين بتفوقهم العددي ، مثلاً ، بينما لوعدوا فقط أصابعهم لأدركوا أن هذا التفوق كان وهمياً في الحقيقة : فعدد من كانوا تحت لواء منظمة (الشيرين والهاجانا) فقط قد فاق عددهم ، هذا إذا لم نقدر كفاءة قيادتهم وتفوق تسليحهم ومستواهم المعنوي ، المستوى الذي بدونه لا يستطيع الجندي شيئاً ببندقيته ، وإذا لم نتحدث من ناحية أخرى ، عن العلاقات الخاصة لـ (وايزمن) في العالم المتواطئ ، سواء بموسكو أو باريس أو واشنطن .

فن الناحية العسكرية كان الموقف ملغوماً قطعاً منذ اللحظة الأولى ، ولم يكن للعرب من دفع لهذا الموقف إلا بفتح الأبواب للمتطوعين ، الذين كانوا يأتون فعلاً من أعماق مراكش والجزائر ، ليصبوا في المعركة لهيب إيمانهم ، وليستشهدوا من أجل تلك البقاع التي جعلها التاريخ من البقاع المقدسة للمسلمين كافة .

لكن على العكس من ذلك فإن الأبواب انغلقت في وجه أولئك المجاهدين ،
وأحياناً بطريقة مخزية .

أما من الناحية السياسية ، فقد كانت القيادة العربية تستطيع بعض الشيء .
كانت تستطيع مثلاً أن تعلن في وجه العالم جمهورية فلسطين ، إعلاناً يوقف
الأشياء عند حدها في موسكو وباريس وواشنطن ، أو يكشف عن السرائر
ويمزق القناع عن النفاق الذي استطاعت به الدول الكبرى أن تعترف ، من دون
أن تريق ماء وجهها بإسرائيل باسم ديمقراطية مزعومة .

فلو أعلن العرب الجمهورية الفلسطينية لقطعوا السبيل على ذلك النفاق ،
ولكن يا للويل ! كان عبد الله يريد امبراطورية وفاروق يريد خلافة !!

ولا نريد الحديث هنا عن ذلك الجانب المضحك المبكي - إذ شر البلية
ما يضحك - عندما تصبح الرصاصات العربية تقتل من يطلقها ، وطلقات المدافع
تعجز المدافع لأنها ليست على المقياس .

كل هذا كان مبيتاً ، مرتباً ، منظماً كفصول مسرحية : فالصهيونية لم تكن
تريد فحسب كسب جولة ، بل كانت تستهدف على الخصوص تحقير الجانب
العربي ، ويجب أن نعتزف بأن هذا الجانب قد تطوع في هذا السبيل ، فثل في
المسرحية (جالوتاً) مزيفاً قائماً على قدمين من طين ، أمام (داود) مزيف أيضاً
لأنه كان مدرعاً بالسلاح .

إن إسرائيل ولدت هكذا ، منذ ما يقارب العشرين عاماً .

ولكن ما الجديد في الموضوع منذ ذلك العهد ؟ .

إن (الثورة الإفريقية) نشرت منذ أيام مقال لـ (بن بركة) ، يصب
سؤالنا في حاجر آخر من الجمر ، ويضعنا أمام ظاهرة تجعلنا نرى إسرائيل في حد
ذاتها ، من حيث تطورها ، ومطامعها ، ودورها في العالم .

إن هذا العرض يهمننا قطعاً في حد ذاته ، ولكنه يهمننا أكثر بوصفه مقياساً
تقدر به التطور الاجتماعي والأخلاقي والسياسي في العالم الإسلامي .

يجب علينا أن نضع جنباً إلى جنب واقعيتين : مولد إسرائيل ، وهجرة
السكان العرب المطرودين من بيوتهم . وتقدر بالموازنة أثرهما في المجتمعين أو
الأمتين ، دون أن ننسى أن الحدث كان قد اتخذ في العالم العربي حجم الكارثة .

ولكن المقدرين لنتائجه ، عدوا وقعه على الضمير الإسلامي سيكون له أثر
حسن . ومن بين هذه التكهّنات نذكر ، على سبيل المثال ، ما كتبه (الجمهورية
الجزائرية) في عدد ٩ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٩ ، تعليقاً على مقالة
للدكتور (ناظم القدسي) فقالت « إن الهزيمة التي حلت بالخليط من الدول
العربية ، يبدو أنها أيقظت شعوب الشرق المتوسط من النوم الذي غمستهم فيه
قياداتهم » .

هذا التعليق يحمل كما لا يخفى ، نبرة تفاؤلية واضحة ، لم تكن خاصة في ذلك
العهد ، بالصحيفة التي نذكرها .

واليوم ، بعد عشرين سنة ، وفي ضوء ما نراه^(١) نجد أنفسنا مضطرين
للاعتراف بأن هذا التفاؤل لم يتحقق .

ومن هنا يطرح السؤال : هل كان ذلك نتيجة خطأ خاص بذلك العهد في
تطور الموقف ، أم حدث بسبب عامل فعل فعله السلبي أثناء الاطرد منذ ذلك
العهد حتى كانت نتيجته تكديباً للتقديرات ؟! .

إننا نرد الاحتمال الأول ، لأن الدكتور ناظم القدسي لم ينفرد بين الزعماء
العرب برأيه المعبر عن استرجاع الوعي الإسلامي ، بعد الكارثة .

(١) لم نكن قد رأينا بعد هزيمة حزيران ، لأن هذه السطور كتبت قبلها بشهر .

وأكثر من الآراء ، كانت الوقائع نفسها تأذن بالتفاؤل : إن سلسلة من ردود الأفعال الثورية تتابعت حلقاتها مباشرة بعدها .

فالأولى من الثورات وقعت في الين في العام نفسه بقيادة عبد الله الوزير ، ثم الثورة التي قضت على الملكية في مصر شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٥٢ ، فكانت بذلك تعبر أكثر من غيرها ، عن الوضعية الجديدة التي أصبحت تسود العقول والنفوس في العالم العربي ، بعد المأساة الفلسطينية .

ثم أتت العاصفة التي مسحت العرش الهاشمي وكنست خطامه من بغداد ، وبالتالي انتابت الين الزوبعة الثورية الثانية ، فأصبح النظام الجمهوري كما يبدو مستقراً بصورة نهائية ، على الرغم مما هنالك من تشكك تبديه الصحافة في الغرب مثل (لوموند) حيث ترى الوضع يتطور نحو استفتاء الشعب اليني .

ولم يكن إذن من اتخذ ، منذ عشرين سنة ، موقفاً تفاؤلياً قد تعدى حدود المعقول في القضية .

ولكن إذا نظرنا إلى الأشياء ، من الناحية الاجتماعية ، وأخذنا مقياساً للموازنة ، التطور الذي حصل في إسرائيل في الفترة نفسها ، كما يصفه (بن بركة) ، فسنجد أنفسنا مضطرين للاعتراف ، بأننا إذا قررنا أن الرأي العربي المتنور لم يتعد منذ عشرين سنة القول ، وأنه لم يصرف سداً بدون رصيد ، فإنه يجب علينا أن نعترف أن ذلك الرصيد قد تبخر .

وليست هذه الحالة الوحيدة ، التي نشاهد فيها تعقيم حدث كبير ليفقد الاطراد التاريخي طاقته التغييرية .

إن مؤتمر باندونج كان أيضاً حدثاً عظيماً ، توقع منه الناس أثراً كبيرة في العالم لكنه عقم في الطريق ، فلم يلد شيئاً .

☆ ☆ ☆

ثمن الوحدة العربية

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٢٦ في

١٢ حزيران (يونيو) ١٩٦٧

لقد بدأ العالم العربي برد الفعل على الأحداث الكبيرة التي سببها العدوان الصهيوني في الشرق الأوسط .

إن القلم ليقف في لحظة صمت ، لأرواح الأبطال الشهداء ، الذين سقطوا في الميدان من أجل الوطن العربي الذي استرجع وحدته المعنوية في الظروف العصيبة التي يواجهها .

إن المستويات الكبيرة التي أبرزتها الأيام الخطيرة الأخيرة ، قذفت بالإنسان من حياة يومية سطحية إلى ملحمة كبر بها حجمه فوضعت في مستوى الأحداث . هذا التغيير النفسي له ، بطبيعة الحال ، أثره في الحياة السياسية : فالمشكلات التي طالما تحدث رشداً وصدمت ذوقنا بفرقة العرب ، هذه المشكلات التي استعصى حلها حتى الآن ، تجد الآن حلولاً عاجلة يبدو أنها ستبقى في أيدينا .

إن الخطب السياسية ، ومواعظ الجامعة العربية لم تحقق ، طيلة عشرين عاماً ، وحدة العرب ، وإنما اليوم لتتحقق في لحظة أمام الشدة ، في الجانب المعنوي على الأقل .

لقد سكنت المشاغبات ، وعدنا لانستع في الموجات العربية إلا البلاغات يملؤها الإخاء .

وسرعة التغيير هذه ظاهرة تلفت في حد ذاتها نظر المؤرخ ، كما لفتت نظر المؤرخين الأوروبيين ، سرعة انتشار الإسلام واتساع رقعته التي أصبحت في أقل من قرن ، تمتد من قلب فرنسا بفضل موسى بن نصير وطارق بن زياد ، إلى قلب الهند مع محمد بن القاسم الثقفي ، إلى حدود الصين مع قتيبة .

ونستطيع قياس عجب هؤلاء المؤرخين ، إذا قدرنا في نظرهم المدة التي اقتضاها تأسيس أو امتداد الإمبراطورية الرومانية في إفريقيا الشمالية ، بعد قرنين طويلين من (الحروب الفينيقية) .

ويبدو أن الفرد في العالم العربي ، يستطيع الانسجام مع الظروف الاستثنائية أكثر منه مع الظروف العادية .

إنه ، إذا حركته فكرة أو قضية كبرى يفعل المعجزات ، كما دلت الثورة الجزائرية على الظاهرة نفسها التي تتكرر مع اختلاف في الموقع الجغرافي فقط .

وهذا هو بالضبط موضوع تأملنا :

إن شعباً من الشعوب لا يكتب تاريخه فقط (بالرعد والصواعق) كما يقول (نيتشه) ، فإذا كان لابد من طوفان وقيام كوارث من كل نوع ، لتستيقظ الضمائر وتنشط الجوارح ، فإن ثمن الصفحة من التاريخ سيكون باهظاً جداً .

فن الطبيعي ، أنه لابد للشعب إذا مادقت ساعة الخطر أن يكون في مستواها . ولكن الحياة نسيج أحداث كبيرة وصغيرة . والنبي ﷺ الذي كانت له نظرة ثاقبة في الأشياء ، بوصفه أستاذ ينشئ أمة ، كان يعلمها تقدير الأشياء البسيطة التي يستصغرها النظر القصير ، كأنما يريد بذلك ألا يترك الضمير الإسلامي يحلق فوق الأشياء العادية يزهد بها .

نراه مثلاً ، في عودة له من إحدى غزواته الكبرى ، ربما غزوة تبوك ، يقول

لأصحابه رضوان الله عليهم : « عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » .

فإذا صح الحديث فهل يعبر حقيقة عن قلب للمقاييس ؟ .

إننا نرى اليوم مجتمعات جديدة تتكون وتنمو أمام أعيننا ، ونلمس على الطبيعة اطراد نموها تحت تأثير أحداث لانتوء كبير لها .

والأحداث كلها - صغيرها وكبيرها - تثري المجتمعات فتستنتج منها دروساً .
والأحداث التي يعيشها العالم العربي منذ أيام قد أثرته فعلاً بطريقة تجعله أكثر انسجاماً مع شروط مصيره ووحدته .

وكأننا نرى الثورة الكبرى - التي لم يسبقها مثيل في البلاد العربية - تحتاح هذه البلاد وتغير معالمها النفسية تحت أعيننا ، حتى إن (الوحدة) التي دعا إليها كثير من الدعاة ، خلال السنين العديدة دون جدوى ، تتحقق في ومضة عين في هذه الأيام العصيبة لتصبح أثمن ما كسبته الثورة .

إن العرب الذين كانوا يحملون بها ، والذين يسقطون الآن في الميدان ليشدد عودها بدمائهم السخية ، أولئك يعرفون ثمنها .

وعليهم الآن أن يعرفوا بأي ثمن سيحافظون عليها ، لأننا - حتى إذا لم نستطع منذ الآن إصدار الحكم النهائي على ثورة لازالت في حيز الاتجاه - نستطيع منذ الآن ، الحكم على مكاسبها . وهي لن تصبح مكاسب نهائية إلا إذا أصبحت المسوغات التي سجلتها في نفسية البلدان العربية وفي سياستها ، هذه الأيام ، القواعد التي تجري عليها حياتهم كل يوم .

إنها لمشكلة الغد ، لأن مالدينا من تجربة ثورية في العالم ، وفي البلاد العربية بوجه خاص ، يجعلنا نقول : إن لكل ثورة مابعداها ، فيما أن يكون مواصلة للثورة وإما أن يكون في اتجاه معاكس يتنكر لها ويمسخها .

وما نجزم به ، أن للاستعمار ، منذ الآن ، خطة مفصلة لمسح هذه الثورة ، ليس فحسب في الفترة التي ستتبع العدوان مباشرة ، ولكن حتى في الوضع العسكري الراهن .

ولاشك بأنه سيسعى بكل ماله من وسائل مادية ، لتوريط العرب في مأزق عسكري أولاً ، ليس فحسب من أجل الحفاظ على كيان إسرائيل ؛ ولكن ، قبل كل شيء ، من أجل تخطيم الوحدة المعنوية العربية التي تحققت هذه الأيام .

ولسوف يصنع المستحيل من أجل إرجاع العرب إلى نقطة البداية النفسية التي انطلقوا منها في المعركة ، حتى يغمسهم من جديد في التفرقة السياسية والفوضى الروحية ، بينما نرى أن نكسة معنوية ستكون أشد عليهم من أية نكسة عسكرية^(١) .

إن ساعة الصفر التي يكون فيها كل أمر مهياً للبعث والتجدد ، لاتدق كل يوم . لقد دقت للشعوب العربية ، في الدقيقة ذاتها التي ألقت فيها أول طائرة إسرائيلية أول قنبلة للعدوان ، وكأن الأقدار تهيئ لهم الفرصة مرة أخرى ، لتصفية رواسب عهد الاستعمار .

لقد بارك الله عز وجل هذه القطعة من التراب التي نسميها فلسطين ، وجعلها مهداً نزلت فيه الأديان ، قبل الإسلام ، وعلى العرب اقتداء بأسلافهم أولاً ، ولأن أبطالهم يستشهدون اليوم على أرضها ، أن يباركوها بما يسترجع وحدتهم .



(١) كتبت هذه المقالة مباشرة بعد الخامس من حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ ، قبل الانهيار العسكري على الجبهة العربية .

لحظة (الفلاش)

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٢٧ في
١٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧

كما هو متوقع ، فالعدوان ضد البلاد العربية انطلق في اليوم والساعة اللذين
حددهما الاستعمار في مخططه . .

بتواضع تعودناه منه - وهو تواضع لا حاجة لنا إلى شرح دوافعه الخبيثة مرة
أخرى - نراه لا يضع توقعه على ما يصنع إلا إذا اضطرتة إلى ذلك ظروف قاسية
كما يحدث في فيتنام .

عدا ذلك فهو يتصرف بطريقة أخرى : إنه يهيئ كل ما يقلب الوضع رأساً
على عقب ، يضع القنبلة ثم ينسحب بكل تواضع ، تاركاً لسواه مهمة تفجيرها أمام
العدسات الكبيرة وأجهزة الإعلام والإذاعة .

هكذا حدث في إيران ، أيام مصدق .

وفي الكونغو ، أيام لومومبا .

وكما يحدث في نيجيريا الآن .

فالاستعمار يوظف إذن من يضع توقعه على أعماله ، وموظفه في الشرق
الأوسط هو إسرائيل الذي يوقع على كل عدوان في مكانه .

فحينها لا يريد الاستعمار أن يظهر أمام العالم ، يشرع في تكليف سواه وضع
اسمه مكانه ، وهذه الطريقة أخذت تزداد أهميتها بقدر ما تزداد حساسية الناس
نحو السلم في هذا العصر .

وإنها الطريقة نفسها التي أوحى إلى (جونسون) ، من دون شك ، أن
يصرح قبيل الخامس من حزيران (يونيو) ، بأن أمريكا محايدة من حيث النية
ومحايدة من حيث القول ومحايدة من حيث العمل .

وبعبارة أخرى ؛ إنها ليست هي التي ستفجر القنبلة التي صنعتها ، وأعدتها
لليوم الموعود ضد العرب ، ولكن على الرغم من شدة هذا التحفظ لم ير أحد
(جونسون) يطوي في جيبه شراع الأسطول السادس في شرق البحر الأبيض
المتوسط .

وهكذا رأينا ، بل أرونا في لحظة (الفلاش) إسرائيل أمام العدسات الكبيرة
وأجهزة الإذاعة والإعلام .

إن القلم يتوقف ...!

ولقد توقف في المرة السابقة ، في لحظة تفرضها ذكرى الأبطال الذين
سقطوا تحت قنابل الغرب وقد كتب على جوانبها إسرائيل .

أما اليوم فإنه يتوقف في لحظة غثيان ...!

فكل ما يحدث من تصفية هو خسارة على حساب الاستعمار .

فقد لاحظنا في الأضواء التي أطلقتها أجهزة الإعلام لحظة (الفلاش) ، تلك
التقدمية المتبجحة التي خدعت باسم النزعة الإنسانية ، كثيراً من الناس في بلادنا ،
أثناء الثورة ، وهي تنضم لجانب إسرائيل^(١) .

وإن هذا لكسب لنا في الحقيقة ، إذا خلصنا عقولنا من سحر الأسطورة التي
يسمونها (التقدمية) ، وخسارة للجانب الآخر حين تنكشف إحدى وسائله في
تخدير عقولنا ، وهو منذ اليوم لن يستطيع استخدامها في ظروف أخرى ،

(١) نشير بوجه خاص إلى المثقفين الفرنسيين الذين نشروا بلاغاتهم قبيل الأحداث بأسبوع .

خصوصاً في تلك العاصمة العربية التي مجدت أكثر ممثلي هذه التقديمية تبجحاً ،
فنقشت اسمه على جدران جامعتها ، ولقبته (ضمير القرن) .

على أية حال فهذا نحن أولاء أمام الأمر الواقع : إن (موشي دايان) الذي
كان يؤرخ بلاغاته من تل أبيب ، أصبح يؤرخها من القدس .

وليس لي أن ألخص الموقف العسكري ، فإن رئيس مجلس الثورة قد لخصه
للشعب الجزائري فقال مما قال : إن الغلبة تحققت إلى حين ، للامبرياليين حلفاء
الصهاينة ، ولكن هذا لا يعني أننا خسرنا الحرب في معركة .. إنما لم نخسر
الحرب .

إن آثار العدوان الصهيوني لا تقف عند حد ما تنصوره اليوم ، فكما توقعت
في مقالي الأخيرة فقد أعطينا العدو فرصة ليجرنا إلى مأزق .

وإذا نحن تركنا جانباً الاعتبار العسكري الصرف ، نرى أمرين يلفتان
الانتباه في الحالة الراهنة ، أحدهما يخص بدايتها والثاني يتعلق بنهايتها .

لقد شعر كل جزائري بألم ، يوم أعلن نبأ الهزيمة ، وعرفت أسبابها الفنية ،
ونعلم الآن أن هذه الأسباب كانت معروفة منذ اللحظة الأولى ، إذ قضي الأمر
منذ تحطمت الطائرات العربية في مكانها .

ولا أقول هنا سائر ما يجول في عقولنا حول تلك المفاجأة ، إذ تكشف
أسباب جعلت النصر الإسرائيلي من الأمر اليسير . ففي وضع كان ينذر بعدوان
إسرائيلي قريب كان ثمة إهمال في الرقابة والرصد المبكر لمبادرة العدو ، ثم كانت
لامبالاة في الإعلام ... الخ .

وإني لأتساءل : لماذا لم تعلن القيادة العربية عن تلك الأسباب منذ اللحظة
الأولى ، أي منذ تحطمت الطائرات حتى يتفادى قدر الإمكان الصدمة النفسية في
الوطن ، عندما يفاجأ بالطامة الكبرى في النهاية .

إن الإعلام عن ذلك كله ، لم يأت إلا في اليوم الرابع من العدوان ، بينما كان الجيش العربي يواجه طيلة أربعة أيام ، العدو من غير وقاية جوية في أرض لا يجد فيها الجندي غابة استوائية تقيه ، كما وجد الجندي في فيتنام .

هل كان من صالح القيادة العربية أن تكتم السر ؟

إن الذين سجلوا اعترافها في اليوم الرابع ، وأصابعهم هذا الاعتراف كقذيفة تصيب صدورهم ، هؤلاء يعرفون أن (السر) الذي يعرفه العدو ، ولا نكشفه للمواطنين لهو سر خطير .

إن الصراع النفسي ، أو حرب الأعصاب كما يقولون ، له قواعد لا يجوز الحياذ عنها . وإذا لخصنا ما نقول فإننا نلخصه بهذه العبارة : إذا كانت الحقيقة سلاحاً وكان الكذب سلاحاً ، فالأولى استعمال السلاح الأول لأن أسوأ نتائج أكل سوءاً من نتائج الكذب .

ولاشك أن نية القيادة في الاحتفاظ بالسر كانت نية طيبة ، لأنها لا تريد إزعاج الرأي العام ، ولكنها قدرت الأمر تقديراً خاطئاً ، إذ الواقع سيكشف السر ، وحينئذ يتعرض الرأي العام إلى صدمة أكبر مما لو علمه من قياداته .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإذا نظرنا إلى القضية في خواتيمها نلاحظ أن صحافتنا ما فتئت تتحدث ، في سائر أجهزة إعلامنا عن ضرورة اليقظة والانتباه ، وأصبحت كلمة (حذر) تتردد في كل مكان هذه الأيام .

حسن ! إنه لحسن جداً .. !

ففي كل موقف أقل ما يجب على المواطن الانتباه لكل ما يدور حوله في وطنه ، دون حقد على الأجنبي ، ولا ضغط على أحد ، ولا عقلية بوليس ، بطبيعة الحال .

ولكن يجب ألا تكون كلمة (حذر) كلمة خاصة بعناوين كبيرة في الصحافة ، وبالمواعظ التي ترددها الإذاعة ، بل يجب أن يكون الحذر مطبوعاً في سلوك كل فرد ، وخصوصاً في سلوك المسؤولين .

إن وطننا ليس ثكنة يقف فيها الفرد كما يقف الجندي أمام الضابط ، ولكنه في الوقت نفسه ليس قاعة ميسر يقامر فيها من يريد ، بأمن البلاد واستقلالها .

إننا في وضع عصيب فرضه علينا الاستعمار ، ولا نبالغ في مثل هذا الوضع إذا ذكرنا المواطن بواجباته ، أو إذا طلبنا من الأجنبي الذي يعيش بيننا ، أن يحترم قوانيننا وأصول الضيافة .

هذه الاعتبارات تأخذ أهميتها من وضع لا نريد أن يتطور نحو الخاتمة التي يفضلها الاستعمار بل نحو تلك التي نرغبها نحن .

فقد مني الوطن العربي بنكسة عسكرية لاتنقص من ميزات أبنائه في القتال ، كما يعرفها الجميع ، ولكن النكسة كشفت عن بعض جوانبه النفسية التي كان لها ضلع في النكسة الأولى في سنة ١٩٤٨ .

ويبدو أن العرب لم يتخلصوا بعد من هذه الجوانب . ولكنهم .. حتى في هذه الحالة ، نراهم قد سجلوا أثراً محموداً ظهر في الوحدة المقدسة التي شاهدناها في أيماننا المثيرة هذه .

وهم إذا احتفظوا بهذا الأثر في سائر الظروف ، فسوف يحققون أثراً أخرى في الميدان الاقتصادي والدبلوماسي .

وليس من شك في أن هذا هو السبب الذي جعل إسرائيل ، تلج في التصريح بأنها مستعدة للتفاهم مع كل حكومة عربية على حدة حتى تفرق العرب مرة أخرى ، وهو هدف تستهدفه الآن لتقول بطبيعة الحال ، لكل واحد منهم على حدة إنه أعقل وأفضل من غيره .

وعلى الرغم من هذا كله فالاستعمار يشعر بأنه لم يكسب شيئاً في هذه القضية ، وهو سيدفع في كل شبر من تراب سيناء ثمناً غالياً إذا لم تقدر الأشياء تقدير المتبحرين .

وقد يستطيع العرب الزيادة في سلبية ميزانيته على الصعيد السياسي بتوثيق علاقتهم الأخوية أكثر فأكثر ، ذلك التوثيق الذي بدأ يظهر منذ بضعة أسابيع . ولعله من الأسباب التي عجلت بالعدوان إذ أنه لم يكن هدف إسرائيل توسيع حدود بقدر ما كان تحطيم روح تخشاه .

على أننا نرى أن الميدان الاجتماعي هو الذي يجب أن تتأكد فيه خسارة الاستعمار . فالعدوان الصهيوني قد استهدف قطعاً شل الجهود الذي تقوم به البلاد العربية في تشييدها الاجتماعي ، فيجب إذن على العرب أن يحققوا انتصاراً في هذا الميدان ، وبالتالي عليهم أن يضاعفوا مجهودهم لمواجهة المحاولات التي تسعى لصرفهم عن البناء .

وبقدر ما يتسكون باتجاههم وبنسقتهم في السير ، دون أن يزدوا أو ينقصوا من سرعتهم بسبب خارجي ، يستطيعون التغلب على الصعوبات ، حتى تلك التي تكون أصعب ما يواجهونه اليوم .



لحظة التأمل

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٢٨ في

٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٧

إن جريدة الجمهورية القاهرية - حسبما نقلته لنا زميلتها (لوموند)
الباريسية - تقترح تصفية الثقافة الغربية في مصر .

لعل المشكلة مطروحة بعبارات أوحى بها الغضب إلى محرر مستعجل .
ولكنها إذ طرحت على أية حال ، لا بد من ضبط صيغتها . وحسبنا أن نذكر هنا
أننا تعودنا الإنصات بكل سمعنا إلى سائر الأصوات ، خصوصاً الأصوات الغربية .

فمنذ (لورانس) الذي كان يعدنا بـ (مملكة عربية) ، في الوقت الذي كان
زميله (بلفور) يعد بتأسيس وطن يهودي بفلسطين ، كم ساحرة قد سحرتنا
بكلامها ... فأنصتنا وسمعنا !! .

و (ضمير العصر) ذلك الصوت الذي نقش اسم صاحبه على جدار جامعة في
عاصمة عربية ، لم يأتنا صاحبه وحده من باريس ، بل نحن الذين دعوناه .

وإذا ما أردنا سبر أغوار هذه القضية يجب أن نقول إن هذه الانحرافات
ترتبط بأشياء معينة ، لن تزول إلا معها .

فحين كان الطالب الياباني يذهب إلى الغرب في أواخر القرن الماضي ، كان
يذهب ليتعلم التقنية ، مع الحفاظ المتشدد على أخلاق بلاده ، كما سيذهب بعده ،

ذلك التلميذ الصيني المتواضع (نسيان هاسين) ليتعلم في مختبر (يوليو - كوري)
بباريس ، وليعود لبلاده بالمعلومات النووية التي تدهش العالم اليوم .

بينما غالباً ما يحدث للطالب ، الذي يذهب من بلادنا ، أن يعود بشهادة
ولكن بعد أن يترك روحه في مقاهي أو خمارات الحي اللاتيني أو في النوادي
الوجودية بـ (سان جرمان) .

ينبغي أن نتأمل هذه الأشياء التي تفسر لنا اليوم إلى حد كبير ما نحن فيه .
وعلينا الصمت أيضاً ، إذ بينما كنا ننصت لأصوات غيرنا أو نتكلم ، كانت
الأشياء الخطيرة التي عشناها في الأسبوع الماضي تنهياً .

فالآن حان لنا أن نعود لأنفسنا ، في موقف يفرض علينا لحظة تأمل
عميق . ينبغي أولاً أن نحدد بدون تردد أو لبس موقفنا الأخلاقي بالنسبة للحالة
الراهنة .

إن لنا عبرة في بعض فصول تاريخ المسلمين ، فعبار بن ياسر في واقعة
صفين ، التي كادت تكون قاصمة كان يقول : « والله لوردونا إلى صحراء هجر
لبقيت على يقيني أننا نقاتل على حق وهم على باطل » .

فحين نحدد هكذا بهذا الوضوح ، لم يبق مجال للتولي والقهقري ، حتى
لو صارت الأرض تدور في الاتجاه المعاكس فما علينا إلا أن نواصل طريقنا .

واليوم لا يجوز للعرب التردد في موقفهم أمام الحالة الراهنة ؛ من دون تردد
أو تراجع سنبقى مهينين على كل مانستنتج من تأملنا ومن استعادة رشدنا .

وإذا ما كشف لنا نقدنا الذاتي أخطاء ارتكبتها ، تقضي علينا بالتحسر
والندم فليكن ولنشرح صدورنا للندم ...

عندها لن يكون تقاعساً عن مواصلة الكفاح ، بل هو الحافز على مواصلته مع شعور أشد رهافة بمسؤوليتنا ، وتصور أكثر وضوحاً لجوانب الضعف فينا ولأخطائنا التي تسببت في الارتخاء الذي طبع المرحلة السابقة .

وبعبارة أخرى : من يندم يتقدم .

وكم نود لو يعود العرب إلى أنفسهم فيحاسبونها حساباً ينجيهم . فالأشياء التي نواجهها ثقيلة ، وتفرض علينا لحظة تأمل شامل ، لا هواده فيه .

إن ساعة الحقيقة قد دقت في العالم العربي ، كما دقت في أوروبا في شهر حزيران (يونيو) سنة ١٩٤٠ ، وكما تدق كل مرة يكون فيها للمرء حساب مع نفسه .

ولا يجوز لنا كل مرة نشعر فيها بأننا نختنق بحقيقة أن نبتلعها مع ريقنا بسبب اعتبارات شكلية .

إن ساعة الحقيقة قد دقت في العالم العربي ، وإنه من حسن حظه ، في المأزق الحرج الذي يجد فيه نفسه ، أن يغتنم الفرصة لحاسبتها حساباً شديداً أي ألا يقف في منتصف الطريق في مراجعة الأخطاء .

إن للحالات الحرجة فضلاً ، حين يتحرر فيها المرء من بعض العقد ومن مراعاة الشكليات ، ويستطيع المضي في تأمله إلى أعماق الأشياء ، من دون تحفظ دبلوماسي .

وهي فرصة استثنائية لا يجوز إهمالها ، بل يجب على العالم العربي أن يفتن بها وقد رأينا أمة أخرى تقوم بهذه المحاسبة طيلة ستة أشهر ، يوم أعلنت الصين بعد انتصارها ما سمته (حملة الاعتراف) ، ونعلم ما كان من أثر لهذه المعالجة في أمة تمثل ربع الإنسانية .

فلو قام العالم العربي بوضع ميزانيته ، وفتش في كل ركن من بيته ، ولو راجع ضميره من دون أي تلطيف ، لشاهد معجزة تبرز من اعترافه ، تدهش العالم وتدهشه هو نفسه ^(١) .

وينبغي ، خاصة ، أن نعيد بكل اهتمام قراءة المأساة التي سجلها التاريخ هذه الأيام ، ونطلب من كل كلمة ومن كل سطر أن يعطينا ما يكتمان من سر .
فنترك إذن الأشياء تحدثنا بنفسها بلغتها وبكل بساطة ، دون أن نفرض عليها رقابة أو تزييناً .

ماذا عساها تقول لنا الأشياء ؟

إن أغلب الأخبار الواردة في الصحافة الغربية ليست صحيحة ، وتبدو بكل وضوح أنها أعدت من أجل أن تزيد في الفوضى واللبس اللذين استوليا على العقول اليوم في العالم العربي ، كأنما تريد جهات خفية وضعه أمام قدر محتوم ، حتى تتخذ ردود أفعاله اتجاهها معيناً .

إنما تبقى لدينا حقيقة لانزاع فيها ، هي أن الجهاز الفني الحربي لم يكن له - في الجانب العربي - أي تأثير في المعركة .

وبجانب هذه الحقيقة ، حقيقة أخرى لعلها تلتطف الأولى : فالعدوان الصهيوني انطلق من دون إعلان حرب ، ويخطئ من يوازن ذلك بواقعة (بيرل هربر) ، فهذا محض تزييف للتاريخ ، إذ لم يبدأ الأسطول الياباني قصفه ضد القاعدة الأمريكية المذكورة في شهر كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤١ في اللحظة التي كان فيها سفير اليابان بواشنطن يسلم إعلان الحرب إلى البيت الأبيض .

(١) إن هذه المقالة وأخواتها في الأيام التي تبعت النكسة ، لفتت النظر على عكس ما كنت أتوقع ، فقال لي سفير الجمهورية العربية المتحدة : إنها تحمل لهجة شديدة علينا ، قال ذلك بلهجة العتاب غفر الله له .

فالقضية تختلف تماماً عما وقع صبيحة الخامس من حزيران (يونيو)
الأخير : ف (موشي دايان) وشركاؤه بواشنطن ، كانوا وحدهم قادرين على تحدي
العرف الدولي ، وقد بادروا إلى القصف دون أي إخطار موجه للخصم .

إنما ذلك لا يعفي هذا الخصم من مسؤوليته العسكرية ، ولا يشفع له إذا كان
جهازه للرقابة والدفاع لم يتحرك صبيحة الخامس من حزيران ، بينما كان الوضع
على شفير الحرب منذ انسحاب قوات هيئة الأمم من (شرم الشيخ) .

ومما يلفت النظر ، أن أبواق النذير لم تنطلق في القاهرة إلا بعد عشرين
دقيقة من القصف الأول للطيران الإسرائيلي لمطارات الجمهورية العربية المتحدة .

وأجهزة الرادار لم تتحرك : « إنها أشنع كلمة سجلها التاريخ في المأساة ، ولم
من كلمة أخرى تجب قراءتها وتستحق التأمل » .

ولكن .. إننا نعفي أنفسنا من مواصلة قراءة نص لم ينته التاريخ نفسه من
كتابته . إن مصير الآلاف من الأسرى العرب بين أيدي الصهاينة - عفواً بين أيدي
ضحايا معتقل (داخاء)^(١) - لا يزال مبهماً .

وبعد ذلك ، سنشاهد بعض المواقف (الإنسانية) المعدة للإعلام ، ولعلنا
سوف نرى على الشاشة ، (موشي دايان) يوزع الخبز والدواء على اللاجئين
مطرودين من بيوتهم كما طرد إخوانهم سنة ١٩٤٨ .

وفوق هذا كله سنرى الوقفة الإنسانية الجديدة (التقدمية) في الغرب ، إننا
رأيناها منذ أسبوعين فقط تقف بجانب الصهيونية ، معلنة أنها تدعم كفاحها
العادل . فلا نستغرب أن نراها غداً - وربما اليوم - توجه نداء إنسانياً من أجل
اللاجئين والأسرى العرب .

(١) هو (دخاو) : مدينة قرب (ميونيخ) اتخذ منها النازيون معتقلاً كبيراً .

إن اللحظة تفرض أن نسد أذنيننا وخاصة أنوفنا حتى لانشم رائحة هذا النفاق . يجب أن نفرض الصمت والتأمل والعمل ، لأنه ليس لدينا من الوقت متسع لنسمع ثرثرة الآخرين وخصوصاً ثرثرتنا .

في الحقيقة إذا كان الصمت من ذهب ، قبل المأساة ، فإنه اليوم من الذهب المصفى .

يجب على العرب ، في الوضع الراهن ، أن ينظموا سلوكهم تنظيمياً لا يتركون معه ما يستغله العدو : يجب أن تكون جبهتهم في الخارج كالبنيان المرصوص في ترتيب سياسة البترول ، حتى يكون له دور فعال في الملابس الدبلوماسية الراهنة ، وفي الداخل يجب عليهم تنظيم دارهم ، لأن الدرس لا يكون مفيداً إذا بقي الوضع كما هو ، وقد أدانته بشدة الأحداث ذاتها .

لقد قلنا في المرة السابقة ، إن كلمة (حذر) يجب ألا تكون فقط كلمة تتحلى بها الصفحات الأولى من جرائدنا ، والسطور الأولى من خطاباتنا ، بل يجب أن تكون قاعدة يراعيها في سلوكه : المواطن والمسؤول معاً .

وإذا قلنا (قاعدة) نعني بذلك شيئاً يطبق في الحين وتكون له نتائج عاجلة .

إننا لنهتف لنشر قائمة (أصدقاء الصهيونية في العالم الغربي) المعلقة على جدران شوارعنا . ولكن ... عفواً أين قائمة (أصدقاء الصهيونية) الذين يتفصحون في شوارعنا ؟

يجب ألا يوضع المحراث قبل الثيران . وعلينا بهذه المناسبة أن نحبي الأصدقاء الأجانب المتعاونين معنا ، ولكن نقول لهم في الوقت نفسه كما نقول لأنفسنا : « يجب أولاً أن يُحترم النظام في دارنا ويسود » .

فالعرب بحاجة إلى النظام كي يستعيدوا في الوقت المحدد كل ما تحطم من قيم معنوية أو مادية بسبب العدوان الصهيوني .

وقبل كل شيء يجب عليهم أن يأخذوا في الحساب كل معطيات المأساة ، حتى يتخذوا المواقف البطولية التي يقتضيها الوضع . وكي يصدروا عن دراية حكمهم على كل من وجبت إدانته بغير ضعف أو توانٍ .

إن الوضع لا يسمح بالتنازل عن أية جريمة .

فالاستعمار بالمرصاد كي يلفتنا عن وجهتنا بالوسائل كلها في هذه المرحلة ، حتى لا يسمح لتأملنا ولجهدنا أن يأتيا بثمارها .

ومن المؤكد أنه يجعلنا في المشكلة الداخلية ، باسم أولويات ينخدر لها بسهولة سذج العقول . بينما هذه المشكلات ، رأس القائمة ، في سائر الظروف وخصوصاً في الحالة الراهنة .

فحين كان عمر رضي الله عنه يواجه أعظم ملابسات التاريخ الإسلامي كان يقول : « والله لو سقط جذع إبل من جسر من جسور دجلة لحشيت أن يحاسبني الله عليه » .

وعندما كان نابليون في غمار الحملة التي قادته إلى موسكو كان ، وهو يعيش أعسر أيامه ، منكباً على تخطيط التنوير في شوارع باريس .

تلك عظمة المشكلات الداخلية في نظر عظماء التاريخ ، وهم يواجهون في الوقت نفسه أخطر مشكلات زمانهم .

ففي الحالات الصعبة ، ليس من المعقول أن يقلع القطار بعربات الدرجة الأولى بدعوى أنه قطار سريع ، بل يجب أن يحرك سائر العربات وراءه من أولوية إلى أولوية .

والنبي ﷺ يدلنا على هذه الحقيقة في الحديث الشريف : « من كانت بيده
غرسة يريد غرسها وقامت الساعة فليغرسها » .

هذه الوصية لمن يتولى الغرس من المسلمين ، يجب أن يتأملها ويستفيد منها
كل مسلم ، حتى لا يبقى بيده إلى ساعة النشر والحشر ما يريد غرسه اليوم ،
بدعوى أنه كان في ظرف غير يسير ، أو أن الساعة قد حلت .



هيئة الأمم تدين شعب فلسطين

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٣٠ في
١٠ تموز (يوليو) ١٩٦٧

إن هيئة الأمم أصدرت حكمها ، فأدانت شعب فلسطين ، وهكذا ينتهي
بالنسبة إلينا أسبوع الغثيان .

إن الألم المفرط يحرر من الألم ، وكثرة السامة تحرر من الغثيان ، كما يؤدي
الظلم في درجته القصوى إلى التحرير ، وهكذا نعود إلى استخدام قلوبنا وشعورنا
بطريقة مجدية ، بعد أن شلها الواقع المرير ، ونستطيع حينئذ الحكم على الواقع
بعقل رصين .

وهيئة الأمم لم تصدر حكمها على الشعب الفلسطيني فحسب بل إنها أغضت
فلم تلفظ كلمة واحدة عن الأعمال الوحشية ، التي طردته من دياره التي استقر بها
منذ آلاف السنين .

إنها لم تحكم فقط على ضحايا النابالم ، وعلى من وقعن ضحية اغتصاب
مقيت ، وعلى أولئك الذين اقتحمت بيوتهم عليهم ، غداة عدوان بدأ من دون
إعلان حرب .

لقد حكمت على نفسها أيضاً وهي بغير شك تكتب صفحتها الأخيرة في
التاريخ . فالعاصفة التي اكتسحت الأرض العربية في الشهر الأخير ، قد أماطت
عن وجهها قناعاً حجب حقيقتها عن الأبصار .

فأولئك الذين تقنعوا وتزويوا بزي القضاة قد ظهوروا على حقيقتهم ، والشعر

بين الرشاد والتهيه (٩)

غير الطبيعي الذي كان يكسو رؤوسهم لينحهم بياضه وقار الشيوخ ، قد طار
وكشف عن وجوه ذات ملامح مربية .

إن الظرف يعطينا أولاً الفرصة للملاحظة بأن في المكروه درجات :
فالقرصنة قرصنة في سائر الحالات .

والذي يضع الخنجر على رقبتك ، ويأمر بك بكل وقاحة ، أن تعطيه
ما عندك ، مغتصب سارق ولا شك في ذلك .

والذي يتزيا بزي (الراهب المتسول)^(١) أو يلبس إحرام الحاج ، وييده
سُبحة ، ويرصدك في منعطف الطريق ، أو في ركن الشارع ليغتالك ويسلبك
متاعك ، هو أيضاً مغتصب سارق .

ولكن على أية حال ! ألسنا إذا تبصرنا في الأمور أبعد من سطحها ، نرى
أنفسنا محقين إذا قلنا عن الأول : ياله من مغتصب عفيف .

لقد تحدث الناس ، ولعنهم ما زالوا يتحدثون - وربما من أجل تصنيف توراة
جديدة - عن العناء الذي عاناه اليهود في حكم هتلر . وتحدثوا بوجه خاص عن
محكمة (نورمبرج) التي تحكم على اليهود باسم عنصرية لا تكتم اسمها .

ولكن .. ها نحن أولاء اليوم ، نرى محكمة (نورمبرج) بين جدران هيئة
الأمم ، تحكم على الشعب العربي الفلسطيني باسم التوراة الجديدة !

إن متوغات الحكم ، لا تمت بصلة - نقرؤها في الحكم ، أو نرى أثرها فيه بكل
وضوح - إلى العنصرية والتعصب الديني .

ولا تمت بصلة نجدها في نص الحكم ، إلى إرادة القوة التي أملت بتأسيس
إسرائيل بوصفها رأس جسر أعد من أجل غايات استراتيجية ، في احتمال حرب

(١) كان هذا النوع من الرهان موجوداً في أوروبا في القرون الوسطى وكانوا يتسولون تعبداً .

عالمية ثالثة ، ولأغراض سياسية تقف سداً في طريق وحدة البلدان العربية التي لا تقدر على شيء مادامت الوحدة غير موجودة .

فليس من الضروري أن نذهب إلى أبعد ، بل نحن منذ الآن نستنتج نتيجة :
فالحكمة الهتلرية هيئتها العنصرية ، الصبانية ، لن يكون لها في تاريخ الإنسانية الأخلاقي الأثر الذي سيكون لحكمة (نورمبرج) الجديدة التي أدانت شعب فلسطين بإتلاف قضيته .

ولعل الحكم الممقوت الذي أصدرته بتصويتها ضد العرب ، يطلقنا من بعض قيود تفرضها علينا اللياقة ، نتحدث ببعض الحرية عن الوضع المتسم بالخلط والشبهات ، الذي انغمس فيه العالم الثالث منذ عدة سنين والذي يفرض عليه مراجعات مؤلمة .

إننا نذكر بوجه خاص أن إسرائيل لم تجد نفسها مضطرة إلى إلغاء بعض مبادئها ، ثمناً للحصول على صداقة الكثير من دول العالم الثالث وما يسمى بالعالم الحر .

إنها لم تتنكر لصفة من صفاتها إرضاء لأحد ، بل ظهرت للجميع على حقيقتها كما هي بل شددت في الظهور كذلك ... في وجه العالم ... فلحدوه ومؤمنوه تكلموا بلغة واحدة أثناء الأحداث .

إنهم قاموا كلهم على جبل سيناء ، في لحظة خشوع وقنوت ، أمام توراة منشورة حملتها دبابة .

وفي اليوم الأول من العدوان ، وجه (موشي دايان) إلى الجيش هذه الكلمات :

« إن جنود السماء تقاتل معنا » .

ونحن لانشك في صحة هذا البلاغ ، إذ لم نتلقه من صحافتنا ، بل من صحافة الغرب التقدمية التي لا يجوز فيها الشك فيما تنقل عن تل أبيب .

وعليه ، فإن إسرائيل لم تتنكر لشيء من حقيقتها ، بل أظهرتها كما هي للعالم ، ولسنا في هذا ننتقدها ، بل على العكس ، فنحن نحترم عقائد الآخرين . إنما نريد ، في تحليل وضع معين ، أن نأخذ بعين الاعتبار سائر العوامل التي كان لها فيه دور أي دور .

فاستعمال النابالم لا يفسر فقط حسب نظرية (لود ندروف) في قيادة (الحرب الشاملة) ، فهو مرتبط بعوامل نفسية لا يجوز إهمالها ، ليس فحسب بسبب دورها الديناميكي في الأحداث ، بل في نظرنا ، لضبط معناها السياسي بصورة أكثر .

لقد كان لهذه العوامل دور ، حتى في مداولات هيئة الأمم الأخيرة ، أو في إدانتها شعب فلسطين كما فضلنا أن نقول .

ولعلنا نفسح المجال هنا لتعجبنا من الجهد الذي بذل في الأيام الأخيرة ، من أجل إقناعنا بأن المداولات لم تكن تنطوي على أي شيء يمت إلى الدين ، أو العنصرية^(١) .

هل نصدق هؤلاء المحامين عن نزاهة (موشي دايان) في الموضوع ، أم نصدق (موشي دايان) نفسه الذي يكذبهم بأعماله وأقواله ؟..

إننا نأبي - وقد استطاع (موشي دايان) على الجبهة العسكرية أن يستخدم الشيفرة العربية التي حصل عليها عن طريق خونة متورطين - أن نستخدم الآن

(١) يذكرنا هذا الموقف بآخر عندما كتبت قبل الثورة الجزائرية ، مقالاً بمناسبة إبعاد مولاي (محمد الخامس) تحت عنوان (حقد على الإسلام) . انظر كتاب (في مهب المعركة) ص ٥٩ ، دار الفكر - دمشق ١٩٨٧ ، حيث أدرج هذا المقال .

على الجبهة الايدولوجية أصواتاً عربية تشهد له ، عن علم أو غير علم ، بالنزاهة .

يجب أن نترك هيئة الأمم تحمل مسؤولياتها كاملة أمام التاريخ .

إنما ينبغي أن نلاحظ بأن هذه المسؤولية لا تخص أمريكا وحدها ، بل تخص إفريقيا أيضاً ، تلك التي التفتت عن قضية عادلة في لحظة حاسمة ، وضحت ، بتصويتها ، بوصفها شعباً من العالم الثالث على مذبح (مولوخ) .

فقبيل (الإدانة) كنا نقرأ في مجلة أسبوعية تنتسب لإفريقية ، على الأقل في عنوانها ، مقالاً عنوانه (صمت إفريقيا) يعبر عن الحقيقة .

أما بعد الإدانة فكنا نعلم أن إفريقيا - عدا ثلاث دول أو أربع - قد أسهمت في إصدار الحكم على شعب فلسطين .

لقد كتبنا منذ بضعة أسابيع ، أن العرب خسروا معركة عسكرية ، بسبب تواطؤ أمريكا في القضية ، والآن يجب أن نقول : إن العرب خسروا معركة ديبلوماسية بسبب تواطؤ إفريقيا هذه المرة .

إنما بكل أسف لا بد أن نلاحظ في الوقت نفسه أننا حصدنا ما زرعنا .

ولا بد أن نعود إلى الوراء بعض الخطوات ، لنرى كيف ساعدنا الاستعمار في لعبته في العالم الثالث ، وبالتالي ساعدناه ضد أنفسنا .

ففي عام ١٩٥٥ اجتمع المؤتمر الأفريقي الأول ، وإنا لنذكر ما أثار من آمال في العالم الثالث ، ومن استياء في المعسكر الإمبريالي .

وقد استطاع هذا المؤتمر فعلاً أن يجعل الامبراطورية الاستعمارية سابقاً ، جبهة ضد الاستعمار يحركها روح باندونج ، وبما زاد في أهمية الأمر أن هذه الجبهة حددت لنفسها خطأ سياسياً أسمته (الحياء) .

ولكي نتصور مدى هذه الكلمة ، علينا أن نتصورها في فترة يسودها مناخ الحرب الباردة ، ومن هنا نستطيع أن ندرك سائر المسوغات التي كانت تدفع الاستعمار إلى إحباط هذا التجمع الخطير لشعوب العالم الثالث ، وبذل سائر جهوده لإحداث التشققات في البناء ، وافتعال الانشقاقات في الجماعة .

ولنتساءل : ما هي الطرق التي كانت تسمح له بذلك ؟

لم يكن في استطاعته ، بطبيعة الحال ، أن يقول للشعوب الإفريقية الآسيوية : تفرقي ! أو يأمرها بتنكر علي لما قررت ، وبالكفر به ، وبالردة !

وحق لو استجاب له بعض الزعماء لنادت الشعوب : بالخيانة .

لم يكن الاستعمار إذن ليتبع طريقاً مسدوداً يؤدي به إلى مأزق ، وهكذا اتخذ سبيلاً آخر .

إن الأهمية الأيديولوجية لمؤتمر باندونج ، كانت في أنه قد وضع جسراً يربط بين إفريقيا وآسيا كما يبدو في عنوانه وهذه أهمية خطيرة بالنسبة للمعسكر الإمبريالي .

ولأقول هنا ، كل ما قيل عن هذا الجسر في الصحافة آنذاك ، إنما ما يهمننا قوله هو إن اهتمام الاستعمار بتحطيه كان اهتماماً بليغاً .

وهكذا ولدت منظمة الدول الإفريقية ، التي لم تكن سوى بنت سفاح للاستعمار ، وإفريقيا التي ولدها دون أن تعلم من هو أبوها ، ودون أن تعلم أن مولدها لم يأت إلى هذا العالم إلا من أجل التفريق بينها وبين آسيا .

كان علماً دقيقاً رقيقاً يجب الاعتراف بذلك .

ولكن الأمر الذي يهمننا ، هو أن الأوطان العربية ساعدت على إنجازه بطريقتين :

أولاً : لأنهم زهدوا (هل زهدوا فقط) في تنمية روح باندونج ، بما لديهم من وسائل ، وفي مستوى مسؤولياتهم ، حتى يصبح محصناً من سائر المناورات المكشوفة ، أو التي تسري تحت الأرض ؟ وأضيف بأننا لو قدرنا مسؤولياتهم ، فقط لوجود (السكرتيرية الدائمة لتضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية) في القاهرة لعددنا مسؤوليتهم شيئاً له وزن . بينما لو سألنا المسؤول العربي عن حصيلة مهمته الأفرسيوية أثناء إشرافه على السكرتيرية ، فإنني أشك في أن تكون هذه الحصيلة إيجابية .

وعليه فنذ البداية لم يفعل الاستعمار شيئاً سوى أنه استغل سائر الثغرات ومن بينها ثغراتنا نحن العرب .

وإنني أذكر على سبيل المثال تصريح إحدى الشخصيات العربية التي حضرت جلسة لهيئة الأمم الإفريقية بالدار البيضاء سنة ١٩٦١ حين قالت : إن القرارات التي اتخذها هذا المؤتمر أهم من قرارات باندونج .

ونحن نتصور كم كان (بن غوريون) في ذلك اليوم مرتاحاً لهذا التصريح الواقعي .

وإننا لرى في الظروف الراهنة كم يندرج موقف الدول الإفريقية الأخير في هيئة الأمم المتحدة بتصويتها لصالح إسرائيل ، كم يندرج هذا الموقف في تلك الواقعية قصيرة النظر .

وإنه لأمر عجيب حقاً : فنحن حيناً بمثاليتنا العرجاء ، وحيناً آخر بواقعتنا الخرقاء ، نصرف الماء دائماً إلى طاحونة الاستعمار .

وبالتالي ، فحين يتقرر في القاهرة ، اجتماع مؤتمر إفريقي آسيوي مستعجل للتأثير فيما يبدو ، على هيئة الأمم ، نكتشف أنه لم يبق أي وزن لباندونج ، ذلك

لأننا اجتهدنا عشرًا من السنين لإفراغه من كل محتوى ، وجاهرنا بانتقاصنا له
حتى في تصريحاتنا الرسمية كما أشرنا إلى ذلك .

وإنها لمحنة إذا نحن لم نقرر جدياً التخلص منها .

لكن من العسير معالجة مريض ليس فيه مرض فحسب ، وإنما لديه إرادته
في التمسك به فكيف يمكن شفاؤه .

وهناك ما هو أدهى وأمر ، حين يخفي المريض الدواء وراء ظهره ، ثم
يصرخ : أريد أن أشفى ! أريد أن أشفى !.... إنه يحق لنا حينئذ أن نعهده
بما زحنا .

ومن حسن الحظ ، فزمان المغالطة والمزاج قد انتهى ، لأن عهد المحنة قد
حان ولعلها تنضح ضمائرنا .

فالشكر للقدر على المصائب تصيبنا ، إذا كان بها صلاح أمرنا .

☆ ☆ ☆

مفاتيح الحرب

من جريدة (المجاهد) عدد ٣ من
شهر آذار (مارس) ١٩٧١

إن عهد تصفية الاستعمار لا زال مستتراً ، منذ دقت شعوب العالم الثالث أبوابه التي انفلقت على حرياتهم ، منذ أكثر من نصف قرن .

وحيثما تباطأت خطوته أو تسكعت ، نشأت بمقتضى منطقته القاسي ، تلك الحركات التحريرية التي تضع ، من دماء الشعوب الثائرة ، وصمة حمراء على وجه الاستعمار ، كتلك النقطة التي نراها على جبين الآلهة التي صنعتها الأساطير الهندوكية .

وفي كل الأوطان تتمتع هذه الحركات بعطف الشعوب ، وأحياناً بتأييد السلطات . وفي وطننا يجدون - بالإضافة إلى ذلك - الجو الذي يكهرب روحهم الثوري .

إن ثورة تريد أن تصنع شيئاً في التاريخ ، يجب عليها أن تصنع نفسها أولاً . وقد استخلص (دوبونال) من خلال تأمله في الثورة الفرنسية « من الإنجيل إلى العقد الاجتماعي ، فالكتب هي التي تصنع الثورات » .

لقد كان اهتمامه عالقاً ، في هذا المقطع ، بالجانب الاستراتيجي والنظري اللذين يكونان أيديولوجية الثورة في علاقاتها بالأهداف البعيدة .

لكن الثورة أيضاً ، تكتيك يتعلق بالمهام العاجلة والمتجددة مع ما يمليه سير الثورة في كل يوم .

فالثورة في حاجة اليوم إلى الدفاع عن قضيتها في الداخل والخارج ، دفاعاً أصبح معه للحركات التحررية أدب وأحياناً (سينمائيك) تضم أفلامها ، فتنشر نشرات عن حركاتها وينشر عنها .

ولقد تبتدئ هنا مشكلة ، عندما نريد التعرف إلى إحدى هذه الحركات بطريقة مجزية وسريعة ، خصوصاً إذا كانت الملابسات أو موقعها الجغرافي يضعها - كالثورة الفلسطينية - في نقطة تقاطع للديانات والثقافات والحضارات والمصالح الاستراتيجية المتعارضة ، وفي مركز شبكة المناورات المنسوجة على يد أولئك الاختصاصيين المشرفين على (لعبة الأمم) .

حينئذ يصبح من شبه المستحيل ، أن نتعرف بسرعة على إحدى تلك الحركات لكثرة ما نشرت وما نشر عنها ، أعني أن نتعرف عليها بطريقة مجدية تجنبنا حيل وأحاييل لعبة قد تقع فيها ، بسبب أفكار غير ممحصة أو مستعصية على التجهيص بسرعة .

إن كثرة الوثائق تكون أحياناً أولى بتضليل الفكر من قتلها . إذ يكفي أن نحضر أي مؤتمر دولي له بعض أهمية ، لنخرج بحقيبة من الوثائق ، فن الوثيقة التي تريد إلقاء الأضواء على المصادر الدينية للصهيونية ككتاب الأب (بول حتي مسعد) : (بربرية التوصيات الصهيونية) ، إلى الوثيقة التي تختص بجانب واحد من القضية الفلسطينية ، إلى مجرد المنشور أو البلاغ الذي يشيد ببطولة عصاة من الفدائيين ، أو يفند العمل البربري الصهيوني الأخير ، كحرق المسجد الأقصى .

حينئذ لا يكون للقارئ إلا حيرة الاختيار ، وهو سيكون في حيرة حتماً ، إذ ليس لديه غالباً فسحة من الوقت كي يتسكع في مطالعة الوثائق جميعها ، كمراسل يبحث عن الخبر النادر ليثير به قراء ارتخت أعصابهم واستولى عليهم الملل .

فالقارئ إذا لم يكن منقاداً لغرض خاص ، لا يجد لنفسه مجالاً للتسكع الفكري أمام مأساة فلسطين ، بل يرى نفسه مجبراً على الاندفاع في هيبها والدخول نحوها ، بأيسر طريق يحصل فيه منذ الخطوات الأولى على معلومات مختصرة لكنها صحيحة ، واضحة لكنها جوهرية .

إن هذه الصفات هي التي تتحقق بالضبط في كتاب (مفاتيح الحرب) الذي نشرته لـ (بيير روسي) ، دار (جريم مرتينو) في سلسلة (المكتبة العربية) .

إن الناشر يقدم المؤلف في كلمة مطبوعة على ظهر الكتاب ، يقول فيها : « إن (بيير روسي) من الملاحظين المتميزين للشؤون العربية ، إنه من مواليد جزيرة (كورسيكا) من أسرة عربية ، ذات تقاليد عائلية في الميدان الإداري والعسكري ، فقد عاش (روسي) أكثر من ربع قرن في تلك البلدان (العربية) حيث كان مديراً للمعهد الفرنسي ببغداد ، الأمر الذي أتاح له أن يتعرف على الشرق وأزمته ، فكان له اتصال مستمر بالمسؤولين وله معهم صداقة ، جعلته يحصل على معلومات أساسية استخدم جوهرها في كتابه (مفاتيح الحرب) . »

ونضيف إلى ذلك أن (روسي) يتمتع بشيء آخر ، بمعادلة شخصية جعلته يهتم بتلك المعلومات ليستخلص منها ذلك النشيد الأساسي ، الذي خصص له الفصل الأخير من كتابه تحت عنوان (نشيد العالم) .

لم يكن القارئ يتوقع هذا النشيد في كتاب قرأ في سطره الأول هذه الكلمات : « إننا نعيش في عهد الليل » .

وفي عرض الكتاب من السطر الأول إلى الفصل الأخير ، لم يتبع المؤلف الطريق السهل الذي يتبعه (المخبر) البسيط ، ولا الطريق الملتوي الذي يتعب من يعتمد التفنن في تلك (السرية الخاصة) بأدب الشيفرة ، الذي يهواه ويهتم به بعض المستشرقين .

إن كل ما يكتب قد عرض على الضمير وعلى القلب قبل أن يدخل في مادة الكتاب :

فهذا الأوربي الفاضل يرى ، ويرينا في لحظة نقضها في صفحات كتابه ، من خلال المحنة السوداء التي يعيشها ويتشرف بها الشعب الفلسطيني ، يرى ويرينا التدهور الفظيع الذي أصاب حضارة ضيقت بالتدريج حرية الفكر ، ووضعت تحت وسائل جديدة لمراقبة العقول ، فخفضت بذلك من قيمته الحقيقية الجليلة حتى أصبحت تساوي صفراً .

هل هنالك من لعنة أشد من هذه ، نستطيع تصورها على تلك النظم والمنظمات التي أنكرت ، منذ صلح (فرساي) إلى تأسيس إسرائيل في ١٩٤٨ ، أنكرت أمام الرأي العام في الغرب حقيقة جليلة كفلسطين والشعب الفلسطيني ، وهي حقيقة أقرتها آلاف السنين من التاريخ ؟ .

فالفكر يلمس القضية هنا - كما نرى - في أرفع مستوياتها البشري ، لمساً يكشف لنا (روسي) معه عن المناقضة التي لا دواء لها ، بين حضارة (الفوتوي) الكرسي المنجد و (حضارة الروح) ، تلك المناقضة التي تبلغ أشدها حين يصبح (الروح) أمام القوى التكنولوجية الفظيعة التي تدكه ، لا يملك للدفاع عن مضمونه غير الجسم الضعيف الذي يحمله .

وفي هذا الصراع المتعادل ، نرى (روسي) يثق بالإنسان ، فيقول :

« منذ الأزل لدينا الحجة بأن التكنولوجيا لا تستطيع قهر مقاومة الذرة الإنسانية .

فإنذا الذي يشك في هذه الحقيقة ؟ وهو يرى ما يرى من مناضلي الفيتنام ومجاهدي الجزائر ، ومقاومي أنجولا ، والمقاتلين في كل مكان من أجل قضية عادلة ؟ .

أما الفدائيون الفلسطينيون فقد كشفوا للجيل الذي يشاهد تحليل الذرة ، أن الذرة الإنسانية لا تحطم فعلاً ، وأن الأجهزة الضخمة التي تريد تحطيمها قد يصيبها العطب » .

و (روسي) لا يخرج من دائرة هذا الدرس السامي ، حين يوازن « جيش الغزاة المحتلين الذين يجدون لديهم ما يشتهون . ويمشون في ضوء الشمس ، مع جيش الشعوب المكافحة الذي يسير في دجنة الليل حتى لا يرى » .

ثم يعكس هذه الحقيقة على موضوع كتابه فيقول عن جدارة : « إن الجيش الفلسطيني هو ذلك الجيش : فرجال فلسطين ونساؤها وأطفالها أضحووا في وضع لم يبق لهم فيه سوى التجنيد ، إذ لم يبق لهم سقف ولا أرض ولا مال » .
لم يبق لهم سوى (كنفهم) كما تقول أنشودة أنشدوها في أرض الهجرة والاعتراب يذكرها المؤلف .

لكن هؤلاء الجائعين المنبوذين من وطنهم ، هؤلاء المحذوفين من قائمة الأمم بإرادة الدول الكبرى ، أدركوا بأن وجودهم بوصفهم شعباً يوضع هذا الموضع إنما هو (في مشرب بندقيته) حسب تعبير (ماوتسي تونغ) إذا تصرفنا فيه قليلاً .

وبازدراء تعلقه الأقدار على رأس كل إرادة توسعية ، وعلى رأس كل طاغية رأينا في الأسبوع الذي تلا الخامس من حزيران (يونيو) ، الضباب الذي حجب شعباً قُبْر حياً ، بعد ما سقط (جالوت) مزيف تحت ضربات (داود) مزيف ، وكانت قطيرات من الصداقة الدولية المقطرة تتخلل ذلك الضباب تحت إشراف هيئة الأمم . وهاهوذا الضباب يتمزق وتتمزق معه مطاعم كانت تستهدف (يالطة جديدة) خاصة بالبحر الأبيض .

لقد ظهر شعب فلسطين من خلال الضباب ، وخرج من مأويه الحقيرة التي أعدتها الصداقة الدولية على حدود بلاده ، ليبين للعالم المتحضر - وقد أصبحت

مس إنجلترا وفراولين ألمانيا بتحليان بصورة (هنيبل) الصغير (دايان) على صدورهما - أن أي قوة بشرية مهما ساندتها من التكنولوجيا والمال لن تستطيع حذف أمة من الوجود .

فالخلف بين المال والتكنولوجيا له حدوده كما يلاحظ (روسي) ، إذ يبدو له وجه التشابه في القتال بين أمريكا وإسرائيل في صورة « قتال الترف الذي يجابه في مجتمع الاستهلاك العنصر البشري الفقير (ولكنه عظيم) ، يجابه فيه من يعنى براحته وصحته ذلك الذي ليس لديه الوسيلة ولا الوقت ولا المال ليرفه عن نفسه » .

فهذا المقطع من كتاب (روسي) له ، من بين مزاياه ، أنه يقضي على خرافة خطيرة هي : أن الناس تعودوا على استخدام صورة مثبتة للهم ، عندما يتحدثون عن (صراع ماعون الطين مع ماعون الحديد) .

هذه الصورة طالما خدرت الضائر في عهد الاستعمار ، وطالما خدمت سياسته لأنها لعبت دور الحبس النفسي ، الذي يحبس انطلاق الطاقات الثورية لدى الأجيال المستعمرة .

ولعله وجب علينا أن نعطي الصورة قالباً آخر هو أقرب لواقع الصراع الثوري ضد سلطة استعمارية : إنه صراع ماعون العدم مع الحديد .

فنذا الذي يستطيع تحطيم العدم ، الذي هو في معناه وجوهه لا يحطم .

فكأنما (روسي) أراد أن يكشف لنا هذه الحقيقة فيما أورده بصدد معركة الكرامة حيث يقول :

« إن العمليات الأولى التي بدأت في شهر آب (أغسطس) ١٩٦٧ ، لم يكن هدفها سوى لفت النظر للقضية ، ورفع المعنويات العربية التي أصيبت إصابة

كبرى ، إنها لم تكن من نوع الحرب ، بل من نوع الدعاية المسلحة ، فكانت على ذلك عمليات انتحارية غالبية الثمن إذ فقد نصف القيادة حياته فيها .

أما في الكرامة ، فالأمر يختلف ، إذ استطاعت فئة من المتطوعين الفلسطينيين سد الطريق على وحدة مدرعة إسرائيلية تساندها وحدة من المظلات » .

وهكذا نرى أن (ماعون العدم) صمد فعلاً ، حتى إن القيادة الإسرائيلية ساومت مرغمة لتخليص جيشها من المأزق ، بأن يترك السبيل لجيشها في الرجوع على أن يترك عتاده على أرض المعركة ، وقبلت إسرائيل الشرط الذي قدمته (منظمة فتح) .

وليس لسبب غير هذا ، أن اختصاصي (لعبة الأمم) لجؤوا بعد الكرامة إلى مناورات حيكت خيوطها في عمان .

لكن قوة لاتستطيع تحطيم (ماعون العدم) ، ولعل هذا مادفع (روسي) لتخصيص الفصل الأخير من كتابه لـ (نشيد العالم) .

إن القول الذي يقال عن كتاب مفيد إنه يستحق مكانه في مكتبة الرجل الظريف ، قول صحيح ولكننا نقول إن كتاب (مفاتيح الحرب) ، يستحق مكانه على مكتب كل مسؤول في السياسة العربية ، ليس فحسب لأنه يجد فيه (الإبرة المغنطيسية) ، التي تضعه في الاتجاه الصحيح بالنسبة لقضية فلسطين في محتواها العربي ، ولكن ليقدر به أيضاً أهميتها الدولية في فترة لا نرى فيها الفدائي يمسك (في مشرب بندقيته) وجوده فحسب ، بل ربما أيضاً السلم العالمي .

☆ ☆ ☆

الفصل الخامس حول الاقتصاد

- مؤتمر ٧٧
- مؤتمر نيودلهي
- جولة البترول العربي
- شروط الإقلاع الاقتصادي
- العمل والاستثمار
- اقتصاد القوت واقتصاد التنمية
- نشري أم نضع ؟.

مؤتمر ٧٧^(١)

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٤٧ -
٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧

لقد أنهى مؤتمر (٧٧) مداولاته ، ولأنه لقب (باندونج الاقتصادي) فقد
رى من يؤمن بالفأل سبب تشاؤم في هذه التسمية . ولسوف يعزو ذلك إلى سوء
حظ سابقه (باندونج السياسي) الذي لم يحظ فعلاً بما يغبط عليه .

والحقيقة أن (باندونج السياسي) لم يبق سوى ذكرى طيبة بعد ما صبّ ،
عند انعقاده منذ اثنتي عشرة سنة ، من روع في الروح الحساس الذي كان للراحل
(فوستر دالس) .

ولنترك جانباً - إذا شئتم - الخرافات هذه ، والتشاؤم والتفاؤل معاً ، وحسبنا
أن نكون موضوعيين لنقوم بمجرد تقويم لمؤتمر (٧٧) .

لقد أضاف ، لاشك ، فصلاً هاماً إلى تاريخ الحركة التحريرية التي بدأت في
العالم الثالث مع استقلال الأوطان الأولى منه .

وعلى هذا الأساس نعترف بأن المؤتمر قد أضاف إلى هذا الجهد التحرري عملاً
سياسياً هاماً ألا وهو ماسمي (ميثاق الجزائر) .

بعد هذا لا بد من ملاحظة : لقد اتخذ هذا المؤتمر من المؤتمر الذي سيعقبه في
نيودلهي قبلته منذ اللحظة الأولى ، وبذلك أضحى مؤتمر الجزائر ، كأنه فقد الغاية
في حد ذاته أو بعض غايته .

(١) سمي المؤتمر (٧٧) لأن سبعمائة وسبعين دولة اجتمعت فيه بالجزائر .

ولم يكن هذا الأمر دون تأثير على نوع تفكير المؤتمر ، وعلى نوع مراكز الاهتمام في تفكيره ، كما لم تكن من جراء هذه التبعية لتفقد بعض التبعيات وزنها في اتجاه مداولاته ، التي كانت على ذلك ، ضرباً من مقدمة للحوار المتوقع متابعته في نيودلهي ، مع مخاطبه (العالم المصنع) الذي كان حاضراً في الجزائر وإن لم تره الأبصار .

فقد كان الاجتهاد في تهيئة مقررات الحوار المقبل مؤثراً على جدول أعمال ، قد تأتى فيه المشكلات على عكس ترتيبها الطبيعي ، ترتيباً يأتي معه المهم منها في المرتبة الثانية .

وإذا تصفحنا بدم بارد ، الوثيقة التي تركها المؤتمر بين أيدينا باسم ميثاق الجزائر نجد فيها فعلاً بعض الشغرات .

لقد كنا في الحقيقة ننتظر بنوداً تحدد التزامات كل عضو في الوحدة أو الجهة الاقتصادية المزمع تشييدها ، لكننا لم نجد في الوثيقة سوى كراسة المقترحات التي ستقدم بنيودلهي إلى المخاطب الحاضر غير المرئي .

وفي الحقيقة نجد الكراسة هذه تطالب بالكثير ، من العالم المصنع ، إن لم نقل إنها تطالب بكل شيء ، فتطالب مثلاً ١٠ ٪ من مدخوله العام لتبني البلدان النامية .

فمن الناحية الأخلاقية ، لعل هذا جائز ، ولكن المخاطب لا ينصت لهذا المنطق ولا يتكلم هذه اللغة .

وهكذا انزلت المداولات في الحديث عن حقوق (العالم الثالث) عوض أن تذكره (بواجباته) نحو نفسه ، بينما مأساة الدول النامية كلها انعقدت حول نواة في نفسها ، تخلق فيها عقدة حرمان تحرمها من حرية التفكير أولاً ثم من حرية العمل .

فكل شيء يزحزح مسؤوليتنا عن عاتقنا ، ليضعها على كاهل غيرنا هو شيء لا يعدو أن يلحقنا منه ضرر .

ولهذا كان النبي ﷺ ينمي في كل مسلم الشعور بمسؤوليته بطريقة تربوية ، نذكر منها مع ما نستطيع في ضبط النص هذا الحديث : « إنما هي أعمالكم ترد إليكم ، كما تكونوا يول عليكم » .

فالقضايا الاقتصادية لاتند عن دائرة هذا القانون : فمسؤوليتنا فيها لاتقل عن مسؤوليتنا في المجال الأخلاقي .

ولربما يتعذر استعمال هذا النص - ولست على يقين من ذلك - في عهد ما قبل الثورة ، لأن الزعماء كانوا يزعمون أنه يجب علينا لمواجهة الاستعمار أن نصنع سهامنا من كل حطب ، وزعموا أن (الحقوق) كانت الحطب الموجود في أيدينا .

إنني لأشك في أن الاستعمار ، أو وريثه الاستعمار الجديد ، يريد ألا نخطب إلا من ذلك الحطب إلى نهاية الدنيا ، حتى نفقد تماماً الشعور بالمسؤولية ، كما لانشك إذا راجعنا تاريخ الجزائر في الحقبة ما بين ١٩٣٤ و ١٩٣٩ ، أن الذي غير وجهتنا من القيام بالواجبات إلى المطالبة بالحقوق ، لم يكن سوى إحدى نتائج تلك الميكيفيلية ؛ ففي ضوء هذه التجربة التاريخية ، نستطيع الآن الحكم على المؤتمر الاقتصادي الذي انعقد بالجزائر بأنه قد انزلق أيضاً في (المطالبة) ، بينما كانت أولى المشكلات تحديد العلاقة بين المواد الخام والعملية ، حتى لاتكون الأولى تحت رحمة الثانية في السوق تبعاً لألاعب البورصات العالمية .

أما اليوم ، فصاحب العملة هو الذي يحدد وحده تلك العلاقة ، باستثناء بعض الصفقات التي تقع على أساس المقايضة بين دولتين .

أما القانون العام للتبادل التجاري ، فهو قائم على سيادة العملة ، وهذا القانون يسمح المشكلة الاقتصادية في العالم الثالث ، مسحاً يطرح معه دائماً طبقاً للتقديرات النقدية ، وأحياناً طبقاً للتقديرات السياسية عندما يقرر إنشاء مشروع كبير للتنمية .

إننا نذكر على سبيل المثال ، ما حدث لمشروع السد العالي في مصر ، عندما كان بناؤه مقررأ في البداية عن طريق البنك العالمي للتنمية ، ونتذكر كيف أحجمت هذه المؤسسة النقدية العالمية بالتالي ، حينما حددت الحكومة المصرية ، سنة ١٩٥٥ ، خطها السياسي بالنسبة للأحلاف العسكرية الجوية ، واتخذت بعض التدابير في التسليح للدفاع عن الوطن من عدوان إسرائيل .

ففي هذا الإطار كل محاولة تنمية ما هي إلا سراب ، وكل تبادل اقتصادي تفرضه سلطة العملة فهو إجحاف .

إنه ليس تحت تصرف العالم الثالث وسيلة تساعد في الوضع الراهن على تنفيذ برامج تنمية سوى المواد الخام التي في أرضه . فإذا كانت هذه المواد في السوق العالمية رهينة البورصات تصبح خطط التنمية صعبة أو مستحيلة .

ولقد كان من واجب مؤتمر الجزائر أن يركز تفكيره في هذه المشكلة بصورة جذرية وأن يطرحها في إطار جديد ، لأنه من العبث أن يطلب من مستغل أن ينهي استغلاله ، بل يجب التفكير في إيجاد إطار جديد ، في صورة تدابير من شأنها أن تلغي تلقائياً الاستغلال^(١) .

ولا نرى في هذه التدابير سوى قطع العلاقات الاقتصادية الكلاسيكية مع المستغل ، أي بعبارة أخرى قطع العلاقة الراهنة بين المادة الخام والعملة .

(١) والغريب في الأمر أن نرى رجالاً ينزهون سياستهم عن الاخلاق في بلادهم ، باسم الواقعية أو لسبب آخر ثم نراهم في الميدان الأول يطالبون باسم المبدأ الأخلاقي .

لكن هذه العملية ليست ممكنة إلا إذا قرر العالم الثالث إنشاء (مصرف المواد الخام) تجاه مصرف العملة ، سواء كان اسمها البنك العالمي للتنمية أو غير ذلك .

ويجب بعد ذلك ألا ينشأ هذا المشروع في صورة تحدٍّ ، ولكن على أنه تدعيم للعدالة بين الدول ، وللفعالية في البلاد المتخلفة .

فالأدوار موزعة في الوضع الراهن توزيعاً تمثل فيه المادة الخام دور (العرض) والعملة دور (الطلب) ، بينما مجرد النظرة في ميزانية التبادل بين الشمال والجنوب في العالم - حيث يمثل الشمال الصناعة والجنوب المواد الخام - تكشف عن عدم توازن صريح في توزيع الفائدة .

إنني ذكرت رقماً كان تحت يدي عندما كنت أحرر فصل (مبادئ اقتصاد فعال) في كتاب الفكرة الأفروآسيوية ، وكان يعبر إجمالاً على عدم التوازن بالنسبة لبلد مثل مراکش ، حيث كانت قيمة الطن من صادراته (المادة الخام) ست مئة فرنك ، وقيمة الطن من وارداته (المادة المصنوعة) ٢٣٠٠ فرنك .

إن هذا الرقم ، على الرغم من أنه قديم (سنة ١٩٥٢) ، يعبر على الأقل بطريقة رمزية عن عدم توازن زاد في التعمق خلال السنين الأخيرة ، زيادة لا تكشف معه خريطة العلاقات الاقتصادية الراهنة بين الشمال والجنوب ، عن اندمال التخلف بل عن زيادته نسبياً .

هذا الوضع هو الذي يلزمنا بإنشاء (مصرف المادة الخام) لإصلاح حال المادة الخام التي تمثل العرض ، في العمليتين الأساسيتين : إنتاجها وتسويقها .

فالبلاد النامية زهدت ، بعد استقلالها ، في استخلاص النتائج التي يقتضيها وضعها الجديد .

ففي الجزائر مثلاً ، استمر الإنتاج بعد عام ١٩٦٢ ، بينما ضاق السوق به ، ثم بقيت تستورد من الكاليات ماشاء الله^(١) .

ولقد بقيت الفوضى سائدة في مجمل البلاد النامية ، وكانت بالتالي في صالح (الطلب) على حساب (العرض) أي في صالح المال على حساب المادة الخام .

فإنشاء (مصرف المواد الخام) ضرورة ، بوصفه وسيلة لتلافي هذه الفوضى مع استناده على مبدأ كم تمنينا لوقرره (مؤتمر ٧٧) أو اعتمد ضمناً عليه ألا وهو :

كي يكون لاقتصاد البلاد النامية فعاليتها في الخارج ، يجب أن يكون له نظامه الدقيق في الداخل .

إن العالم الثالث في حاجة ملحة إلى تشريع متقن ، يطبق بطريقة قهرية بإتقان بين البلاد النامية ، لفرض نظام ضروري لمصلحتها في سوق المواد الخام تطبيقاً يكون معه (مصرف المواد الخام) هيئة تنسيق ، وفي الوقت نفسه محكمة تدين كل مخالفة للقانون المقرر ، أي تحكم في كل حالة تنشأ فيها (أزمة) سوق سوداء تعتدي علينا ؛ من الخارج ، وهذا أشبه بمزاحمة المركب الكيميائي للسادة الخام إضراراً بنا ، أو من الداخل بسبب سوء التصرف .

فهل من السهل تطبيق هذه الاقتراحات ، ونحن نرى تنوع المصالح الاقتصادية بل اختلافها في العالم الثالث أمام المصالح الموحدة في العالم المصنع ؟

إن الجواب على هذا السؤال يتوقف على اختيار :

فإذا اختار العالم الثالث طريق التطورات البطيئة ، التي ينتظر معها بعد كل خطوة أن تعطى له الإشارة الخضراء من الكتلة المصنعة ليقوم بالخطوة

(١) غيرت الحكومة الجزائرية في السنوات الأخيرة هذا الوضع ، وقررت اقتلاع الكروم وضيق في الكاليات .

الثانية ، كما تفعل الهند ، فإن إنشاء (مصرف المواد الخام) لن يكون سوى سراب آخر نضيفه إلى محور طنجة جاكرتا ، كذلك السراب الذي تمثله ، منذ عشر سنوات ، السكريتيرية الدائمة لتضامن الشعوب الأفروآسيوية في إحدى العواصم العربية .

أما إذا انطلق كما فعلت الصين على نسق توقيت محدد ، فيجب إذن منذ الآن ، الإقدام على تغييرات جذرية حتى بالنسبة للمخططات الوطنية في نطاق مخطط شامل .

وإننا لنجد في ذلك قدوة في أعضاء السوق المشتركة ، ولا نقول مع ذلك أن الحل سيكون يسيراً ، بل سيكون صعباً ، إذا تصورنا العاهات الموجودة في بعض البلاد المتخلفة أو السلطات الجانيبة التي تغطي ، في بعض الحالات ، على السلطات الرسمية ، في خدمة سيدها الاستعمار من أجل تعطيل حركة التنمية .

ومهما يكن من أمر فالجواب على السؤال المطروح موجود ، في اختيار - ضمني أو منصوص عليه - لإحدى الطريقتين اللتين أشرنا إليهما .

ولكننا نلاحظ أن مؤتمر الجزائر لم يحدد هذا الاختيار ، فكان بالتالي مؤتمر (حقوق الشعوب الفقيرة) .



مؤتمر نيودلهي

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٦٦ في

٢١ آذار (مارس) ١٩٦٨

إن مؤتمر (٧٧) الذي انعقد في الجزائر منذ بضعة أشهر ، كان المقدمة للمؤتمر الذي تجري مداولاته الآن في نيودلهي ، وهذه المداولات تهمنا من نواح عدة . خصوصاً وقد اتخذت فجأة طوراً مزعجاً للغاية على الأقل بالنسبة للمسيو (راؤول بريبيش) ، الذي يحضرها بصفته الأمين العام لمنظمة إعانة الدول النامية cnuCED . فقد رأى أن المقود الصعب للسفينة التي كلفته قيادتها هيئة الأمم المتحدة ، يكاد يفلت من يده فتتخطم السفينة على الصخور . حتى إنه وجه نداء للدول الغنية يستنجد بها ، ويصرخ في ندوة صحفية : إن المؤتمر على حافة (الإفلاس) .

لسنا ندري إذا كانت السفينة ستسلم بفضل ندائه ، لكن الشيء المؤكد الآن ، في احتمال فشل مسعاه (كما يراودنا الشك في ذلك منذ مؤتمر ٧٧) هو أن خيبة أمل الدول النامية قد تكون خيراً لها ، إذا ما هضمت هذه الخيبة واستنتجت منها ما يفيدها .

والمشكلة بالنسبة لهذه الدول تطرح كما طرحت لأوروبا ، على الرغم من أنها طرحت لهذه الأخيرة بالفاظ أقسى ، حين اعتبرت جولة (كندي) تحدياً منح أوروبا وعياً أكبر ، عبّر عنه كتاب يحمل عنوان (التحدي الأمريكي) لـ (جان سرفان شرايد) .

فالعالم الثالث يواجه تحدي الدول المصنعة ، وعلينا هنا أن نواجه أنفسنا

بصدق . فنحن إذا كنا نعرف كيف تقدر حاجتنا من ناحية ، فإننا من ناحية أخرى لا تقدر كما ينبغي إمكانيات الآخرين أو حسن نواياهم .

وقد لا نستطيع فعلاً تقدير إمكانياتهم ليس فحسب لعوامل نفسية في أنانية الكبار وتسلطهم ، جعلت الأقوياء جداً ضعفاء في التعاون بين الدول ، بل هنالك عوامل أخرى تتصل بسياسة الكبار الداخلية وبما يشغلهم في عقر دارهم فيصرفهم عن مشاغلنا .

ولنذكر على سبيل المثال كيف أن الجنيه الاسترليني لا يعرف الآن مصيره ، وكيف يتزعزع الدولار لأنه يفقد غطاءه الذهبي^(١) ، أو نذكر التحدي الأمريكي لأوروبا لنجد الأسباب أو المعاذير ، التي تجعل النداء الذي وجهه المسيو (راؤول بريبيش) معرضاً ليقع في الفراغ فلا يجد أذنأ صاغية .

وقد يكون مصيره مصير النداء الذي وجهه ، منذ أربعين سنة بطل (طاتبيرج) في الحرب العالمية الأولى ، عندما استنجد بالعالم المتحضر لإنقاذ عملة بلاده وجمهورية (فيار) .

وحق البلدان الاشتراكية لها مشاغلها اليوم ، على الصعيد الايديولوجي على الأقل^(٢) .

وإذا تصورنا مداولات نيودلهي ، ومصير (الحوار) في إطار دولي كالذي أوضحنا ، فإننا نتصور خاتمة الحوار في كلمة (نو) من طرف الانجلو سكسون و (نييب) من طرف السوفييت .

على العالم الثالث إذن أن يعتمد على نفسه ، وأن يستعد لمواجهة سائر

(١) انتهت القضية بعد ذلك بأن ألغت أميركا الغطاء الذهبي لعملةها .

(٢) كان الصراع بين موسكو وبكين على أشده حتى على الجبهة العسكرية بسبيريا .

الاحتمالات بوسائله الخاصة ، ومشكلته ليست سهلة الحل ، لأنها لا تتسم بالطابع الاقتصادي البسيط كما يعني اختصاصي الاقتصاد بهذه الكلمة .

فحين نقول إن العالم الثالث ملزم بمواجهة الوضع الاقتصادي بوسائله الخاصة وإمكانياته التي بين يديه ، فإننا لا نقول إلى أي حد يستطيع استخدام هذه الوسائل وتلك الإمكانيات .

إنني أعلم أن أهل (ميله) يتذوقون النكتة ، فليسمحوا لي بنكتة قسنطينية قديمة تنير هذا الجانب من القضية .

ففي قسنطينة كانت السنة حداد تصف صدق أهالي (ميله) وأمانتهم بصورة كريكاتورية ، فتذكر عنهم قصة خاتمتها هذه الكلمة : « يا أهل ميله ! يارؤوس بقر ، إنكم تضعون أقدامكم على الفضة وتحسبونها قطعة من الصخر » .

قطعاً ليست هذه سوى نكتة بالنسبة لأهل ميله ، لكنها تدخلنا بصورة رمزية في صلب الموضوع . أعني في الأوضاع النفسية الراهنة في العالم الثالث ، هذا العالم الذي يضع أقدامه فعلاً على خيارات لا يتصورها العقل ، وهو لا يستفيد منها شيئاً في خطة تنمية .

هذا الجانب هو جوهر مشكلته الاقتصادية ، وهو الذي لفت ، منذ نحو عشرين سنة ، نظر (تيبورماند) الذي يلاحظ بحق ، في أحد كتبه ، هذه الملاحظة الكاشفة عندما يقول :

إن القضية تتطلب (عالم الحياة في الاجتماع) أكثر من (مهندس اجتماع) .

إن الحياة الاقتصادية لا ترتبط فقط بأجهزة ذات طابع فني ومالي وتنظيمي ، بل هي قبل ذلك مرتبطة بأجهزة نفسية موجودة في المعادلة الشخصية لدى الفرد الذي يفكر في الخطط والذي ينفذها .

وهذه المعادلة ليست من المعطيات البسيطة التي نجدها تلقائياً في الجهاز الميكانيكي الذي تقتنيه لتجهيز مصنع ، ولكنها شيء يكتسب ، جنباً إلى جنب مع تكوين ونمو ثقافة .

لقد شرحت هذه الاعتبارات في كتاب نشرته في الموضوع منذ عشر سنوات^(١) ، ولربما وجدناها بشروح مستوفاة بتوقيع كبار الاختصاصيين في جريدة (لوموند الديبلوماسي) في عدد آذار (مارس) ١٩٦٨ الذي خصص تقريباً لمؤتمر نيودلهي .

ومن بين الآراء التي نقرأها في هذا العدد نقتطف ما قاله (جوزوي كاسترو) بعنوان (تكوين الإنسان) هو مفتاح التنمية ، إذ يبدو لنا أنه أبرز المشكلة على الصعيد الذي نطرحها عليه هنا .

فصاحب كتاب (جوعة العالم) الذي حصل الشهرة التي حصل عليها كتاب (فنديل ديلكي) : (العالم واحد) ، قد حلل تحليلاً دقيقاً الملائمة الاقتصادية التي مرت بالعالم في الفترة الأخيرة ، وقد لخص رأيه فيها « بأن العهد الذي كان ينتظر منه تحقيق شروط التنمية كان بالتالي عهد خيبة الأمل » .

إن (جوزوي كاسترو) يبدأ في أطروحته من ملاحظة أولية يقول « إن العلم يعترف اليوم بفسل استراتيجية التنمية التي اتبعتها البلدان المتخلفة » .

وينحصر سبب الفشل في نظره « بأن هذه الاستراتيجية كانت موضوعة على مبادئ ومناهج تفكير بعيدة عن أن تحقق الفعالية » .

وأكبر الأخطاء التي ارتكبت في نظره هو « أن الخطط قد وضعت على مبدأ تشابه اطراد التنمية في كل مكان ، مع ماسار عليه النمو في البلدان الغنية في الغرب » .

(١) انظر الفكرة الأفروسيوية فصل « مبادئ الفعالية في الاقتصاد » .

وأضيف لوسمح لي أن أقول « أو شبيه بالتنمية في البلاد ذات الايديولوجية الماركسية ، دون أن نقدر حساباً للتغيير الذي أحدثته هذه الايديولوجية في الإنسان ذاته » .

هذا هو بصورة إجمالية مرض العالم اليوم . ويكفي أن نتجرد بعض الشيء ، لنبقى موضوعيين ونرى الأشياء على حقيقتها ، في عالم فيه نصف الإنسانية يبذر ، والنصف الآخر (يستعطي) بقايا الولية ، فيتناولها في صورة صدقات أو عائدات بترول .

إن (محمد علي ، كاسيوس كلاي) ، لم يمنح قوة عضلات ضمنت إعجاب العالم فحسب ، بل منح قوة ذهنية ، حين لاحظ في مجتمع السود بأميركا ، هذه الملاحظة التي تدل على صراحته فقال : « لولم يصنع الرجل الأبيض الصابون لبقية الرجل الأسود دون أن يغسل يديه » .

هذه اللمسة الكاريكاتورية ، تسم على أية حال ، نموذجاً نفسياً معيماً أطلق عليه (منوني) في كتابه (سيكولوجية الاستعمار) لقب (الإنسان التابع) .

فهذه التبعية ، وهي قبل كل شيء في الأفكار ، تكون اليوم جوهر المشكلة الاقتصادية في العالم الثالث .

لذا نرى (جوزوي كاسترو) يخرج من تأملاته في الموضوع بهذه النتيجة : « إن المشكلة تعرض لنا في صورة مركب اقتصادي وثقافي معاً ، ولكن بكل أسف لم نتعود بعد ربط العلاقة بين هاتين الكلمتين : الاقتصاد والثقافة » .

هذا في الوقت الذي تفرض فيه علينا أحدث تجربة للإنسانية ، أن نعقد في المستقبل صلة وثيقة بين الوقائع الاقتصادية والمعطيات الثقافية .

فخلل التوازن ، بين أميركا وأوروبا مع ما يصب من قلق في بعض النفوس

الأوربية ، ليس في الحقيقة إلا اختلافاً في المستوى التكنولوجي ، تستطيع معه أوروبا أن تتخلص منه ببعض التعديلات السياسية لإنشاء السوق المشتركة .

أما عدم التوازن بين العالم المصنع ، والعالم الثالث فهو قضية أخرى :
إنه مشكلة حضارة .

فكيف تستطيع البلدان المتخلفة إدراك ذلك ، ومتى تقدم الحل الناجح للمشكلة بأقل وقت ممكن ؟..

ينبغي إذن على الثورات السياسية التي حققت في العالم الثالث الاستقلال بثني غالٍ ، أن تزدوج الآن مع ثورات ثقافية تحقق إنهاء ما يسميه (منوني) :
(حالة تبعية) .

فكل وطن أفلت من اليد التي كانت (تُمشّيه) في التيار السياسي ، كما « تُمشّي » الأم طفلها ، عليه أن يتعلم أيضاً المشي وحده في الميدان الاقتصادي ، دون يد تمسكه .

عليه بعد أن ترك يد (المرضعة) ألا يتشبث بثياها كلما واجهته صعوبة ، إذ ينبغي عليه أن يودع المرضعة نهائياً ، وأن يتقبل الأخطاء الملازمة لـ (حالة الترك) كما يسميها (منوني) .

فالتريق الوحيد للاستقلال الحقيقي ، يقضي بترك كل علاقات (التبعية) مهما كان نوعها ، وتقبل سائر الصعوبات التي تواجه الإنسان عندما يرشد ، ويتحمل كامل مسؤولياته .

لقد قال وزير الطاقة الجزائري عند عودته من نيودلهي « يجب علينا أن نعتد على أنفسنا » .

فهذا حسن .. حسن جداً شريطة ألا تكون هذه الكلمات زخرف قول ، أو مجرد تعبير عن غضب ، بل البداية لتأمل جديد في القضية .
وبغير ذلك سنجد أنفسنا أمام المنظر المزعج ، حين يرفض الغني المترف المتعالي ، التصديق ، ونرى الشحاذ يجلس غضبه بين شفثيه .
وليس من شك في أننا هنا سنقول لذلك الغني الكلمة التي تخزيه ، ولكن ماعسانا نقول للثاني خصوصاً إذا كان يتمتع بكامل قواه ؟!!!!.

☆ ☆ ☆

جولة البترول العربي

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٢٩ -

٣ تموز (يوليو) ١٩٦٧

كما كنا نتوقع ، فالاستعمار يقوم في هذه الآونة بلعبة في منتهى الخطورة : إنه لا يحاول فحسب بث التفرقة بين العرب ، كما يشعرهم بأن الوحدة المأمولة بينهم ، تسقط في عالم الأساطير ، بل إنه يريد أيضاً ، في توقع سياسة بترولية موحدة بدأ العرب يهددون بها ، أن يفقد هذا السلاح حده مسبقاً .

هكذا بدأت منذ الآن ، أقلام وأبواق مأجورة تحاول إقناعنا بأنه سلاح ذو حدين . ليشعرونا بأن سلاحنا قد يقطع جبل وريدنا . وهذه العملية في المجال النفسي تسير جنباً إلى جنب مع عملية أخرى في المجال الاقتصادي ذاته .

يبدو أن الاستعمار يخشى من سلاحنا أن يقطع جبل وريده ، فبدأ يطلب من بعض البلدان العربية أن تزيد في فتح محابس بترولها .

وهكذا نراه يقوم بمحاولة تخويف من ناحية ، وبمحاولة استمالة من ناحية أخرى ليحقق فائدتين .

ففي الوضع الراهن لواتفق العرب على كل شيء ، سوى شيء واحد ، فإن هذا الاستثناء انتصار معنوي كبير للاستعمار ، يستطيع من ورائه ، كسب نتائج لا يزهدها فيها في المجال الدبلوماسي .

أما إذا كان الشيء الذي اختلفوا حوله هو البترول ، فالانتصار هنا ليس معنوياً فحسب ، بل هو انتصار كبير لا تقدر نتائجه بالنسبة للاستعمار ، خصوصاً

بين الرشاد والتهيه (١١)

على الصعيد الاستراتيجي ، وفي وقت لا نعرف فيه على أية نتيجة تنتهي
المداولات التي تدور الآن في هيئة الأمم .

إننا إذا ما تصورنا المشاغل الحالية ، في واشنطن أو لندن على حد سواء ، من
خلال التدابير المزمع اتخاذها بخصوص البترول ، في المجال الاقتصادي أو الفني ،
فإننا نستطيع أن نأخذ مسبقاً مقياساً نقيس به انتصار الاستعمار ، إذا ما ارتخى
الموقف العربي في ميدان البترول .

فالأنباء تفيدنا بأن الحكومة الأميركية قد جمعت هذه الأيام اللجنة الخاصة
لاستيراد البترول من الخارج ، « لاتخاذ التدابير الضرورية في حالة نقص في المواد
البترولية قد يصيب البلدان الأوربية » . بسبب الوضع في الشرق الأوسط .

والأخبار تفيدنا أيضاً ، أن البلدان الأوربية المشتركة في منظمة
(OCDE) تتابع من جانبها تبادل الأفكار حول المشكلة نفسها .

ويقال أيضاً إن بعض البلدان كالسويد وسويسرة ، بدأت ترفع تسعيرات
البترول ، كما نسمع عن قيام السوفييت بسحب عروضهم الأخيرة للبترول من
السوق الغربية .

هكذا يصبح الإمبرياليون وجهاً لوجه مع البترول العربي . ونتصور من هنا
حيرتهم وما سوف يكدون به العرب لتبيح موقفهم .

علينا إذن أن نفكر في السؤال : ماذا يجب أن نفعل كيلا يرتخي هذا
الموقف ؟ لقد قال الرئيس (بومدين) في خطابه على سطح قصر الحكومة :
« يجب علينا أن نضع الحجر على بطوننا لمدة عام » مقترحاً بذلك سياسة تقشف .

إننا نلاحظ بأنه ليس للعرب مخرج آخر إذا ما أرادوا أن يعطوا لسلحهم
البترولي كل تأثيره في الموقف الراهن . ومن هنا لا بد أن نتصور ماهي في الواقع
الالتزامات التي يفرضها هذا المخرج ؟ .

إن كل سياسة تتطلب شيئاً من المثالية توحى بمسوغاتها ، وشيئاً من الواقعية
تحدد وجوه تطبيقها والطرق الفنية للإنجاز .

وسهم المثالية لابد أن يكون على مستوى التقشف المطلوب . والقاعدة
الايدولوجية لابد أن تكون متينة ، بقدر ما تكون التضحيات المطلوبة
والطاعات المفروضة على كل واحد ، في مستوى الصعوبات التي يحتمها وضع
استثنائي .

ولابد أن تكون هذه القاعدة من فولاذ كي لا يرتخي الموقف العربي ، ولا
يتزعزع عليها بناء الوحدة العربية مهما كانت الأعاصير والمناورات والخن .

ويجب أن نلاحظ بأن (المثالية) التي نتحدث عنها ليست صنفاً من
(السورالية) وتجريداً يسبح فوق الواقع ، فوق الشروط الحقيقية ، فوق
المعطيات الطبيعية لوضع معين .

إنها لا تتنافى مع (الواقعية) بل تقتضيها على مستوى كبير .

وعلى هذا الأساس من الواقعية نقول : إن الأوطان العربية تختلف الآن فيما
بينها . وليست الفوارق بينها ناتجة عن تاريخها لأنه واحد ، ولكنها فوارق نتجت
عن الإطار الاستعماري قبل استقلالها وبعده .

وهذه الواقعية تلقننا أيضاً ، ألا تقدم في الظروف الصعبة ، لشعوب هذا
واقعها من حيث الاختلاف ، مقترحات لا تجد في قلوبها الحساسية نفسها ، ولا
تدفعها الدفعة نفسها ولا تهزها الهزة نفسها .

فما يدعو إلى الأمل أن نرى الزعماء العرب مهتمين الآن بهذه القضية ،
يبحثون لها عن حل . كما تدل على ذلك المحاولة التي تقوم بها بغداد هذه الأيام من
أجل عرض مشروع (ميثاق عربي) للدراسة ، ويبدو أن المبادئ العامة لهذا
الميثاق قد تحددت منذ الآن .

وعلى أية حال فالمشروع مطروح في بغداد ، وننتنى له أن ينتهي في قريب عاجل إلى نص يعرض على من يريد أن يتأمله أو يطبقه في العالم العربي .

ومن الضروري أن يوضع بين يدي كل قطر عربي هذا النص ليستوحيه في سياسته على العموم ، وفي سياسته البترولية على الخصوص طبقاً لمبادئ أخلاقية تتحكم في الموقف العربي كله بالنسبة للبترول .

لكن (المثالية) كما قلنا لا تكفي وحدها . ومن أجل ألا يرتخي الموقف العربي لا بد أيضاً أن تعالج قضية البترول بما تستحق من (الواقعية) .

(فالمثالية) تتدخل لتحديد التزامات كل بلد من الوطن العربي ، ولتفرض العقوبة المعنوية لكل مخالفة يرتكبها هذا البلد أو ذاك .

ولكن يجب أن نفكر أيضاً كيف لا تكون هذه الالتزامات فوق طاقة أي بلد ، وكيف ينبغي أن تتخذ التدابير الاقتصادية الكفيلة بمساعدة ذلك البلد على القيام بالتزاماته ، في التقشف المفروض عليه ، كما هو مفروض على كل واحد من المجموعة في حدود لا حرج فيها .

هذا الجانب هو ماتتولاه (الواقعية) ، فتجعلنا نلاحظ بأن أعضاء المجموعة ليسوا كلهم مرتبطين بقضية البترول في مستوى واحد .

فبالنسبة لبعض الدول كالكويت والسعودية والعراق (في وضعه الراهن) ، يشكل البترول المورد الوحيد ويكون تقريباً كل ميزانيتهم .

أما بالنسبة للأعضاء الآخرين كالجائر فالبترول يضيف فقط إلى المدخول العام . أما السودان فلا يمسه منه شيء كما لا يمسه سوريا إلا في عائدات النقل .

كما أن أقطار مصر ومراكش وتونس ، لا يهملها الأمر باعتبارها أعضاء بمجموعة تفرض عليها الظروف القاسية أن تحدد سياسة بترول لم تتحدد بعد .

هكذا تبدو الفوارق التي تجب مراعاتها من الناحية الواقعية ..

فهذه الأوطان جميعها ، متضامنة في نطاق مجموعة ، تواجه بصورة شاملة حالة تحدٍّ تجعل من مشكلة البترول قضية حياة أو موت بالنسبة إليها .

وهي من ناحية أخرى ، كما تنبغي الملاحظة ، تجد نفسها في أوضاع اقتصادية خاصة حتى من الناحية النقدية . ولا ينبغي للتعديل الاقتصادي المطلوب بين البلدان العربية ، أن يتجاهل هذه الفوارق التي ستدخل حتماً في ميزانية المجموعة ، التي يجب عليها أن تصفي حسابها على طريق (مقايضة Clearing) في الداخل ومقايضة مع الخارج .

وعلى سبيل المثال فالدين المترتب على الجمهورية العربية المتحدة وحدها في بون ، يبلغ نحو المئتين والخمسين مليوناً من الدولارات.

هذا الرقم يعطينا فكرة عن الأوضاع السابقة ، التي يجب إدخال التعديلات المطلوبة عليها في وضع سياسة اقتصادية عربية شاملة .

ولسنا نشك في أن الاقتصاديين العرب سيجدون الصيغة الكفيلة التي تضع هذه الأوضاع في الحساب .

فإذا كانت هذه الصيغة في صورة سوق عربية مشتركة ، فإن أصحابها سيجدون قطعاً في النموذج الأوربي دلالات مهمة ، خصوصاً من حيث فكرتها المبدئية التي حركت الهمم ، عندما وجدت البلدان الأوربية نفسها ، بعد الحرب العالمية الثانية ، أمام كتلتين عملاقتين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .

إن الواقع الاقتصادي في القرن العشرين ، يدل على أن المنظمة الاقتصادية الكلاسيكية لا تستطيع في حجم الوطن ، جمع الوسائل الكافية لتنمية هذا الوطن ، وبالتالي فإنها لا تستطيع المنافسة في السوق العالمية أمام الكتل الاقتصادية المتكاملة .

والأمر الذي كان يند عن انتباه اقتصادي القرن التاسع عشر ، هو أن النمو الاقتصادي الأوروبي كان يتحقق على مساحات عذراء تمثلها المستعمرات حين كان كل مستعمر يستطيع أن يفرض ما يناسب اقتصاده ، وقد أخفى هذا الأمر عن عالم الاقتصاد في ذلك العهد ، العوامل التي تلعب اليوم دوراً رئيسياً في اقتصاد يريد تحقيق استقلاله .

إن كلمة (الوطنية) كانت وحدها كافية للدلالة على الاستقلال . ولكن القرن العشرين كشف عن أن الاستقلال الاقتصادي يرتبط بعاملين : اتساع الرقعة وعدد السكان .

فالكلمتان اللتان تحققان الاستقلال الاقتصادي وقد ظهرتا بعد الحرب العالمية الثانية ، ليستا غير ما يتمتع به الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من المساحات الواسعة وعدد السكان .

والصين تستعد بدورها للدخول في زمرة العالقة للأسباب نفسها ، ومن الطبيعي أن بلداً كبلجيكا ، لا يستطيع وحده مجارة هؤلاء العالقة ، ومن باب أولى لا يستطيع منافستهم .

ففكرة السوق المشتركة الأوروبية نشأت أمام هذه الحقيقة ، وهي تعني مراجعة شاملة للأفكار الاقتصادية الكلاسيكية التي كانت تسود أوروبا .

وإذا أصبحت إنكلترا - التي طالما اعتزت ب (العزلة الجميلة) - تطمح للدخول في السوق المشتركة ، فلأنها اكتشفت هذه الحقيقة التي فرضت عليها مراجعة أفكارها .

فالיום أصبحت البلدان العربية مطالبة بالمراجعة نفسها ، تطالبها بذلك ظروف أقصى من تلك التي أوحى بالسوق المشتركة الأوروبية .

وربما عمدت البلدان العربية إلى مراجعة توحى بحلول كالتي عمدت إليها

الدول الأوروبية ، وربما انصرفت الرغبات عن مثل ذلك . لكنهم إذا لم يفعلوا وارتخى موقفهم في ميدان البترول ، للأسباب التي قدمناها ، فإنهم إذن سيرون النتائج الوخيمة التي أشرنا إليها .

أما إذا انتهجوا منهج الرشاد ، فسوف تكون إذن مبادرتهم ذات معنى مهم ومغزى كبير ، لأنهم يدركون بفضلها أنهم لا يواجهون مشكلة مؤقتة ، أي قضية البترول ، بل مشكلة عضوية ألا وهي اقتصادهم في الاتجاه الذي يسير إليه الزمن اليوم .

إنهم سيدركون أن استقلالهم الاقتصادي في إطار بلد واحد هو ضرب من الأوهام في العصر الحاضر .

فالرقعة الجغرافية العربية مع عدد سكانها ومساحاتها وما تنطوي عليه من خبرات ، قد تحقق شروط الكتلة المتكاملة (Autarcie) أي الشروط الأولية للاستقلال الاقتصادي .

فعلى طريق يؤدي إلى هذا الاستقلال ، ليست قضية البترول إلا مرحلة ؛ لكنها مرحلة ضرورية ، لأن مشكلة البترول وما يعلق بها من اعتبارات ملتهبة في الظروف الراهنة كفيلة بتحريك الضير في العالم العربي نحو وعي اقتصادي ، ينسجم مع التطور الراهن أكثر مما يحركه خطاب سياسي .

ثم إن هذه الخطوة تستطيع تصفية (الدهان) المستولي على البلدان المنتجة للبترول خشية أن تفقد عائداته .

وبذلك سوف تساعد هذه الخطوة على وضع الاقتصاد العربي على قواعد سليمة ، أكثر ملاءمة مع الاستقلال الاقتصادي ، لأن من يسعى لتحرير البترول في الخارج من ربة الاستعمار ، عليه أن يتحرر هو من ربة البترول في الداخل .

ثم ، لعل الحكومات العربية تفكر في اتخاذ تدابير بصدد نظام العملة ، إذا ماقررت اتخاذ غير الدولار الأمريكي وغير الجنيه الاسترليني في المبادلات الاقتصادية فيما بينها أو مع الخارج ، وحينئذ سيكون اختيارها في الميدان النقدي وسيلة تضاف إلى البترول من أجل الضغط على بلاد الأنجلوسكسون .

وإذا ما حولوا رصيدهم في البنوك الأنجلو أمريكية بقيته من الذهب ، فإن الدولار والجنيه الاسترليني سيتعرضان في القريب إلى الصعوبات في سوق العملة^(١) .

والكويت تستطيع أن تصبح (سيتي City) العربية لو شاءت ذلك في ظل هذه العملية ، بل إنها تستطيع أن تلعب الدور الذي لعبته (سيتي) في القرن التاسع عشر ، في استقلال الإمبراطورية البريطانية .

من هنا تبدو مرحلة البترول - أو جولة البترول كما سميناهما في العنوان - وهي تفضي إلى ملابسات مهمة إذا ما عرف العرب كيف يجتازونها .

ولا بد أن نكرر بأن اجتياز هذه المرحلة ، يتطلب من (المثالية) بقدر ما يتطلب من (الواقعية) للأسباب التي ذكرناها .

فإذا قدرنا الأشياء بمقياس (المثالية) عرفنا ما يتطلبه منا تحقيق ذلك من تقشف ووضحية .

وإذا قدرناها بمقياس من (الواقعية) عرفنا الشروط الفنية التي تجعل تحقيقها ممكناً .



(١) نذكر القارئ بأن هذه السطور كتبت في شهر تموز (يوليو) ١٩٦٧ .

شروط الإقلاع الاقتصادي

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٢٣ في
٢٢ أيار (مايو) سنة ١٩٦٧

إن الملتقى العربي الذي سينعقد في الجزائر هذا الأسبوع ، سيتناول في جدول أعماله الملابس الاقتصادية في البلدان المعنية .

وفي هذا الإطار نقرأ للسيد محمد الريفي (العضو في الوفد المراكشي) تأملات ، نشرها في العدد الأخير من هذه الصحيفة تضعنا في قلب الموضوع . فهو يقول « إنه بالنسبة للخطة الخمسية (المراكشية) لسنوات ١٩٦٠ - ١٩٦٤ فإن المخطط الثلاثي المقترح الذي أعد للفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٧ يمثل تراجعاً ورجوعاً إلى الوراء ، سواء من حيث تصوره العام أو من حيث الشروط المقررة لتنفيذه » .

إن الأستاذ (الريفي) يستحق الشكر كله على هذا الوضوح وإذن فالأمر بَيِّن ، فالتخطيط قد يؤول في حالٍ كالتي يشير إليها المثل السابق ، إلى ترك بعض المكاسب عوض أن يحقق مكاسب جديدة .

وليس من الإجحاف إذا ما وسعنا هذه الحقيقة إلى بلدان أخرى من العالم الثالث ، أعني تلك البلدان التي أرادت بعد استقلالها ، أن تضع خططاً اقتصادية لتنميتها فدعت من أجل ذلك مخططين بارعين كالدكتور (شاخت) مثلاً .

وعندما تبوء هذه المحاولات بالفشل ، فلا يجوز أن يشككنا فشلها في فكرة التخطيط ذاتها أو في أفكار من يقوم به .

فالتخطيط مظهر من مظاهر تعجيل خطا التاريخ في القرن العشرين ،
وهو مظهر يخص الميدان الاقتصادي .

إن فكرة التخطيط تعبر بالضبط ، في هذا الميدان ، عن رغبة بعض البلدان
أو بصورة أدق بعض المجتمعات التي أحست بتخلفها عن مجتمعات أخرى ، فصمت
على أن تتدارك تخلفها هذا ، بطرق فنية متسارعة .

فهذه - في جوهرها - فكرة التخطيط ، ونجاحها قد تأكد على الأقل في
بلدين من الكتلة الاشتراكية .

أما أفكار المخطط الخبير ، كالكتور (شاخت) مثلاً ، فهذه أفكار برهنت
على جدواها بما حققت ، في ظروف اجتماعية سياسية أخرى ، كذلك النجاح
الاقتصادي الكامل في ألمانيا خلال سنوات ١٩٣٣ - ١٩٣٩ .

وهنا تساءل : لماذا لا يعطي التخطيط النتائج نفسها في بلد أفروسيوي ؟
ولماذا تصبح أفكار المخطط عقيمة ؟ .

هنا تبدو القضية بأكملها .

ولقد كان من اليسير على مؤتمر باندونج في عام ١٩٥٥ أن يطرحها بهذا
الوضوح ، لما كان أمامه من تجارب سبقت في آسيا أو إفريقيا . وكان يستطيع ،
انطلاقاً من تلك التجارب ، (الدالة بسبب نتائجها السلبية ذاتها) تكوين
نظرية اقتصادية تطابق الواقع الأفروسيوي . إن علم الاقتصاد ، لم يبرز من
الأحداث الاقتصادية بعملية تجريد صرفة ، وفقاً للطريق الذي اتبعته الهندسة
عندما وضعت مسلمتها الأساسية . بل إنه ظهر إلى الوجود (بنظارات) وضعها
على عينيه على الرغم مما يدعيه أهله . ف (آدم سميث) قد وضع له (نظارتي)
المصلحة الفردية وحرية التصرف ، كما وضع له (ماركس) (نظارتي) التسيير
السلطاني والصراع الطبقي .

فلم يكن على مؤتمر باندونج أن يختارأي (النظارتين) أليق بالاقتصاد ، بل كان عليه أن يبحث عن طريق تنمية مع الشروط الخاصة بالبلدان الإفريقية الآسيوية في مرحلتها الراهنة .

على أن هذه البلدان سلكت مسلكاً كأنما هي لا تبحث عن أي (النظارتين) هي أصلح ، بل لتضع لاقتصادها سائر (النظارات) الموجودة .

فبعض البلدان وضعت مخططها طبقاً لاختيار اشتراكي من حيث الأهداف ، ثم حددت طرق التنفيذ طبقاً لمنهج رأسمالي من حيث الوسائل ، وفيما يتصل بقضية الاستثمار بوجه خاص .

وهكذا وضعوا آمال الجماهير المشروعة تحت رحمة مصالح أجنبية ، بسبب الوهم الذي كان لدى بعض المسؤولين ، « في إمكان عودة رؤوس الأموال الأجنبية بعد الاستقلال لاستثمارها » كما يشير إلى ذلك الأستاذ (محمد الريفي) .

كان على باندونج إذن ، في ضوء هذه السوابق المؤسفة ، أن يعيد الأشياء إلى مكانها ، والأفكار إلى مجراها القويم من أجل تحديد الأهداف والوسائل بطريقة تطابق شروط (الإقلاع) في العالم الثالث .

وكان عليه أن يستنير بأفكار تتصل بالموضوع ، من شأنها أن تدل ، على الأقل ، على الاتجاه العام الذي كان بالضبط مفقوداً لدى المؤتمر .

كان عليه أن يستنير على الأقل بفكرة قدمها (تيبور ماند) - مع أنه ليس من أهل الاختصاص - في كتاب له عندما قال : إن مشكلة التنمية في البلاد الأفروآسيوية في حاجة إلى عالم (الحياة الاجتماعي) أكثر منها إلى (مهندس الاجتماع) .

إن هذه الفكرة ليست في حد ذاتها هي الحل ، لكن دلالتها بالنسبة لبلد

يريد الإقلاع الاقتصادي ، هي أهم من مخطط وضعه اختصاصي ماهر ، لا يرى واقعاً إنسانياً له بعده الخاص في الحياة الاقتصادية .

إن فشل تجربة الدكتور (شاخ) في مخططاته خارج بلاده ، لدليل واضح على عجز (المهندس الاجتماعي) في معالجة بعض القضايا الاقتصادية .

ترى أي درس نستخلصه من فشله ؟

إن مخططاً ما يجب ألا تكون له هوامش لعب ، بعضها من ألعاب الرأسمالية ، وبعضها الآخر من ألعاب الماركسية .

فأي مشروع نفكر فيه بأفكار الآخرين ، ونحاول إنجازه بوسائل غيرهم معرض للفشل لا محالة .

والموضوع هنا في منتهى الوضوح بالنسبة لتحديد الهدف : إن هدفنا خلق شروط الإقلاع وهذه هي مشكلة التنمية في جوهرها .

ثم علينا أن نحدد بآية وسيلة سنبلغ ذلك الهدف . إذ ليس من مصلحتنا أن نستثمر بأي شيء :

فليس من المقبول أن نستثمر ما نرغب فيه ونريده حتى بالوسائل التي هي في يد الغير . بل علينا أن نستثمر ما نستطيع بالوسائل الموجودة فعلاً في أيدينا .

وإذن ، ماهي الوسائل التي في يد أي شعب في ساعة الصفر من إقلاعه ؟ إن ألمانيا - بعدما تعطلت تماماً سفينتها في نهاية الحرب العالمية الثانية - أفلعت بمقدار خمسة وأربعين (٤٥) ماركاً للرأس فقط .

لكن الاستثمار الحقيقي كان في رأس كل مواطن ألماني وفي عضلاته ، وبصورة أشمل وأدق كان في تصميم الشعب الألماني ، وفي التراب الألماني على الرغم من فقره ، وعلى الرغم من أنه كان محتلاً .

وفي الفترة نفسها - أي سنة ١٩٤٨ - يقلع بلد آسيوي (الصين) في ظروف أقسى بكثير بسبب رواسب أكبر لم يعانها الشعب الألماني ، فقد كان على الصين أن تخلق حتى رأساها الفكري ، بقطع النظر عن الفكرة الأيديولوجية التي تحركها .

إننا لنجد في تجربتنا ، في وضع اجتماعي اقتصادي شبيه بالذي تعرفه كل البلدان الأفروآسيوية ، الدرس الذي يفيدنا أكثر في معرفة الشروط الأولية للإقلاع .

بصورة عامة ، فوسائل أي بلد أفروآسيوي في المرحلة الراهنة من تطوره ، تصنف كما يلي :

١ - فلاحته وهي تنقص أو تزيد بدرجة وسائله البدائية .

٢ - ما يملك من مواد خام في السوق .

٣ - العمل المتوقع الذي يمكن تحويله إلى عمل واقع يعد بالساعات .

إن هذا هو سائر الرصيد الاقتصادي لوطن متخلف في ساعة الصفر من إقلاعه . وسائر العوامل الأخرى فهي إضافية : إذ كل قرض أو استثمار يأتي من الخارج لا يمكن أن يكون القاعدة التي يقوم عليها مخطط ما .

ومن ناحية أخرى ، فالاختيار ، أي النموذج الأيديولوجي إنما يؤثر في سرعة التنمية على وجه الخصوص .

فاختيار الاشتراكية ، مثلاً إذا ما احترمت سائر شروطها الأيديولوجية يؤثر في السرعة ، بسبب التسيير المفروض على وسائل الإنتاج .

أما إذا لم تحترم شروطها في مرحلة الصياغة ، بسبب هوامش مخالفة لجوهرها ، أو في مرحلة الإنجاز ، بسبب إرهابها بيروقراطية طفيلية ، فإنه لن

يكون لها التأثير على الأجهزة النفسية المتوقع تحريكها ، وهكذا تجمد الحركة ويستحيل الإقلاع .

وعليه ، فبقطع النظر عن الاختيار الأيديولوجي ، يجب اعتبار الوسائل الموجودة في حد ذاتها ، أي بتقديرها الاقتصادي البحت .

إن بلداً متخلفاً ليست لديه عملة ذات قيمة دولية يستطيع بها تجهيز صناعاته بالآلات الضرورية ، فإن عملته ، هي المادة الخام المصدرة إلى البلدان المصنعة ، ومنها ما يفيض عن استهلاكه من القمح أو الأرز ، أو ما ينتج من قطن أو جوت هالج .

هذه المواد هي مالمديه بوصفها وسيلة استثمار في الخطوة الأولى ، من أجل اقتناء ما يحتاجه في ميدان التصنيع . وتجربة الجزائر في تسويق الغاز وما لاقتنه من معوقات تدل على ضعف هذه العملة ، مادامت غير محصنة بالتدابير الضرورية من المناورات التي تحط من قيمتها الشرائية في السوق . وهذه الحصانة لا تتأتى إلا في نطاق سياسة اقتصادية موحدة بين بلدان العالم الثالث ، حتى لا يبقى ذريعة للمناورين يتنافسون في التخفيض بين أرز بورما وأرز مصر وبتروال الكويت وبتروال العراق .

وحيثما قدم للمؤتمر الأفروسيوي الثاني في القاهرة في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٧ اقتراح لتأسيس (مصرف للمواد الخام) رأينا بكل أسف هذا الاقتراح يمسح ، ويعدل ويصدر في النهاية في صورة اقتراح لتأسيس (مصرف للتنمية) - أي في صورة فكرة لا وسيلة لها - وهكذا لم يكن لهذا المصرف الخيالي أي أثر في التنمية .

هذا الفشل ليس سوى مثل لتوضيح (اللافعالية) التي تختلف درجاتها من وطن إلى آخر ، ولكنها تعم العالم الثالث كله - عدا الصين - ، فلم يحدث فيه إلى الآن تحويل العمل المتوقع إلى عمل واقع يقدر بالساعات .

ونلاحظ هنا أن القضية لا تتصل بفقر في الوسائل - لأن العمل هو الذي يخلقها - ولكن بفقر في الأفكار .

فمن أجل دفع الآلة الاجتماعية في الحركة ، أي من أجل تحقيق شروط الإقلاع ، يجب أن يقوم التخطيط على مسلة مدرجة كبدأ عام لكل تشريع اجتماعي اقتصادي ألا وهي : « كل الأفواه تستحق قوتها ، وكل السواعد يجب عليها العمل » .

فكل وطن متخلف يستطيع دفع عجلته على هذا الأساس الدستوري الذي يتكفل سائر الحقوق ، ويفرض جميع الواجبات . ويحقق بذلك الحركة الاجتماعية التي تتغلب على كل نوع من الركود .
فمن أجل تحقيق « الإقلاع » هذا هو الطريق .

☆ ☆ ☆

العمل والاستثمار

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٢٤ في
٢٩ أيار (مايو) سنة ١٩٦٧

إن الحدث الذي يوحى بهذه السطور وقع حوالي عام ١٩٥٦ ، حين كانت الصين وشبكة القيام بما سمته (الوثبة إلى الأمام) ، هكذا قررت سياسة الإسكان ، أو بعبارة أخرى تحديد النسل .

وعندما يقرر وطن - عدد سكانه أكثر من أي وطن آخر - تحديد نسبة زيادة السكان فلا غرابة في ذلك . هذا في الظاهر على الأقل ، لأن منحى التنمية يضع تلقائياً علاقة بين هذه الزيادة وحجم الاستثمار ، وهي علاقة عكسية : أي إذا زادت نسبة السكان نقصت نسبة الاستثمار على الرؤوس .
هكذا تقول الأرقام .

إنها القاعدة المتبعة في كل تخطيط كلاسيكي ، تفسر لعالم الاقتصاد التقليدي المهتم بصورة خاصة في العالم الثالث ، من بين ما تفسر ، الفشل النسبي الذي منيت به الهند بسبب زيادة السكان .

وهكذا لم يكن المشروع الصيني مخالفاً لمنطق الأرقام عندما قرر تحديد النسل ، من أجل تعديل منحى الإسكان ، لتكون بينه وبين مقتضيات الاستثمار النسبة المعينة .

لكننا رأينا حين التطبيق ، كيف دامت هذه النظرية « كما تدوم زهور
الورد ساعة صباح » . هكذا لم نرها تدوم في الواقع أكثر مما دامت نظرية (مئة
الزهرة)^(١) .

وإذا نحن استطعنا تفسير إلغاء النظرية الأخيرة ، بأسباب التقلبات
السياسية ، فإنه من الصعب أن نفرس ، بالطريقة نفسها ، إلغاء النظرية الأولى
(نظرية تحديد النسل) ، وهي نظرية اقتصادية لا تزال تحتفظ بقيمتها في رأي
علماء الاقتصاد في الغرب ، وحتى في بعض بلدان الشرق .

هكذا رأينا المسؤولين الصينيين يتراجعون عن نظرية تحديد النسل
ويتركونها إلى سياسة حرية النسل .

إن للحدث معنيين مهمين :

فهو يعني أولاً ، أن أي طريقة عمل نختارها ، لا يجوز لنا أن نضع منها
منديلاً على أعيننا ، يمنعنا من النظر : بل يجب علينا أن تكون لدينا دائماً القدرة
على إعادة النظر في أي لحظة نريد .

ومن ناحية أخرى فإن الحدث يفيدنا بأن المسؤولين الصينيين قد أعادوا
النظر فعلاً فيما قرروا ، وأنهم أدركوا بذلك طريقة أخرى جديدة للاستثمار .

هذا الجانب هو الذي يمثل جوهر موضوعنا ، مع أن التجربة تثرينا
بجانيها :

فنحن نرى أن المخطط الصيني يطرح المشكلة أولاً في صيغتها الكلاسيكية
التي تقول : إذا أردنا أن نزيد من نسبة الاستثمار ينبغي أن نحفظ نسبة زيادة
السكان .

(١) ظهرت هذه النظرية للوجود في فترة التأليف بين النزعات المختلفة في الصين ثم ألغيت .

ثم نراه في فترة وجيزة يغير موقفه تماماً في الموضوع : فيطلق العنان للنسل دون تخفيض في منحى التنمية .

بل على العكس من ذلك ، فقد ازدادت في الصين سرعة التنمية في تلك الفترة التي تسميها (الوثبة إلى الأمام) .

هل نستطيع من هنا أن نقرر أن التجربة قد دلت على عدم صحة النظرية العامة القائمة على الأرقام ، والتي تربط بين نسبة زيادة السكان ونسبة الاستثمار بعلاقة عكسية ؟ .

وهل نكون بذلك قد كذبنا الأرقام التي كان لها فعلاً ثقلها في تحديد منحى التنمية في أكثر من بلد من العالم الثالث ، حيث كان من الصعب تحقيق (شروط الإقلاع) بسبب تزايد السكان بالذات ؟ .

علينا أن نكون أقرب للمنطق فنجد إذن تفسيراً آخر . فالصين قد اكتشفت في نظريتها الثانية إلى الموضوع ، طريقة تعويض ، تعوض في مخطط الاستثمار الأثر السلبي لعامل السكان ، ذلك الأثر الذي فعل فعله في تجربة الهند .

وقد يهمننا أن ننكب على المشكلة لتفحصها عن كثب : فالمرحلتان اللتان مرت بهما التجربة الصينية تدلان على صورتين للاستثمار : الواحدة منهما على عكس الأخرى بل تنافيهما تماماً .

ولعلنا ، نبسط الأشياء من أجل الفهم ، إذا ما عرضناها في صورة جبرية ، تكشف أكثر سمات النظريتين :

(١) ففي الحالة الأولى سيكون العمل النتيجة النهائية للاستثمار ، في صورة عدد من الوظائف يخلقها الاستثمار .

(٢) أما في الحالة الثانية فالاستثمار هو نفسه نتيجة العمل مقدراً بساعات عمل (H. T.) .

وهكذا نرى أن طريقتي الاستثمار تختلفان اختلافاً جذرياً ، ليس من حيث مبدأ التخطيط فحسب ، بل من حيث سائر نتائجها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . فالاستثمار الأول يقوم أساساً على المال ، أما الثاني فهو يعتمد أساساً على الطاقات الاجتماعية .

والأول يتطلب غالباً وسائل مفقودة في البلاد المتخلفة ، فيلجأ إلى رؤوس الأموال الأجنبية ، وهي حين تأتي ، تفرض شروطها السياسية التي تعرض البلاد لمشكلات لاحل لها ، أو شروطاً فنية تجعل استثمارها دون جدوى ، كالقروض التي استثمرت في جنوب شرق آسيا في نطاق مشروع (كولومبو) .

إذ تأتي الأموال والقروض أولاً ، وتترك البلد الذي ينتظرها مكتوف اليدين مع مشروع معلق ، كمصر في سنوات ١٩٥٥ - ١٩٥٦ مع مشروع السد العالي المعلق .

هذا من الناحية السياسية .

أما من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، فالفوارق بين الطريقتين أعمق من ذلك بكثير . فالمجتمع الذي ينو على الطريقة الكلاسيكية للاستثمار ، لا يستفيد إلا من جزء من العمل المتوقع (وهو نسبة السواعد التي تعمل فعلاً) ، بينما يتحمل بالضرورة سائر الأفياء التي تأكل ، سواء منها من كان عاملاً أو من غير عمل ، وبذلك يتحمل بطالة لها أثر مزدوج : فهو يتحمل الشحاذة على نطاق واسع ، وهي طفيلية اجتماعية تزيد في الأعباء غير المنتجة على كاهل الوطن . إذ الأفياء الطفيلية تأكل على أية صورة كانت . ثم نتيجة أخرى لهذا الأثر هي هجرة العمل المتوقع (الذي تمثله السواعد المعطلة) ، والتحاقها بأي من الطاقات العاملة في الخارج ، وأحياناً تكون هذه الطاقات ذات كفاءة . وبذلك يصبح هذا المجتمع وكأنما يصدر للخارج ثروته الرئيسية : العمل .

حقى الأطر التي لم تشغل في نطاق الاستثمار الكلاسيكي فإنها تهاجر أحياناً .
من هنا ندرك السبب الذي يجعل البلدان التي تخطط ، مضطرة فيما يبدو لتحديد
النسل ، وذلك لتحديد عدد الأفواه الطفيلية والسواعد المعطلة ، دون أن يصرحوا
بهذه الحقيقة لاعتبارات أخرى .

أما المجتمع الذي ينو على أساس استثمار اجتماعي ، إذ تعمل السواعد كلها
وتأكل الأفواه كلها ، فإنه لا يجد نفسه معرضاً لتلك المناقضة الصارخة . فالأعضاء
غير المنتجة فيه تنحصر في أقل مقدار (الطفل والمريض والعجوز) أما بقية
السواعد فهي تعمل .

وهنا لا تبقى في الوطن ضرورة لتحديد النسل ، كما يكون متناسباً مع
الاستثمار ، كما هو الأمر في البلد الذي يخطط على أساس آخر .

والحاجة إلى تحديد النسل تذوب منذ النظرة الأولى في الاستثمار الاجتماعي ،
بل لعلنا إذا أعدنا النظر في القضية - وفي ضوء التجربة الصينية - سوف يتبين
على العكس أنه ربما يفيدنا أن نزيد في نسبة النسل ، في حدود لائقة بقدر
يتناسب مع مساحة الرقعة وغنى تراثها من ناحية ، ومع مرحلة النمو من ناحية
أخرى .

قطعاً ، فحين يصل الوطن إلى طور الآلية الشاملة (Automation) فقد
يكون من حقه أن يعيد النظر مرة أخرى في قضية النسل .

والواقع أن بلدان العالم الثالث مازالت بعيدة جداً عن هذا الطور ، وعليه
فإذا عدنا هنا لاعتبارات قدمناها في مقالنا السابق ، فلأننا أردنا أن نلح مرة
أخرى على مبدأ التخطيط الذي أشرنا إليه في صورة مسلمة : « يجب أن تأكل
الأفواه جميعها ويجب أن تعمل سائر السواعد » .

ولا نستطيع القول إن هذا الرأي يمتاز بالأصالة في صيغته . فالمدرسة الماركسية صاغته أيضاً في عبارة أخرى : « من كل حسب وسائله ، إلى كل حسب حاجاته » .

وإذا كانت الصيغتان لا تختلفان تقريباً من حيث المحتوى ، فإدراج هذا المحتوى في اطراد موضوعي للنمو الاقتصادي مع ما يستتبع من شروط فنية ، يختلف تماماً بين النظريتين .

فالنظرة الماركسية تضع هذا المبدأ في آخر الاطراد ، أو كما يقولون : عند ظهور المجتمع الشيوعي الذي يلي المجتمع الاشتراكي . وعليه يكون المبدأ ذا قيمة أخلاقية يتدخل خصوصاً في عملية التوزيع .

أما فيما نشير إليه ونلح فيه ، فإن المبدأ الذي أشرنا إليه يوضع في بداية الاطراد ، ليكون مبدأ فنياً في أساس التخطيط . وعلى ضوء ذلك لابد لتقنية التخطيط أن تتغير كلها لتكون مطابقة لذلك الأساس ، وبالتالي فإننا نقول : إن إطعام سائر الأفواه وتشغيل السواعد كافة في بلد متخلف ليس إلا وهماً ، إذا ما فكر هذا البلد في استثماره على أساس رأسمالي .

أما إذا فكر على أساس ماركسي فإنه مجرد أمنية حلوة .



اقتصاد القوت والتنمية

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٥٢ -
١٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٧

كان يسيراً أن يلقب القرن الثامن عشر لقباً واحداً يناسب طبيعته وهكذا سمي هذا القرن (قرن الأنوار) .

ولكن يبدو من العسير على المؤرخين أن يلقبوا قرننا هذا بتسمية واحدة لتنوع جوانبه الأساسية : فهو فعلاً متنوع في مظاهره العميقة ، إنه عهد الذرة ، وهو عهد الفضاء الذي يصرخ فيه أحد الرواد ، (جاجارين) ، بأنه لم يجد الله في جولته ، كأنما كان على موعد معه على بعد أربع مئة (٤٠٠) كيلومتر من الأرض .

وهو أيضاً عهد المساحات الكبرى المخططة التي تعطي لعالم الاجتماع فرصة ليلاحظ - من خلال نسق النمو في الصين أو في الاتحاد السوفييتي - سرعة تطور اجتماعي ، تختزل أربعة أو خمسة قرون من التطور العادي في مدى بضعة عقود من الحركة المنظمة .

هذا المظهر الأخير هو الذي يهم بصورة خاصة البلدان المتخلفة ، ويهمنا نحن في كل بلد عربي .

إن فكرة التخطيط تلازم ذهنية عصرنا ، فهي جزء لا يتجزأ من ثقافته ، لكن تطبيقها يفرض شروطاً تختلف من رقعة إلى أخرى أو حتى من وطن إلى آخر .

فبلاد كالولايات المتحدة حيث تحققت النسبة اللائقة بين عدد السكان والمساحات المنتجة أي بين الطاقات الاجتماعية وإمكانات التراب ، تستطيع غلق حدودها دون أن يخل ذلك بميزانيتها الاقتصادية .

إنها وحدة متكاملة (Autarcie) في حيز الطاقة ، تستطيع في كل لحظة أن تكون في حيز الوجود ، إذا ما فرضت عليها ظروف خارجية خاصة ، أن تستغني عن تجارتها مع الخارج ، فتقتصر حلقتها التجارية على الداخل فقط .

لكن فكرة التخطيط ، في هذه الرقعة ، لا تتصدى هنا لمشكلات الوجود ، فالقوت متوفر منذ الآن ، لكنها تتصدى لمشكلات القوة والهيمنة من أجل الحفاظ على توازن القوى في العالم ، كما يزعمون .

ففي رقعة كهذه ، تكون مهمة المخطط سهلة نسبياً ، لأنها تعني فقط بإيجاد أفضل استخدام للوسائل يتحقق به أقصى ما يمكن من القوة .

وفي رقعة أخرى ، كالاتحاد السوفييتي والصين في بداية إقلاعها ، كان على المخطط أن يواجه صنفين من المشكلات :

كان عليه أن يحل أولاً ، مشكلة القوت في وقتٍ يواجه فيه مشكلة القوة . إنما هو لن يستطيع حل الثانية إذا لم يحل الأولى قبلها .. يحلها على الأقل بصورة تدريجية .

وهذا يعني من الناحية النظرية ، أنه لا يمكن تحقيق اقتصاد تنمية ، بطريقة مستقلة عن اقتصاد متين لتحقيق القوت .

هذه الضرورة ، المفروضة بحكم الطبيعة على التخطيط ، كما رأيناها قد روعيت في بلدين كالصين والاتحاد السوفييتي ، وكـم يجب من باب أولى ، مراعاتها في البلدان المتخلفة .

ففي هذه البلدان ، لابد للتخطيط أن يعين ، بكل وضوح ، وسائل القوات ووسائل التنمية.

لكن الصلة بين الجانبين عضوية ووثيقة ، وأي حل نتخذه ، كنوع الاستثمار من أجل التنمية ، فإنه سيفرض الحل ، الحسن أو السيئ للمشكلة الأولى ، وربما فرض مع ذلك نتائج سياسية في بعض الحالات .

وكما سبق أن قلنا في غير هذا المكان ، فهناك نوعان من الاستثمار :

(١) الاستثمار الكلاسيكي بالوسائل المالية .

(٢) الاستثمار الاجتماعي لسائر الطاقات البشرية ، سائر موارد التراب ، وما تحت التراب أو الركاز كما يقول الفقهاء .

علينا إذن للتمييز بين النوعين ، أن نقدر فعالية الأولى بالنسبة لوطن واحد (ومن أجل التبسيط) ، وفي إحدى مهامه فقط ، في الجزائر مثلاً ، فيما يتصل على الأقل بالتشغيل الجزئي لليد العاملة فيها . وزيادة في التبسيط سنقدر مهمتها فقط بالنسبة لعودة سبع مئة ألف من أبنائها الموجودين في أوروبا الآن ، مع ضمان تشغيلهم في بلادهم .

وثمة ملاحظة أولى في هذا الصدد : إن تصدير فوج كهذا من السواعد إلى الخارج ، يمثل نزيفاً للطاقة الاجتماعية للبلاد المصدرة ، دون أن نضيف إلى هذا التصدير ، نبرة المأساة التي يعيشها أكثر من نصف مليون جزائري، تلقي بهم الحياة في الصعوبات وعدم الاستقرار ، كما يعرف هذا من شاهد ظروف العمل القاسية التي تفرض على هؤلاء العمال .

فاسترجاع هذا الفوج ، مهمة ذات مغزى كبير من الناحية الوطنية والاقتصادية والإنسانية .

ولنطرح الآن المشكلة من الناحية النفسية : فكم يكون مبلغ الاستثمار المالي الكفيل بإنجاز مهمة كهذه ، أي إيجاد سبع مئة ألف وظيفة ؟ .

إن الأرقام هي التي تجيب على هذا السؤال : فنحن نعلم أن الميزانية الجزائرية رصدت تقريباً مئتي مليار من الفرنكات القديمة تقريباً ، لتشيد بعناية مركب الحديد والصلب لإيجاد - حسب التقديرات الرسمية - نحو خمسة آلاف وظيفة .

وعليه يتطلب إنجاز مهمة واحدة كهذه - أي إرجاع الجزائريين الذين يعملون في الخارج - مبلغاً قدره ثمانية وعشرون ألف مليار من الفرنكات القديمة تقريباً .

هذا الرقم وحده ، يوضح بأن التخطيط والاستثمار على الطريقة الكلاسيكية - أي بوسائل المال - يجعل مهمة جزئية فوق استطاعة الوطن .

وهذه الحقيقة ستكون أكثر وضوحاً لو قدرنا المشكلة بكاملها ولم تقتصر على جزئية من جزئياتها .

فاختيار الطريقة الكلاسيكية للاستثمار يقودنا حتماً إلى مأزق اقتصادي أولاً ، ثم إنه سيضع خطة تنميتها تحت رحمة رأس مال أجنبي بالضرورة ، قد يتوفر لنا أو لا يتوفر ، ثم إنه يفرض علينا قيوداً لا تقدر مسبقاً ثقلها على الصعيد السياسي .

فأمام احتمالات كهذه نستطيع قطعاً اتباع نظرية الاقتصاد الكلاسيكية لـ (آدم سميث) ، حين وضع مبدأه (اتركوه يعمل ، اتركوه يسير) فوضع معه في الوقت نفسه سياسة النعامة التي تغرس رأسها في الرمل عندما ترى خطراً محدقاً بها .

وهو يعني في وطن كالجزائر ، أن نترك الأشياء تسير وحدها ، بخطوة السلحفاة في عصر الفضاء .

أما إذا انتهجنا الطريق الآخر للاستثمار ، فإن علينا أن نحدد مبادئه ومسلماته ، فزاعيا ونزاعيا نتائجها في تخطيطنا .

وينبغي أن تأخذ أولاً كلمة (تخطيط) ضبطاً أكبر ووضوحاً أجلى في مصطلحنا التقني ، فليس التخطيط أن نضع ، الواحد تلو الآخر ، أجزاءً متفرقة ومختلفة ، تاركين للصدفة ولحسن الحظ أن يتلقاها في مركب نسبي (التنية) .

هذا من حيث المصطلح ، ففيه لكل كلمة قدرة على تحديد نظرية أو سياسة اقتصادية لها فعاليتها في النتيجة .

أما المبادئ والمسلمات الخاصة بالاستثمار الاجتماعي فهما اثنتان :

١ - يجب القوت لكل فم .

٢ - يجب العمل لكل ساعد .

وعليه فالقضية ليست بالنسبة للبلد الواحد في تشغيل جزء من السواعد ، كسواعد العمال الجزائريين العائدين من الخارج ، بل ينبغي تشغيل السواعد كلها التي تمثل الرصيد الحقيقي للوطن بأجمعه في لحظة الصفر من إقلاعه .

وهذا الثمن فقط نستطيع دفع عجلة التنية في الوطن .

والمسألة الأولى (القوت لكل فم) تفرض منذ اللحظة الأولى شروطاً على الثانية لتطبيقها ، إذ نحن لن نستطيع تشغيل السواعد كلها إذا لم نأخذ على عاتقنا إطعام الأفواه جميعها .

هكذا يتبين الربط العضوي بين اقتصاد القوت واقتصاد التنية .

لقد عاشت الصين الشعبية مع الثورة الثقافية ، تجربة تفيدنا في هذا الصدد من ناحيتين ، فالمعارضون لـ (ماوتسي تونج) قاموا بمحاولة تعطيل لاقتصاد

التنمية ، بيث الفوضى في اقتصاد القوت ، فبذروا الاحتياطي من الغذاء بتوزيع يرضي العمال في حاجتهم العاجلة ويحطم مصلحتهم الآجلة .

لكن المسؤولين ما لبثوا أن أدركوا بسرعة هذا التخريب وأطلقوا عليه مصطلحاً جديداً (الاقتصادانية)^(١) .

وكان التخريب المسمى بهذه التسمية موجهاً لتخدير الوعي الثوري لدى العمال الذين لم ينخدعوا ، وموجهاً لإحباط الجهد الجبار المبذول في الوطن من أجل التنمية .

هكذا نلص الرباط الحيوي بين اقتصاد القوت واقتصاد التنمية ، في بلد اختار بالضبط طريقة الاستثمار الاجتماعي مع مسلمتيه الأساسيتين .

ولا نرى ، في الحالة الراهنة ، طريقة ثالثة لرسم خطة تنمية للبلدان النامية ؛ إنما اختيار أي الطريقتين يفرض نتائجها بأكملها ، خصوصاً في تخطيط العمل والتوزيع ، إذ لكي نحرك السواعد كلها لابد أن نوفر القوت لسائر الأفراد .

وذلك يعني في المخطط أولاً ، إنتاج أقصى ما يمكن من الغذاء ، لتوزيعه على أليق صورة ، بين ما يخزن للاستهلاك وما يوفر للتصدير في نطاق مقتضيات التنمية .

وها نحن أولاء نجد مرة أخرى في الصين المثل الذي يوضح هذه الخطة ، إذ القطاع الزراعي فيها قدم وحده وسائل اقتصاد التنمية ، بالإضافة إلى وسائل اقتصاد القوت .

لقد قدم القطاع الزراعي وحده ، على الأقل في العقد الذي تلا عام ١٩٤٨ ،

(١) ترجمنا بهذه الكلمة المنتحلة لفظة Economisme وهي أيضاً منتحلة من كلمة Economie أي الاقتصاد للتعبير عن الإغراء بوسائل الاقتصاد .

الوسائل التي أتاحت للصين أن تواجه راشدة سائر مشكلات الوجود (القوت) ، وأن ترسي بنجاح القواعد التي تجعلها دولة قوية . إنها البلد الوحيد في العالم الثالث الذي استطاع أن يستثمر ٢٠٪ من دخله السنوي العام في تجهيز صناعته ، وذلك بفضل قطاعه الزراعي .

والواقع أن مجمل البلدان المتخلفة أصبحت تعيش بشظف . وهي مازال تعيش على أي حال من قطاعها الزراعي ، بينما نرى إنتاجها الزراعي قد انخفض منذ استقلالها ، أي أصبح لا يعنى بضرورات القوت ، ومن باب أولى لا يعنى بضرورات التنمية .

إن شروط التسويق ، المهين عليها المال ، لا تسمح أيضاً برفع ميزانية البلدان المتخلفة من أجل التصنيع ، ولا تستطيع الواحدة منها أن تكون داخل حدودها سوقاً مستقلة ، إنما تستطيع على الأقل تحرير قوتها من شروط الخارج .

لا بد إذن من وضع اقتصاد القوت فوق سائر تقلبات السوق في الخارج ، وكذلك مناورات البورصات ، وعليه لا بد أن يوضع مخططه في صورة حلقة مغلقة لا تؤثر عليها العوامل الخارجية ، ولتحقيق هذا الهدف لا بد من تجنب استهلاك بعض الأنواع من الغذاء المستوردة من الخارج ، كالشوكولاته من النوع الفاخر وسمن النورماندي والويسكي الايكوسي .

ولا بد أن يكون هذا التخطيط الغذائي في صورة (أوترشي Autarcie) صغيرة جدية ، على الأقل ، بتحقيق قوت الأفواه جميعها .

لا بد لكل وطن متخلف أن ينظم أولاً قطاعه الزراعي ، حتى يقوت سائر الأفواه ويشغل بالتدريج كل ساعد .

إننا ننتظر نيران الأفراح تعلن أن البلدان الإسلامية تسير على هذا الطريق .

نشري أم نصنع

عن (الثورة الإفريقية) عدد ٢٦٠ في
٨ شباط (فبراير) ١٩٦٨

نشرت جريدة (الجزائر والأحداث) مقالاً يتعلق بتحديد النسل ، فقدّمته
إلى قرائها بتعليق تناولته بعض السطور .

إنه لا يهمني في هذا التقديم ، ما لا يخصني كذكر (الضرورة الاقتصادية)
بوصفها مسوغاً لتحديد النسل في نظر (الغزالي) ، مع أنني أعتقد أن تحميل
صاحب (إحياء علوم الدين) مثل هذا التسويغ في قضية (العزل) إنما هو تعدي
على حقيقة شخصيته وزمانه .

ولقد أراد صاحب السطور أن يلمح إلى بعض ماقلته في إطار تحديد النسل
والاقتصاد موضعاً سطحياً من يعزو التخلف بصورة خاصة إلى كثرة السكان .
وهكذا يتناول التعليق هذا الرأي فيعقب عليه بأننا في ذلك قد حاولنا أن نحيط
النظرية (الملتوسيه)^(١) بالشكوك ، بينما أحطتها بالوضوح كله معتمداً على
إحصائيات وتجارب واقعية ، في بيان خطئها .

وإني لأعترف لصاحب السطور هذه ، بأنه لم يجعل رأبي في الموضوع كله
(شكوكاً) ، بل إنه تفضل وترك له نصيباً من الصحة والصواب . إنما هو قد
حصر هذا النصيب فيما أسماه (الظاهرة اليابانية) و (الظاهرة الصينية) .

ولقد ركز فعلاً حالتي الصين واليابان ، لا على أنها حالتنا شذوذ كما يوعز قلمه

(١) (ملتوس) هو صاحب نظرية تحديد النسل ، وقد وضعها في القرن الماضي .

بذلك ، ولكن على أنها دلالتان بينتان على واقع ذي أهمية كبرى ، في التدليل
الفصل على أن الحياة الاقتصادية بالمعنى العضوي لها (ذاتيتها) ، وأنها تحتفظ بها
في نظم أيديولوجية مختلفة أو حتى متباينة .

لكن لصاحب السطور في (الجزائر والأحداث) الفضل على أية حال ، فقد
أعطاني فرصة لمزيد من التوضيح والإدلاء بمزيد من الآراء فيما يتعلق بذاتية
الظاهرة الاقتصادية .

لقد أطلقت الصين في البحر ، منذ بضعة أسابيع ، أول سفينة للاتصال
البعيد ، صنعتها كلها إحدى ترساناتها وأسمتها (دنج فيند) ، وقد انتهزت
الصحافة الصينية هذه المناسبة ، للإشادة مرة أخرى بانتصارات الثورة الثقافية ،
وهاجمت المثبطين والمتوجسين وفندت مزاعمهم .

، وهكذا خصصت صحيفة نقداً شديداً للخط السياسي الذي « يدفع إلى شراء
أو استئجار البواخر عوض صنعها » .

وليس لنا هنا ، أن نعد هذا النقد من وجهة النظر الأيديولوجية كما فعلت
الصحيفة ، ولكن من الناحية الاقتصادية الصرفة .

ولعلنا نفاجئ الكثير من إخواننا ، إذا قلنا لهم إن الولايات المتحدة - وهي
أغنى دولة - لا تستطيع إذا حطم زلزال عنيف إحدى مدنها الكبرى (شراها)
من جديد لتعيد بناءها .

فأميركا الغنية لا تستطيع فعلاً ، بما لديها الآن من رصيد الذهب ، وهو
تقريباً أربعة عشر ملياراً من الدولارات ، أن تدفع لمقاول - أنجز إعادة بناء
مدينة كنيويورك مثلاً بكل مرافقها السكنية والصناعية - ثمن مقاولته عيناً .

إذن لا بد أن نتصور غرور المسكين الذي يتقدم لمقاولة كهذه . ومع ذلك

فلن نرى عجباً في وجوه إخواننا - الذين فاجأناهم بمثلنا هذا - إذا قلنا لهم إن الولايات المتحدة قد قررت - وليكن لأسباب استراتيجية - بناء مئة نيويورك (تحت الأرض) لتجمع فيها السكان في حال حرب نووية .

فالوطن الذي كانت له الجرأة ، منذ أكثر من نصف قرن ، ليقدم على إنجاز المشروع الضخم المسمى (مشروع مجرى التينسي) ، لقادر اليوم على إنجاز أي مشروع في الحجم الذي قدرناه (بمئة نيويورك) تقديراً يشبه الخيال .

لكنه ليس في تقديرنا أي خيال ، وخصوصاً حين نلاحظ أن إعادة بناء سائر مدن ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وكذلك إعادة بناء هيروشيما ونجازاكي في اليابان ، قد تم في صميم الواقع في القرن العشرين بعيداً عن الخيال .

هذا بينما لا تتصور أنه كان في استطاعة ألمانيا واليابان (شراء) مدنها المحطمة ودفع ثمنها عيناً : فمن أين توافر لهاتين الدولتين ذلك كله في وقت كانتا فيه محطمتين وقد فقدتا كل قوة شرائية في السوق العالمية ؟ .

ليس في هذا كله عجب ، بل إننا نستطيع التدليل بدلائل أخرى كظهور الاتحاد السوفيتي من العدم . ولئن دل ذلك على شيء ، فعلى أن عقول الناس تميز ، تمييزاً طبيعياً إلى حد ما ، بين (قوة الشراء) و (قوة العمل) في مجتمع ما .

ولهذا التمييز أهمية كبرى بالنسبة للبلدان المتخلفة ، لأنه يجعلها تدرك ، إن شاءت ، الفرق الجوهرى بين الاستثمار المالى الكلاسيكي الذي يعتمد منذ الخطوة الأولى على (قوة الشراء) ، والاستثمار الاجتماعى الذي يعتمد أساساً على (قوة العمل) .

ولاشك ، بأن الصعوبات التي لاقتها هذه البلدان أو الفشل الذي منيت به ، بعد الحرب العالمية الثانية ، قد كان مرجعها إلى خلط وعدم وضوح في الأفكار في هذا الصدد .

إن (قوة الشراء) كانت فعلاً ضعيفة لدى هذه البلدان أو هي تساوي صفرًا في السوق العالمية ، فإذا وضعت مخططاتهم بالتقديرات النقدية وليس منها في أيديهم شيء ، فإن (إقلاعهم) سيصبح مستحيلًا ، وستكون خطواتهم في هذا الاتجاه مجرد تيه يعرضهم لخيبة أمل تارة ، ولفشل أخرى ، وأحياناً لتورطات سياسية على حساب سيادتهم .

وقد يحدث أيضاً لبعض البلدان من العالم الثالث ، أن تعلن على الصعيد السياسي موقفها الاشتراكي ، ولكن دون رؤية واضحة لمستلزمات هذا الموقف على الصعيد الاقتصادي ، فزاهم ينهجون في مخططاتهم منهج من يعتمد على (قوة الشراء) المفقودة بين أيديهم ، فتصبح مخططاتهم خاضعة لتبعية مالية تعطل إنجازها .

وطالما لم تتوضح فكرة الاستثمار في تلك البلدان ، وتبقى فيها خاضعة لسلطان المال ، فإنها - مهما كان مبدؤها السياسي - لن تكتشف قدرتها الاقتصادية الحقيقية .

والمشكلة هذه التي تفرض شرطاً مسبقاً على مشروعات تلك البلدان ، ليست في الواقع من الصنف الاقتصادي بالمعنى الضيق لهذه الكلمة ، ولكنها - قبل ذلك - مشكلة نفسية ثقافية ، أو بعبارة أخرى هي من الصنف الأيديولوجي مع توسيع معنى هذه الكلمة . فهذه البلاد تعيش نتائج صدمة ثقافية تحرمها من حرية التصرف في أكثر من ميدان .

ففي الميدان الاقتصادي يجب عليها أن تكتشف قدرتها الحقيقية ، التي لا توجد على محور (القدرة المالية) ، ولكن على محور (القدرة الاجتماعية) .

وطالما لم تقم البلدان المعنية بهذه الخطوة من أجل تحريرها النفسي - الثقافي ، فإن تحريرها الاقتصادي يصعب أو يستحيل .. وهكذا يصبح بعضها

الغني يموت جوعاً ، لأنه لا يحسن التصرف بما آتاه الله من قدرة ، بينما هذه القدرة عظيمة جداً في العالم الثالث ، شريطة أن يحولها من حيز القوة إلى حيز العمل .
ولا يمكن ذلك إلا بتحقيق سائر شروط التحويل ، كما تحققت في الاتحاد السوفيتي حوالي سنة ١٩٢٨ ، وفي الصين عام ١٩٤٨ .

ولسنا نفترض هنا ، بذكر هذين المثالين ، اختياراً أيديولوجياً معيناً . فالاقتصاد له قوانينه الذاتية - كما ذكرنا ونكرر - وعلى ضوء ذلك لا يمكن القول إن ثمة (ظاهرة يابانية) من ناحية ، و (ظاهرة صينية) من ناحية أخرى ، وإنما هنالك (ظاهرة اقتصادية) واحدة تحققت ، طبقاً لشروط ذاتية ، في بلدين تختلف أيديولوجيتهما اختلافاً مطلقاً .

وللاقتصاد تاريخه أيضاً : فالعصر الصناعي لم يبدأ في ألمانيا في القرن التاسع عشر على أساس شيء يسمى مشروع (مرشال)^(١) أو على قاعدة أيديولوجية معينة .

لعله كان (للاستثمار المالي) أثر (كحفنة سيروم تقوي جهازاً لازال ضعيفاً) في النهضة الصناعية ، التي قامت في الاتحاد السوفيتي بعد ثورة ١٩١٧ ، مهما كان في هذا الاحتمال من ضعف بعد أن أعلنت الثورة إلغاء سائر القروض الأجنبية ، ولكن الأمر الذي لا جدال فيه هو أن (الاستثمار الاجتماعي) قد حقق ماسماه لينين (الاقتصاد الجديد NEP) ، وهو الذي شيد العملاق السوفيتي .

وإنه الاضطراب نفسه يتكرر اليوم في الصين بسرعة مذهلة .

(١) إن نشر هذه الآراء أوجد رد فعل في جبهات معينة نسيها (جبهات الصراع الفكري) ، فأطلقت أقلامها وأبواقها المأجورة للرد المستر علينا بأن مشروع (مرشال) هو الذي سمح لألمانيا بنهضتها الاقتصادية الحالية ، ولكن هل كان (مرشال) في القرن الماضي !

وعلى العكس من ذلك ، فإن (الاستثمار المالي) لا يستطيع أن يحل مشكلات البلدان المتخلفة لا كماً ولا كيفاً .

إنه لا يحلها كماً ، لأنه - مهما تواضعت التقديرات - لا يكون أبداً في مستوى الحاجات الحقيقية .

ومن ناحية الكيف لأن (قدرته) تصاب منذ الخطوة الأولى ، بعيب منحه بصفته قرضاً خاضعاً لشروط توجهه غالباً مصالح صاحب المال ، سواء للخدمة أغراض استراتيجية أو لتثنيق سمعته .

فـ (النقطة الرابعة) على سبيل المثال ، لم يكن لها أي تأثير في البلدان المتخلفة ، سوى أنها أتاحت لعدد كبير من الأجانب إقامة سياحية طويلة وممتعة ، بصفته مستشارين في تلك البلدان ، ولم يستفد منهم من أهالي الوطن سوى بعض (البقالين) ليمنوهم ، أو بعض المقربين إليهم من المثقفين المحليين .

وهكذا كانت (النقطة الرابعة) حقنة السيروم أعطيت للتقوية ، إنما لم يستفد منها من حقن بها ، لأن جرعتها بالنسبة لوهنه الكبير كانت قليلة ، ثم لسوء حقنها كذلك .

وقد يحدث أحياناً أن (الاستثمار المالي) يصاب أيضاً بعيب من يستغله ، فيستعمله في أبواب تافهة : كنصب تمثال من ذهب لزعيم في عاصمة من عواصم العالم الثالث ، أو في أمر تافه آخر .

إنه ليس للبلدان المتخلفة سوى طريق واحد للخروج من المأزق الاقتصادي ، دون اللجوء إلى تلك التفسيرات التي تعزو التخلف إلى (التفجر السكاني) التي بينا سطحياتها فيما سبق .

هذا الطريق ما هو إلا (الاستثمار الاجتماعي) وفقاً للشروط التي ذكرناها

أكثر من مرة ، أي - بعبارة مختصرة - تلك الشروط التي تحول سائر العوامل الاقتصادية من حيز القوة والسكون إلى حيز العمل والحركة .

والعالم الثالث في حاجة ، من أجل إقلاعه ، إلى دفعة كفيلة بأن تخلصه من سائر أصناف الجمود ، ولعله بصورة خاصة في حاجة في الميدان الاقتصادي إلى نظرية جديدة .

ولا بأس إذا ذكرنا هنا أن (مؤتمر ٧٧) الذي انعقد بالجزائر قبل مؤتمر نيودلهي مر بالمشكلة مر الكرام . وكذلك المؤتمر الذي انعقد بالقاهرة عام ١٩٥٧ . ويبقى أماننا أن حل هذه المشكلة ، هو الذي سيعطي الإشارة الخضراء الحقيقية للإقلاع في العالم الثالث ، ولن يتحقق ذلك إلا ضمن تغيير جذري في طيات النفوس .

فالتنمية لا تُشتري من الخارج بعملة أجنبية ، غير موجودة في خزينتنا . فهناك قيم أخلاقية واجتماعية وثقافية لا تُستورد ، وعلى المجتمع الذي يحتاجها أن يلدّها .

والتنمية من تلك القيم ، إنها لا تستورد بل تصنع في المكان نفسه كالباخرة التي أطلقتها الصين في البحر هذه الأيام .

وإذا بدا تزايد السكان في بلاد متخلفة كارثة ، مثل كارثة زحف الجراد على أرض ذات زراعة ومرعى ، فإنما ذلك لسبب واحد هو أن التخلف الاقتصادي مبطن بتخلف ذهني .

وإذا كان يخشى في وطن كهذا أن تزيد فيه البطالة ، بينا كل شيء فيه ينتظر الإنجاز ، فذلك دليل على أنه يعاني أولاً بطالة العقول التي تحجم عن السير ، وتقف أمام الإشارة الحمراء التي تضعها في طريقها فكرة (الاستثمار المالي) .

إن وطناً متخلفاً لابد له أن يستثمر سائر مافيه من طاقات . يستثمر عقوله وسواعده ودقائقه كافة ، وكل شبر من ترابه ، فتلك هي العجلة الضخمة التي يجب دفعها لإنشاء حركة اجتماعية واستمرار تلك الحركة .

وعند ذلك فقط ، إذا جاء من الخارج نصيب يضاف إلى الاستثمار العام ، فإنه قد يكون حقنة تزيد في قوة جسم تكونت قوته من ذاته ، حين اكتشاف قوته الاقتصادية الحقيقية .

☆ ☆ ☆

الفصل السادس في الصراع الفكري

خاتمة

لو كان لابد من خاتمة لهذا الكتاب ، لرأيت أن أخصصها لفصل (الصراع الفكري) ، لأن هذا الصراع ما احتدم يوماً ، في التاريخ على العموم وفي العالم الإسلامي على وجه الخصوص ، كما نراه اليوم .

إن أمهات القضايا التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم ، هي من صناعة التاريخ . لكن عثراته فيها سواء في حياته الداخلية ، أو في الحياة الدولية بوجه خاص ، هي من صنع نفسه ، أو إذا أردنا أكثر دقة ، قلنا إنها من صناعة أعدائه ، ومن جهله المطبق بتقنية هذه الصناعة مع إسهام بعض أبنائه فيها بوصفهم مرتزقة .

إنني لا أريد الدخول في تفاصيل موضوع شائك ، خصصت له ، منذ أكثر من عشر سنوات كتاباً هو (الصراع الفكري) ، وأعتقد أنه الآن في حاجة إلى تكملة عريضة في ضوء التجارب الجديدة التي مر بها - ويمر بها - الوطن العربي بعد الاستقلال .

إنما حسبي هنا أن أقول كلمتين خلاصة لخبرتي في الموضوع :

أولاً : إن الصراع الفكري ، تجري عليه قاعدة الشيء المركب من أشياء .

فإذا أجرينا على تركيبه عملية تحليل ، وجدنا فيه عناصر تعود إلى الاستعمار وأخرى تعود إلى القابلية للاستعمار .

لكن إذا تتبعنا العناصر هذه كلها ، في نطاق عملها في حياة المجتمع الإسلامي ، فسوف نجد أن العناصر الأولى لا تؤثر ، ولا تستطيع التأثير ، إذا لم تساعدنا (القابلية للاستعمار) .

وبعبارة أخرى ، فالاستعمار وحده لا يستطيع شيئاً !

ثانياً : ثم إذا نظرنا في الصراع الفكري من الزاوية الأخلاقية ، نراه يحتوي على : دهاء ، مكر ، خداع ، نهم ، شراسة ، دناءة ، سفالة ، نجاسة ، خبث ، خيانة .

وإذا أردنا ، بعد ذلك ، توزيع هذه العناصر توزيعاً منصفاً حسب مصدرها ، فسنجد الدهاء ، والمكر ، والخداع ، والنهم ، والشراسة من نصيب الاستعمار لا ينازعه في هذه الفضائل أحد .

أما قرينته الشمطاء - القابلية للاستعمار - فحصتها الدناءة والسفالة والنجاسة والخبث والخيانة .

والآن ، فإذا سمح لي أن أعلق على هذه الحقيقة بشيء من تجربتي الشخصية بصفتي كاتباً ، أقول : إنه ما أصابني الاستعمار بأذى يعطل نشاطي ، إلا عن طريق هيئة دينية إسلامية ، أو سلطة في بلاد عربية .

أما أنت أيها القارئ الكريم فحسبك إذا قرأت في هذا الكتاب (جولة البترول العربي) أن تتذكر موقف بعض الدول في قضية البترول ، فعساك ترى الصراع الفكري في أبشع صوره .

باريس ٨ / ٨ / ١٩٧٢

المسارد

- ١ - مسرد الآيات القرآنية
- ٢ - مسرد الأحاديث النبوية
- ٣ - مسرد الأعلام (يشمل الأشخاص والدول والأمكنة)
- ٤ - مسرد المذاهب والجماعات والشعوب
- ٥ - مسرد المعاهدات والمؤتمرات والمنظمات
- ٦ - مسرد المراجع والمصادر
- ٧ - مسرد الموضوعات

١ - مسرد الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة التوبة (٩)		
﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ﴾ .	٤٧	١٥
سورة الرعد (١٣)		
﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .	١٢	٥٤ ، ٩
سورة الإسراء (١٧)		
﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ .	٧٠	٢٥

٢ - مسرد الأحاديث النبوية

الصفحة

الحديث

« أ »

- « إنما هي أعمالكم تُردّ إليكم ، كما تكونوا يُؤلّ عليكم » [في صحيح مسلم ١٩٩٤/٤ ، ١٤٩ ، ٦٨ ، ٤٠]
- كتاب البر- باب تحريم الظلم - الحديث ٢٥٧٧ « إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم إياها » ولم نعثر على نفس النص الوارد إنما هي أعمالكم ترد إليكم .
أما الحديث الثاني : « كما تكونوا يول عليكم » فهو حديث ضعيف ، كشف الخفاء ١٢٦/٢ ، والمقاصد الحسنة للسخاوي ٣٢٦ والرواية فيه « كما تكونون » [٦٦
« إياك وخضراء الدمن » [الحديث « إياكم وخضراء الدمن ، فقل : ما خضراء
الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء » . رواه السدرا قطني في الأفراد
والرامهرمزي في الأمثال وانظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي - المجلد الثاني -
ج ١٣٢/٤ متسلسل ٧٢٤ طبعة ثانية دار الفكر ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م] .

« ع »

- « عُدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » [كنز العمال ٤٣٠/٤ الحديث ١١٢٦٠ ، ١١٣
و ٦١٦/٤ الحديث ١١٧٧٩]

« م »

- « من كانت بيده غرسة يريد غرسها وقامت الساعة فليغرسها » [في مجمع
الزوائد ٦٢/٤ ورد الحديث بلفظ « إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة (أي نخلة
صغيرة) فليغرسها » رواه الزار]

« و »

- « والله ليتمنّ هذا الأمر حتى تسير الطعينة من مكة إلى صنعاء . وعلى رأسها ٦٤

الحديث

الصفحة

طبق من ذهب لا تخشى إلا غائلة الذئب» [في صحيح البخاري ١٣٢٢/٣ كتاب المناقب الحديث ٣٤١٦، و١٣٩٨/٣ كتاب فضائل الصحابة الحديث ٣٦٣٩، و٢٥٤٦/٦ كتاب الإكراه الحديث ٦٥٤٤ ما يقرب من المعنى، طبعة أولى دار القلم بيروت ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م. وانظر السيرة النبوية لابن كثير ٤٩٦/١ طبعة ثانية دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م. وانظر أيضاً البداية والنهاية لابن كثير ٦٠/٣ طبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م]

«ي»

٢٦ حديث عن حكيم بن حزام حين سأل رسول الله (ﷺ) أن يعطيه فأعطاه ثم قال له : « يا حكيم إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاء نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باستشراف نفس لم يُبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى » [صحيح البخاري ٥٣٥/٢ كتاب الزكاة الحديث ١٤٠٣، و١٠١٠/٣ كتاب الوصايا الحديث ٢٥٩٩، و١١٤٥/٣ كتاب الخمس - الحديث ٢٩٧٤، و٢٣٦٥/٥ - ٢٣٦٦ كتاب الرقاق - الحديث ٦٠٧٦ طبعة أولى دار القلم بيروت ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م. صحيح مسلم ٧١٧/٢ كتاب الزكاة الحديث ١٠٣٥ طبعة ثانية دار الفكر بيروت ٣٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م. وسنن النسائي ٦٠/٥]

٣ - مسرد الأعلام (يشمل الأشخاص والدول والأمكنة)

إنجلترا ٣١، ٩٩، ١٤٢	« أ »
أنجولا ١٤٠	آدم سميث ١٧٠، ١٨٥
أوراس (جبال) ٢٦، ٢٨	إبراهيم لنكولن ٨٣، ٩٧
أوغست كونت ٧٣، ٧٧	ابن خلدون ح ٨٩ ^(١)
إيران ١١٥	ابن كثير ح ١١٣
أييس (برقية) ٣٤	أبو بكر (رضي الله عنه) ١٦، ٢٦، ٦١
إينشتين ٧٦	أبو ذر الغفاري ٦١
« ب »	أبو سفيان ٦١
بابل (برج) ٩٥	الاتحاد السوفييتي ٨، ٢١، ٦٧، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٢
باتيستا (حكم كوبا قبل كاسترو) ٢٥	١٨٣، ١٩١، ١٩٣
باريس ١٤، ٤١، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٢	أثينة ٧٥، ٩٠
١٩٨، ١٢٧، ١٢٢، ١٢١، ١٠٨، ١٠٧، ٧٨	أحد (غزوة) ١٥
باطيل (وزير داخلية هندي متعصب) ٣١	أراجون (شاعر) ٤١
باكستان ٣١	أرسطو ٧٥
باندونج ٥٢	إسرائيل ١٨، ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٤
بدر ٨٥	١١٥، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٣٠، ١٣١
برودون ٧٤، ٧٥	١٣٢، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٠
بريست ليتوفسك (هدنة بين ألمانيا وروسيا سنة ١٩١٧ م) ٢٢، ٦٧	الاسكندر الأكبر ٧٥
بسكال ٨٠	الفيضان ٨٥
بطرس الأكبر ٢١	ألمانيا ٣٤، ٦٧، ١٧٠، ١٧٢، ١٩١، ١٩٣
بغداد ١٠٦، ١١٠، ١٣٩، ١٦٣، ١٦٤	ألمانيا الغربية ١٨
بكين ح ٢ ١٥٥	أمريكا ٢٤، ١١٦، ١٣٣، ١٤٢، ح ١٥٥، ١٥٨
	١٩٠

(١) ح = حاشية .

- بلجيكا ١٦٦
 بلفور ١٢١
 بن بركة ١٠٨ ، ١١٠
 بن غوريون ١٣٥
 بورما ١٧٤
 بول حتي مسعد (الأب) ١٣٨
 بئر الكاهنة ٦٥
 بيرل هربر ١٢٤
 بيير روسي (مؤلف) ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣
 « ت »
 تاليران ٢٢
 تايلور ٦٨
 تبسة ٦٥
 تبوك ١١٢
 تل أبيب ١١٧ ، ١٣٢
 توزير ٢٩
 تونس ١٠٦
 تيبورماند ١٥٧ ، ١٧١
 التينسي ١٩١
 « ج »
 جاجارين (رائد فضاء روسي) ١٨٢
 جالوت ١٠٨ ، ١٤١
 جان جاك روسو ١٤
 جان دارك ٦٤
 جان دانييل ٤٩ ، ٥٠
 جان سرفان شرايد ١٥٤
 جحا ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦
 الجرجرة (جبال) ٦٥
 الجزائر ٧ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٧ ،
 ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ح ١٠٠ ،
 ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٤٠ ، ح ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
 ١٥٢ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٥
 جلوب باشا ١٠٥
 الجمهورية العربية المتحدة ح ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٦٥
 الجنوب العربي ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣
 جورج حش ح ٣٤
 جوزوي كاسترو ١٥٧ ، ١٥٨
 جوليو- كوري (مختبر) ١٢٢
 جونسون (رئيس أمريكي سابق) ١١٦
 جيب (مستشرق) ٨٧
 جيفارا ٥٠ ، ٥١
 جريم مرتينو (دار للنشر) ١٣٩
 « ح »
 حكيم بن حزام ٢٦
 حرب السبعين ٢٤
 الحلي اللاتيني ٧٨ ، ١٢٢
 « خ »
 خالد بن الوليد ٤٦
 خالدني (الدكتور) ٥٣ ، ح ٦٦
 « د »
 الدار البيضاء ١٣٥
 دانتون (من رجال الثورة الفرنسية) ١٤
 داود ١٠٨ ، ١٤١
 دخاو (معتقل نازي) ح ١٢٥
 دنج فيند (سفينة اتصال صينية) ١٩٠
 دوبان دوغور ٢٢
 دوبونال ١٣٧
 دوجريف (ساحة في باريس) ٦٢
 دوماس ١٠٤
 ديجول ٢٩

ديكارت ٧٦، ٨٠

« ص »

صفين ١٢٢

صنعا ٦٤

الصين ٨، ٩، ٤١، ح ٤٢، ١١٢، ١٢٣، ١٥٣، ١٦٦،

١٧٣، ١٧٤، ح ١٧٧، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٦،

١٨٩، ١٩٠، ١٩٣

« ط »

طابيرج ١٥٥

طارق بن زياد ١١٢

الطائف ٦١

طرابلس (لبنان) ٥، ١٠

« ع »

عبد الإله (الأمير) ١٠٦

عبد الرحمن عزام (الأمين السابق للجامعة

العربية) ١٠٥

عبد العزيز بن سعود ١٠٦

عبد الله (الأمير) ١٠٦، ١٠٨

عبد الله بن أبي (من المناققين في عهد الرسول)

١٥٠

عبد الله الوزير (قادر ثورة يمنية) ١١٠

عثمان (رضي الله عنه) ٦١، ٦٢

عدن ٢٩، ٣٥

العراق ٦١، ١٦٤، ١٧٤

عقبة بن نافع ٦٤

علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ٧٩، ٨٠

عمار بن ياسر ٦٢ وهو (ابن سمية) ١٢٢

عمان ١٤٣

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ١٦، ٢٦، ٦١،

١٢٧

عمر مسقاوي ١٠

« ر »

رابلز ٧٣، ٧٥

رأول بريبيش ١٥٤، ١٥٥

روبسبير (من رجال الثورة الفرنسية) ٢٥

روسيا ٢١، ٦٧

روما ٨٥

ريدشارد قرايط ٥٢

ريشيليو (الكردينال) ٢٢

« ز »

زياد بن أبيه ٦١

« س »

سبيريا ٢ ح ١٥٥

ستالينغراد ٨٥

السد العالي ١٥٠، ١٧٩

سقراط ٩٠

سمية (أم عمار بن ياسر) ٦٣، ٦٤

سوريا ١٦٤

السويد ١٦٢

سويسرة ١٦٢

سيناء ١٨

جبل سيناء ١٢١

« ش »

شاخت (عالم اقتصاد ألماني) ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢

شتيرن (منظمة إرهابية صهيونية) ٣١، ١٠٧

شرم الشيخ ١٢٥

شرلوت كودريه ٦٤

شو إن لاي ١٠١

« غ »

غاندي ٩٠

الغزالي ١٨٩

« ف »

فاروق (ملك مصر سابقاً) ١٠٨، ١٠٦

فرانسوا فوريه (كاتب) ٥٠، ٤٩

فراولين ألمانيا ١٤٢

فرنسا ١١٢، ٨١، ٣٤

فضيلة سعدان ٦٦، ٦٥

فلسطين ١٠، ٣١، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١١٤، ١٢١،

١٢٩، ١٣٩

قلمي (واقعة) ١٤

فنديل ديلكي (مؤلف) ١٥٦

فوزي القاوقجي ١٠٥

فوستردالس ١٤٧

فيتينام ١١٨، ١٤٠

فيجار (جمهورية) ١٥٥

« ق »

القاهرة ٣٤، ٨٩، ١٢٥، ١٣٥، ١٧٤، ١٩٥

قتيبة بن مسلم ١١٢

القدس ١١٧

قسنطينة ٦٥، ١٥٧

قسنطينة (مشروع) ٥١

القفقاز (معركة) ١٦

« ك »

كاسترو ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٧

الكاهنة (امراة واجهت عقبة بن نافع) ٦٤

الكرامة (معركة) ١٤٢، ١٤٣

كسيوس كلاي (هو محمد علي الملاك الأمريكي)

١٥، ١٥٨

كندي ١٥٤

كوبا ٨، ٢٠، ٢٣، ٢٤

كورسيكا (جزيرة) ١٣٩

الكونجو ١١٥

الكويت ١٦٤، ١٦٨، ١٧٤

« ل »

لاله فاطمة تسومر ٦٥، ٦٦

لندن ١٦٢

لودندروف ١٣٢

لورانس ١٢١

لومومبا (زعيم إفريقي) ١١٥

ليبرتي (سفينة تجسس أمريكية كان لها دور في

حرب ١٩٦٧) ١٨

لينين ١٤، ٢٢، ٤١، ٦٧، ٨٣، ١٠٢، ١٩٣

ليون ٥٥ (محطة ليون) ٥٧

« م »

مارشال (مشروع) ١٩٣

ماركس ١٤، ١٨، ٢٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٩٨،

١٧٠

ماسو (الجنرال) ٦٥

ماوتسي تونغ ١٤١، ١٨٦

محمد بن القاسم الثقفي ١١٢

محمد الخامس ح ١٣٢

محمد الريني ١٦٩، ١٧١

محمد علي (ملاك أمريكي) = كسيوس كلاي

محمد مصدق ١١٥

مراكش ١٠٧، ١٥١

مرسيليا ٥٥، ٥٦

مروان بن الحكم ٦١

المسجد الأقصى ١٣٨

مصر ١٢١، ١٥٠، ١٧٤، ١٧٩

معاوية ٦١، ٧٩

مكة ٦٢، ٦٣، ٦٤

ملتوس ح ١٨٩

المملكة العربية السعودية ١٦٤

منوفي ١٥٨

موسكو ٦٩، ٨٨، ١٠٧، ١٢٧، ح ١٥٥

موسى بن نصير ١١٢

موشي ديان ١٨، ١١٧، ١٢٥، ١٣١، ١٣٢، ١٤٢

مولوخ ١٣٣

ميرابو (من رجال الثورة الفرنسية) ١٤

ميلة ١٥٧

ميونيخ ١٢٥

« ن »

نابليون ١٤، ٨٨، ١٢٧

ناظم القدسي (رئيس الجمهورية السورية السابق)

١٠٩

نجازاكي ١٩١

نيجريا ١١٥

نسيان هاسين (صيني) ١٢٢

نورمبرج ١٣٠، ١٣١

نيتشه ١٩، ١١٢

نيودلهي ١٥٩

نيويورك ١٩٠، ١٩١

« ه »

هتلر ٨٨، ١٣٠

الهجانا (منظمة إرهابية صهيونية) ٣١، ١٠٧

هجر (صحراء) ١٢٢

الهند ٣١، ١١٢، ١٥٣

هنيبل ١٤٢

هوارى بومدين (رئيس الجمهورية الجزائرية

السابق) ٢٦، ٢٨، ٧٩، ١٦٢

هيروشيما ١٩١

« و »

واشنطن ١٠٧، ١٠٨، ١٢٤، ١٢٥، ١٦٢

وايزمن ١٠٧

الولايات المتحدة الأمريكية ١٦٥، ١٦٦، ١٨٣،

١٩٠، ١٩١

« ي »

اليابان ٨، ٩، ١٢٤، ١٨٩، ١٩١

ياسر (والد عمار بن ياسر) ٦٣، ٦٤

يافا ١٠٥

يالطة ١٤١

اليرموك (معركة) ٤٦

ينكو ماك ٧٥

٤ - مسرد المذاهب والجماعات والشعوب

« أ »	« ش »
الاشتراكية ٨	الشعب العربي الفلسطيني ٣١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
الألماني (الشعب) ٨٧ ، ١٧٣	١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤١
« ت »	« م »
الشيكيون ٢٠	الماركسية ٨ ، ١٠ ، ٢١ ، ٢٢
« ح »	« م »
الحركيون ٢٨	المسلون (مجاهدون مغاربة قاوموا المستعمر) ٦٥
« ر »	« ف »
الرأسمالية ١٠ ، ٢١	فيتنام (شعب) ٣٠
« س »	« ي »
السوفييت ٢٠	اليمني (الشعب) ١١٠
	اليهود ١٣٠

٥ - مسرد المعاهدات والمؤتمرات والمنظمات

« ف »	« أ »
فتح (منظمة) ١٤٣	إعانة الدول النامية (منظمة) ١٥٤
فرساي (صلح) ١٤٠	الأفريسيوي (المؤتمر) ١٣٣
« ك »	« ب »
كولومبو (مشروع) ١٧٩	باندويج (مؤتمر) ١١٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٧،
« م »	١٧٠، ١٧١
مؤتمر (٧٧) ١٤٧، ١٥٢، ١٥٤، ١٩٥	« ج »
« ن »	الجامعة العربية ١١١
نيودلهي (مؤتمر) ١٤٥، ١٥٤، ١٥٦	الجزائر (مؤتمر) ١٤٧، ١٥٠، ١٥٣
« هـ »	الجزائر (ميثاق) ١٤٧، ١٤٨
الهندي (المؤتمر) ٣١	« د »
هيئة الأمم الإفريقية ١٣٥	الدول الإفريقية (منظمة) ١٣٤
هيئة الأمم المتحدة ١٢٥، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٥، ١٤١،	« س »
١٥٤	السكرتيرية الدائمة لتضامن الشعوب الإفريقية
« و »	الآسيوية ١٣٥، ١٥٣
ودادية العمال الجزائريين في أوروبا ٥٥	

٦ - مسرد المراجع والمصادر

« أ »

إحياء علوم الدين (كتاب) ١٨٩
الإنجيل ١٣٧

« ب »

بربرية التوصيات اليهودية (كتاب) ١٢٨
بروق (مجلة) ٤٩

« ت »

تاريخ كومون باريس (من كتب ماركس) ١٤
التحدي الأمريكي (كتاب) ١٥٤

« ث »

الثورة الإفريقية (جريدة) ٧، ١٣، ٢٠، ٢٩،
٣٩، ٤٩، ٥٥، ٦١، ٦٧، ٧٣، ٨١، ٨٧،
٩١، ١٠٨، ١١١، ١١٥، ١٢١، ١٢٩، ١٤٧،
١٥٤، ١٦١، ١٦٩، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٩

« ج »

الجزائر والأحداث (جريدة) ١٨٩، ١٩٠
الجمهورية الجزائرية (جريدة) ١٠٩
الجمهورية القاهرية (جريدة) ١٢١
جوعة العالم (كتاب) ١٥٦

« ر »

رأس المال (من كتب لينين) ٨٤

« س »

سيكولوجية الاستعمار (كتاب) ١٥٨

« ش »

شروط النهضة (من كتب مالك) ٦٧

« ص »

الصراع الفكري (من كتب مالك) ١٩٧
صوت الأنديجين (جريدة) ٥٢
صوت المختقرين (جريدة) ٥٢

« ع »

العالم واحد (كتاب) ١٥٦
العقد الاجتماعي ١٣٧
العهد القديم ٥٣

« ف »

فقر الفلسفة (من كتب ماركس) ٧٤
الفكرة الأفرسيوية (من كتب مالك) ١٥١،
١٥٦ ح
فلسفة الفقر (كتاب) ٧٤
في الأخلاق (من كتب أرسطو) ٧٥
في السياسة (لأرسطو) ٧٥
في مهب المعركة (من كتب مالك) ح ١٣٢

« ل »

لوموند (صحيفة) ١١٠، ١٢١، ١٥٦

« م »

المجاهد (جريدة) ١٣٧

مفاتيح الحرب (كتاب) ١٣٩، ١٤٣

« ن »

نوفيل أوبسرفاتور (مجلة) ٤٩، ٥٠

« ي »

يا الله (كتاب) ٥٢

٧ - مسرد الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
الفصل الأول : طريق الثورة	١١
الاطراد الثوري	١٣
الأخلاق والثورة	٢٠
تقلبات عبر استقلال جديد	٢٩
الفصل الثاني : في قضايا الاستقلال	٣٧
نظرة علم الاجتماع في الاستقلال	٣٩
تغيير الإنسان	٤٩
العامل الجزائري في فرنسا	٥٥
معالم على طريق الحركة النسائية الجزائرية	٦١
وزن الوقت	٦٧
الفصل الثالث : في السياسة	٧١
السياسة والأخلاق	٧٣
السياسة والأيدولوجية	٨١
السياسة والثقافة	٨٧
السياسة وحكمة الجماهير	٩١
السياسة والبلوتيك	٩٧

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع : في قضية فلسطين	١٠٣
عشرون سنة من بعد	١٠٥
ثن الوحدة العربية	١١١
لحظة « الفلاش »	١١٥
لحظة التأمل	١٢١
هيئة الأمم تدين شعب فلسطين	١٢٩
مفاتيح الحرب	١٣٧
الفصل الخامس : حول الاقتصاد	١٤٥
مؤتمر ٧٧	١٤٧
مؤتمر نيودلهي	١٥٤
جولة البترول العربي	١٦١
شروط الإقلاع الاقتصادي	١٦٩
العمل والاستثمار	١٧٦
اقتصاد القوات والتنمية	١٨٢
نشترى أم نصنع	١٨٩
الفصل السادس : خاتمة (في الصراع الفكري)	١٩٧
المسارد	١٩٩

سلسلة
مشكلات الحضارة
مالك بن نبي

- ١ - بين الرشاد والته
- ٢ - تأملات
- ٣ - دور المسلم ورسالته في القرن العشرين
- ٤ - شروط النهضة
- ٥ - الصراع الفكري في البلاد المستعمرة
- ٦ - الظاهرة القرآنية
- ٧ - فكرة الإفريقية الآسيوية
- ٨ - فكرة كومونولث إسلامي
- ٩ - في مهب المعركة
- ١٠ - مذكرات شاهد للقرن - جزآن في مجلد
- ١١ - المسلم في عالم الاقتصاد
- ١٢ - مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي
- ١٣ - مشكلة الثقافة
- ١٤ - ميلاد مجتمع
- ١٥ - وجهة العالم الإسلامي



مالك بن نبي

ولد عام ١٩٠٥ في مدينة قسنطينة في الجزائر .

انتقل بعد إتمام دراسته الثانوية إلى باريس حيث تخرج عام ١٩٣٥ مهندساً كهربائياً .

اتجه منذ نشأته نحو تحليل الأحداث التي كانت تحيط به . وقد أعطته ثقافته المنهجية قدرة على إبراز مشكلة العالم المتخلف باعتبارها قضية حضارة أولاً وقبل كل شيء . فوضع كتبه جميعها تحت عنوان (مشكلات الحضارة) .

في باريس أصدر بالفرنسية : الظاهرة القرآنية ، لبيك ، شروط النهضة ، وجهة العالم الإسلامي ، الفكرة الأفريقية الآسيوية : بمناسبة انعقاد مؤتمر باندونج .

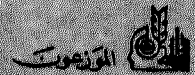
في عام ١٩٥٦ لجأ إلى القاهرة وقد طبعت له وزارة الإعلام في القاهرة بالفرنسية كتابه (الفكرة الأفريقية الآسيوية) .

اتجه في القاهرة بعد اتصاله بالعديد من الطلاب إلى ترجمة كتبه إلى العربية ، ثم أصدر بقية كتبه بالعربية بعد ترجمة بعضها وكتابة بعضها الآخر بالعربية مباشرة .

انتقل إلى الجزائر عام ١٩٦٣ حيث عين مديراً عاماً للتعليم العالي ، وأصدر في الجزائر : آفاق جزائرية ، يوميات شاهد للقرن ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، المسلم في عالم الاقتصاد .

في عام ١٩٦٧ استقال من منصبه وتفرغ للعمل الفكري وتنظيم ندوات فكرية .

توفي في ١٩٧٣/١٠/٣١ في الجزائر .



دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع
البيروت - لبنان
ص.ب. ١٣٦٦٤ هاتف ٨٦٠٧٣٩ فاكس ٤٤٣١٥
FIR 44315 LE